المجلد الاول من غصن الحجاز في تاريخ الزمان

١٧ سح

المجلد الاول من تاريخ الزمان

فهرست ما تضمنه هذا الكتاب من الفصول والابواب

الجزء الاول من كتاب

عقود الجمان في تاريخ الزمان

تاليف كاتبه محمد بن احمد بن الملكاني الانصاري

عفا الله عنه وعن والديه امين

بسم الله الرحمن الرحيم • وبه الاعانه والتوفيق

الحمد لله الذي منحنا مزيد الاحسان • وخصص بالنطق والهداية نوع الانسان
وفضله على سائر المخلوقات بما اتاه من الفضل الواضح البرهان • وجعل له
حقيقة المعالي مجازا فاظهر اسرارها الخفية ببديع البيان • وجمل كل عصر
بمحاسن اهله فاصبحت حدائق مفاخره محدقة الافنان • وحكم على العباد
بالموت اظهارا لحكمته البديعة الاتقان • نحمده بجميع محامده • ونشكره
والتوفيق للشكر من مواد فضله ونوايله • على نعمه التي لا يزال فضلها مجددا
ومننه التي لا يبرح عقد بركاتها موكدا • ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له شهادة تشرق الآفاق بنورها • وتنجلي بها دياجي ليالي الشك وما ادلهم
من ديجورها • ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم الانبيا • وسيد الاصفيا
المخصوص بمحكم الآيات المنزله • المقصوص عليه احسن القصص من انبا الرسل
المفضله • المنصوص على شرف مناقبه الرفيعة وخلاله المكمله • صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم من انفق المال في محبته • ومنهم من جعل
تاريخ الاسلام من هجرته • ومنهم من جهز الجيش عند عدم المال وعسرته
ومنهم من زعزع الشرك بباسه وسطوته ونصرته • صلاة دايمة طيبة
مباركة لا يزال لواؤها على الخافقين خفاقا • ومقامها يضرب على الكواكب
الزهر رواقا • وسلم وشرف وازكى صلوة وتسليم • واعلى تشريف وتكريم
ما اختلط الظلام بالضيا وما اعلن الداعي بالندا وما نسخ النهار ظلام الليل البهيم

وبعد فلما كان علم التاريخ من اعذب علوم الادب منبعا • واصفاها
مشرعا • وانورها مطلعا • واجلاها من القلوب موقعا • لم تزل محاسنه تروق
وفوايده تفوق • وفرايده تشوق • به يعرف من سلف من الامم • واحاديث ذوي
المراتب والهمم • ويستفاد منه محاسن الاعيان • ويعلم مواقف الشجعان ومعا
الفرسان • واوقات مواليدهم ومدد اعمارهم • ومواضع منازلهم ومعاهد ديارهم
حتى كان الواقف عليه قد ادرك كلا منهم في عصره • ونظره في ساحة
ميدانه او مشيد قصره • او كانه قد شاهد كسرى في ايوانه • وهو يقص
رؤياه على موبذانه • وعاصر سيف بن ذي يزن في غمدانه • وجالسه وابن ابي
الصلت ينشد في قصر غمدانه • واطلع على ما كان عنده من السر الخفي الذي
رفع الله تعالى على الكواكب شرفه • لما بشر شيبة الحمد بظهور النور المحمدي
وادناه واتحفه • وكنت ممن تعلق من الفضل باهدابه • وقصد الدخول
اليه من بابه ليعد من اربابه • واستوضح بدايع لمعه • واستجلى العذب الصافي
من جرعه • فشرعت في جمع تاريخ لطيف اودعته ما استفدت من عوارف
معارفه • وانتقيت فيه ما اكثرت من تحفه ولطايفه • فمن ذكر مبدا المخلوقات
من خلق العرش والكرسي والسموات والارضين وما فيهن وما بينهن من الملايكة
والجان والشياطين وكيفية خلق آدم عليه السلام • وقصص النبيين وما

جري مجري ذلك حتى ينتهي النوبة الى حيننا وبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه
فنذكر سيرته الشريفه بالعظه كما ينبغي وتشفي الصدور والغليل ونزيح الداء عن
العليل ونذكر الملوك والخلفا الراشدين وما فيهم من بني اميه والعباسيين وملوك
مصر المحروسة ونواب دمشق المانوسه الى زماننا بعد امر الفتن والملاحم
واشراط الساعه ثم البعث والنشور واهوال القيمه ثم صفة ذلك وما في ذلك
اليوم وما يقع فيه من الامور الهايله ثم صفة النار اجارنا الله تعالى منها ثم صفة
الجنة وما فيها من الخيرات الحسان وغير ذلك مما يتعلق به وما ورد في ذلك من
الكتاب والسنة والاثار والاخبار المنقولة المقبولة عند العلما وورثه الانبيا
الاخذين من مشكاة النبوه المحمديه على من جا بها افضل الصلاة والسلام ولسنا
نذكر من الاسرايليات الا ما اذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة عماد
رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج اليه والا
عليه وانما العمدة والاستناد على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز
الحكيم العلي العظيم فقد قال الله جل ذكره وهو اصدق القايلين
في كتابه المبين كذلك نقص عليك من انبا ما قد سبق وقد اتيناك من
لدنا ذكرا وقد قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم خبر من مضى من خلق المخلوقات
وذكر الامم الماضين وبين ذلك بيانا شافيا روى البخاري رحمه الله تعالى

صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرايل ولا حرج وحدثوا عني ولا تكذبوا
علي ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار فهو محمول على الاسرايليات
المسكوت عنها عندنا فليس عندنا ما يصدقها ولا يكذبها فيجوز روايتها للاعتبار
فاما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة لنا به استغنا بما عندنا وما شهد
له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردود ولا يجوز حكايته الا على سبيل الانكار
والابطال فاذا كان الله سبحانه وتعالى وله المنه قد اغنانا برسولنا صلى
الله عليه وسلم عن ساير الشرايع وبكتابه الشريف عن ساير الكتب فلسنا نترامى
على ما بايديهم مما قد وقع فيه خبط وغلط وكذب ووضع وتحريف وتبديل
ونسخ وتغيير فالمحتاج اليه قد بينه لنا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وشرحه ووضحه عرفه من عرفه وجهله من جهله قال البخاري رحمه الله
كتاب بدو الخلق مرفوعا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدو الخلق حتى دخل اهل الجنة منازلهم واهل النار
منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه وهذا الحديث رواه البخاري
عن عيسى بن موسى غنجار عن ابي حمزة عن رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الامام احمد بن حنبل رحمه الله في مسنده ثنا ابو عاصم
ثنا عروة بن ثابت حدثنا علبا بن احمد اليشكري ثنا ابو زيد الانصاري رضي الله عنه

قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت
الظهر ثم نزل فصلى الظهر ثم نزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر
ثم نزل فصلى العصر ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس فحدثنا بما كان وبما هو كائن
فاعلمنا احفظنا ○ انفرد باخراجه مسلم فرواه في كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن ابرهيم
الدورقي وحجاج بن الشاعر كلاهما عن ابي عاصم الضحاك ابن مخلد النبيل عن عزرة عن
علبا عن ابي زيد عمرو بن اخطب بن رفاعة الانصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
بنحوه ○ ثم قال الامام احمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن علي بن زيد بن
جدعان عن ابي نضرة عن ابي سعيد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
ذات يوم بنهار ثم قام فخطبنا الى ان غابت الشمس فلم يدع شيئا مما يكون الى يوم القيمة الا
حدثناه حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه فكان مما قال يا ايها الناس ان الدنيا
خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون الا فاتقوا الله واتقوا النسا وذكر
تمامها الى ان قال ثم دنت الشمس ان تغرب فقال وان ما بقي من الدنيا فيما مضى مثل ما بقي
من يومكم هذا فيما مضى منه وهذا هو المحفوظ والله اعلم فصل قال الله تعالى
في كتابه العزيز الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل فكل ما سواه تعالى مخلوق
له مربوب مدبر مكون بعد ان لم يكن محدث بعد عدمه فالعرش الذي هو سقف
المخلوقات الى ما تحت الثرى وما بين ذلك من جامد وناطق الجميع خلقه وملكه وعبيده
وتحت قهره وقدرته وتحت تصريفه ومشيته خلق السموات والارض وما بينهما في

ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير وقد اجمع علما الاسلام قاطبة
لا يشك في ذلك ان الله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام كما دل عليه القران
واختلفوا في هذه الايام هل هي كايامنا هذه او كل يوم كالف سنة مما تعدون
على قولين ذكره المفسرون ولما اراد الله تعالى ان يخلق السموات والارضين
خلق جوهرة عظيمة مثل السموات والارضين فنظر الى الجوهرة بالهيبة فصارت ما
وخرج منها بخار ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السما قال
الربيع بن انس سما الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة
من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوت ○ وما
بين السابعة الى الحجب من نور ○ واختلفوا هل كان قبل السموات والارض شي مخلوق
فذهب طوايف من المتكلمين الى انه لم يكن قبلهما شي وانهما خلقتا من العدم المحض
وقال اخرون بل كان قبل السموات والارض مخلوقات اخر لقوله تعالى وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الما الايه وفي حديث
عمران بن حصين كان الله ولم يكن قبله شي وكان عرشه على الما وكتب في الذكر كل شي
ثم خلق السموات والارض وفي لفظ اخر وخلق السموات والارض واختلفوا في اي شي
خلق اولا فقال قايلون خلق القلم قبل هذه الاشيا كلها وهذا هو اختيار ابن جرير
وابن الجوزي وغيرهما قال ابن جرير وبعد القلم السحاب الرقيق وبعده العرش ○

حشية
والاولى سما الدنيا بيضا مثل اللبن
الثانية من درة بيضا ○

شي

واحتجوا بالحديث الذي رواه الامام احمد وابو داود والترمذي عن عبادة بن الصامت
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما خلق الله القلم ثم قال
له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيمة لفظ احمد وقال
الترمذي حسن صحيح غريب ٥ والذي عليه الجمهور فيما نقله الحافظ ابو العلا الهمداني
وغيره ان العرش مخلوق قبل ذلك وهذا هو الذي رواه ابن جرير من طريق الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنهما ٥ كما دل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه
حيث قال حدثنا ابو الطاهر احمد بن عمرو بن السرح ثنا ابن وهب اخبرني ابو هاني
الخولاني عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة قال وعرشه على الما فهذا التقدير كتابته بقلم المقادير وقد دل
على هذا الحديث ان ذلك بعد خلق العرش فثبت تقدم العرش على القلم الذي كتب به المقادير
كما ذهب الى ذلك الجماهير ويؤيد هذا ما تقدم من حديث عمران بن حصين قال ابن جرير
بل خلق الله تعالى الما قبل العرش رواه السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح عن ابن عباس
وعن مرة وعن اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ان الله تعالى كان
عرشه على الما ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الما ٥ وحكى ابن جرير عن محمد بن اسحق
انه قال اول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود
مظلما وجعل النور نهارا مضيئا مبصرا ٥ قال ابن جرير ان الذي خلق رب

بعد القلم الكرسي ثم خلق بعد الكرسي العرش ثم خلق بعد ذلك الهوا والظلمة ثم
خلق الما فوضع عرشه عليه **فصل** فيما ورد في صفة العرش والكرسي
قال الله عز وجل رفيع الدرجات ذو العرش وقال تعالى فتعالى الله الملك الحق لا
اله الا هو رب العرش الكريم وقال تعالى الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وقال
تعالى وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد والايات في ذلك كثيرة وفي الدعا
المروي في الصحيح في دعا الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله
رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم
وقال الامام احمد رحمه الله ثنا عبد الرزاق ثنا يحيى بن العلا عن عمه شعيب بن خالد
حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه قال كنت جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحا فمرت
سحابة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قال قلنا السحابة قال
والمزن قلنا والمزن قال والعنان قال عمر فسكتنا فقال هل تدرون كم بين
السما والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسماية سنة ومن كل
سما الى سما مسيرة خمسماية سنة وكثف كل سما خمسماية سنة وفوق السما
السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السما والارض ثم فوق ذلك ثمانية اوعال
بين ركبهن واظلافهن كما بين السما والارض ثم فوق ذلك العرش بين اسفله واعلاه
كما بين السما والارض والله جل وعلا فوق ذلك وليس يخفى عليه من اعمال بني آدم شي

وثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سألتم الله
الجنة فاسألوه الفردوس فانه اعلى الجنة واوسط الجنة وفوقه عرش الرحمن
يروى وفوقه على الفتح على الظرفية وبالضم وقد جاء في بعض الآثار ان اهل الفردوس
يسمعون أطيط العرش وهو تسبيحه وتعظيمه وما ذاك الا لقربهم منه وفي
الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن
معاذ وقال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
على عفوك بعد قدرتك وذكر الحافظ بن الحافظ محمد بن عثمان بن ابي شيبة في
كتاب صفة العرش عن بعض السلف ان العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما
بين قطريه مسيرة خمسين الف سنة قال الله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ۝ واتساعه خمسون الف سنة وقد ذهب
طايفة من اهل الكلام الى ان العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم
من كل جهة وربما سموه الفلك التاسع والفلك الاطلس والاثير وليس هذا بجيد
لانه قد ثبت في الشرع ان له قوايم تحمله الملايكة والفلك لا يكون له قوايم ولا يحمل
ايضا فانه فوق الجنة والجنة فوق السموات وفيها مايه درجة ما بين كل درجتين
كما بين السما والارض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك الى فلك
وايضا فان العرش في اللغة عبارة عن السرير الذي للملك كما قال الله تعالى

ولها عرش عظيم وليس هو فلك ولا تفهم منه العرب ذلك والقران العظيم انما نزل
بلغة العرب فهو سرير ذو قوايم تحملها الملايكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف
المخلوقات ۝ وقد تقدم في حديث الاوعال انهم ثمانية وفوق ظهورهن العرش
قال الله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وذهب بعضهم الى ان حملة
العرش اليوم اربعة وهم في عظم لا يوصف ولكل واحد منهم صورة الاول صورته
على صورة آدم يشفع لبني آدم في ارزاقهم الثاني صورته على صورة الثور يشفع
للبهايم في ارزاقهم الثالث صورته على صورة الاسد يشفع للوحوش في ارزاقهم
الرابع صورته على صورة النسر يشفع للطيور في ارزاقهم فاذا كان يوم القيمة
امدهم الله باربعة اخر ولكن يعارض من ذهب الى انهم اربعة حديث الاوعال قال
وهب ابن منبه رضي الله عنه للعرش ملايكة جاثية على ركبهم وملايكة قيام
على اقدامهم يحملون العرش على كواهلهم وانهم ليضعفون احيانا ثم يحمله الا عظمة
الله وقدرته قال ابو داود ثنا احمد بن حفص بن عبد الله قال حدثني ابي ثنا ابراهيم
ابن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدث عن ملك من ملايكة الله عز وجل ان ما
بين شحمة اذنيه الى عاتقه مسيرة سبعمايه عام ورواه ابن ابي حاتم ولفظه تخفق
ومن شعر امية بن ابي الصلت في العرش قوله ۝

مجدوا الله فهو للمجد اهل ربنا في السما امسى كبيرا

بالبناء العالي الذي بهر الناس   وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا لا يناله بصر العين   ترى حوله الملائكة صورا

صور جمع أصور وهو المائل العنق لنظره إلى العلو والشرجع هو العالي
المنيف والسرير هو العرش في اللغة ٥
ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الذي عرض به عن القراءة لامرأته
حين اتهمته بجاريته ٥

شهدت بأن وعد الله حق   وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف   وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام   ملائكة الإله مسومينا

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة قال وهب بن منبه رضي الله عنه
ما أنزل الله من كتاب على نبي إلا وفيه ذكر العرش والكرسي وأن للعرش سبعين
ألف لسان من كل لسان يسبح الله تعالى بأنواع من اللغات قال ابن عباس رضي الله عنهما
كل صانع يبني الأساس أولا ثم يبني عليه السقف وأن الله تعالى خلق السقف أولا ثم
خلق الأساس وذلك أنه تعالى خلق العرش قبل السموات والأرض ٥ وقيل إن العرش
خلقه الله عز وجل من جوهرة عظيمة ثم خلق الله عز وجل حية عظيمة محدقة بالعرش
رأسها من درة خضراء وجسدها من ذهب وعيناها من ياقوتتين لا يعلم أحد عظم تلك الحية إلا
الله تعالى لها أربعون ألف جناح مكللة بأنواع الجواهر وتلك الأجنحة تسبح الله تعالى

وتقدسه وعند كل ريشة ملك يسبح الله تعالى وفي كل جوهرة من جواهرها فإذا سبحت
تلك الحية غلب تسبيحها على تسبيح الملائكة وإذا فتحت تلك الحية فاها لو أذن لها
أن تلتقم السموات والأرض لالتقمتهما كالبرق الخاطف ولولا أنها تلطف من تسبيحها
لصعق الخلق أجمعون من شدة صوتها وقد ذكر أنها سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم
ليلة الإسراء وبشرته أن الخير كله فيه وفي أمته صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك
كعب الأحبار ٥ وأما الكرسي فروى ابن جرير من طريق جويبر وهو
ضعيف عن الحسن البصري أنه كان يقول الكرسي هو العرش وهذا لا يصح
عن الحسن بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره وعن
ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهما أنهما قالا في قوله تعالى وسع كرسيه
السموات والأرض أي علمه والمحفوظ عن ابن عباس أنه قال الكرسي
موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى وقال السدي الكرسي
تحت العرش وقال أيضا السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي
بين يدي العرش وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس
أنه قال لو أن السموات السبع والأرضين السبع بسطن ثم وصلن بعضهن
إلى بعض ما كن في سعة الكرسي إلا بمنزلة الحلقة في المفازة وقال ابن جرير
حدثني يونس ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس

قال وقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي في
العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري فلاة من الارض وعن ابي
ذر الغفاري انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع
عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش على الكرسي
كفضل الفلاة على تلك الحلقة ورواه محمد بن عثمان بن ابي شيبة في كتاب
صفة العرش عن الحسن بن عبد الرحمن ابن ابي ليلى عن احمد بن علي الاسدي عن
المختار بن غسان العبدي عن اسمعيل بن مسلم عن ابي ادريس عن ابي ذر قال دخلت
المسجد فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فجلست اليه فقلت يا رسول الله
اي اية انزلت عليك افضل قال اية الكرسي ما السموات السبع في الكرسي الا
كحلقة ملقاة بارض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
تلك الحلقة وقال ابن جرير في تاريخه ثنا ابن وكيع ثنا ابي عن سفيان عن
الاعمش عن المنهال عن عمرو بن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى
وكان عرشه على الماء على اي شي كان الماء قال على متن الريح والسموات والارض
وكل ما فيهن من شي تحيط بها البحار ويحيط بذلك كله الهيكل ويحيط بالهيكل
الكرسي وروي عن وهب بن منبه نحوه وفسر وهب الهيكل فقال هو من اطراف
السموات يحدق بالارضين والبحار كاطناب الفسطاط وقد زعم بعض

في ارض

ن

من ينتسب الى علم الهيئة ان الكرسي عبارة عن الفلك الثامن الذي يسمونه
فلك الكواكب الثوابت وفيما زعموه نظر لانه قد ثبت انه اعظم من السموات
السبع بشي كثير جدا ورد الحديث المتقدم بان نسبتها اليه كنسبة حلقة ملقاة
بارض فلاة وهذا ليس كنسبة فلك الى فلك فان قال قايلهم فنحن نعترف
بذلك ونسميه مع ذلك فلكا فنقول الكرسي ليس في اللغة عبارة عن الفلك
وانما هو كما قال غير واحد من السلف بين يدي العرش كالمرقاة اليه ومثل
هذا لا يليق فلكا وزعمهم ان الكواكب الثوابت مرصعة فيه لا دليل لهم عليه
هذا مع اختلافهم في ذلك ايضا كما هو مقرر في كتبهم والله اعلم والعرش خلقه
الله من جوهرة عظيمة

ذكر اللوح المحفوظ والقلم

قال الحافظ ابو القاسم الطبراني ثنا محمد بن عثمان بن ابي شيبة ثنا منجاب بن الحرث ثنا ابراهيم
ابن يوسف ثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن ابيه عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق لوحا
محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور لله فيه في
كل يوم ستون وثلثماية لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء
وقال اسحق بن بشر اخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال
ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن امن
بالله وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة ۝ واللوح من درة بيضاء طوله

ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه اللؤلؤ والياقوت ودفتاه
ياقوتة حمراء وقلمه نور وكلامه معقود بالعرش واصله في حجر ملك وقال
انس بن مالك وغيره من السلف اللوح المحفوظ في جبهة اسرافيل وقال مقاتل
هو عن يمين العرش واما القلم فنجده سطوله بين خمسمائة عام مشقوق السن ينبع
منه النور كما ينبع من اقلام الدنيا المداد ثم نودي القلم ان اكتب فاضطرب من هول
النداء حتى صار له ترجيع بالتسبيح والتقديس كترجيع الرعد القاصف ثم جرى
في اللوح المحفوظ بما اجراه الله تعالى بما كان وبما هو كائن الى يوم القيمة ○

فصل فيما ورد في خلق السموات والارض وما بينهما قال الله تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
وقال تعالى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام في غير ما اية في القران
وقد اختلف المفسرون في مقدار هذه الستة ايام على قولين فالجمهور على انها كايامنا هذه
وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب الاحبار ان كل يوم منها كالف سنة مما تعدون
رواه ابن جرير وابن ابي حاتم واختار هذا القول الامام احمد بن حنبل رحمه الله في كتابه
الذي رد فيه على الجهمية وابن جرير وطائفة من المتاخرين والله اعلم وسياتي ما يدل
على هذا القول وروى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم وغيره ان اسماء الايام الستة ابجد
هوز حطي كلمن سعفص قرشت وحكى ابن جرير في اول الايام ثلثة اقوال فروى
عن محمد بن اسحق انه قال يقول اهل التورية ابتدا الله الخلق يوم الاحد ويقول اهل

الانجيل ابتدا الله الخلق يوم الاثنين ونقول نحن المسلمون فيما انتهى الينا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدا الله الخلق يوم السبت وهذا القول الذي حكاه
ابن اسحق عن المسلمين مال اليه طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم وسياتي فيه حديث
ابي هريرة خلق الله التربة يوم السبت ○ والقول بانه الاحد رواه ابن جرير عن
السدي عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن جماعة
من الصحابة ورواه ايضا عن عبد الله بن سلام واختاره ابن جرير وهو نص التورية
ومال اليه طائفة اخرون من الفقهاء وهو اشبه بلفظ الاحد ولهذا كمل الخلق في
ستة ايام فكان اخرهن الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم في الاسبوع وهذا
اليوم الذي اضل الله عنه اهل الكتاب قبلنا كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى وقال
تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات
وهو بكل شيء عليم وقال تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون
له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها
اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها
وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في
يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير
العزيز العليم فهذا يدل على ان الارض خلقت قبل السماء لانها كالاساس للبناء
كما قال تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن

صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين وقال تعالى
ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا إلى أن قال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا
سراجا وهاجا وقال تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا
ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون أي فصلنا ما بين السماء والأرض
حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون والأنهار وانتعش الحيوان ثم
قال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون أي عما خلق فيها من
الكواكب الثوابت والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات وما في
ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسموات كما قال تعالى وكأين من
آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن أكثرهم
بالله إلا وهم مشركون فأما قوله تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها
فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها
ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية
على تقدم خلق السماء قبل الأرض فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية
الكريمة فإن مقتضى هذه الآية الكريمة أن دحي الأرض وإخراج الماء والمرعى
منها بالفعل بعد خلق السماء وقد كان ذلك مقدرا فيها بالقوة كما قال وبارك
فيها وقدر فيها أقواتها أي هيأ أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ثم لما أكمل
خلق صورة العالم السفلي والعلوي دحا الأرض فأخرج منها ما كان مودعا فيها

فخرجت

فخرجت العيون وجرت الأنهار ونبتت الزروع والثمار ولهذا فسر الدحي بإخراج
الماء والمرعى منها وإرساء الجبال فقال والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها
وقوله والجبال أرساها أي قررها في أماكنها التي وضعها فيها وثبتها وأكدها
وأطدها وقوله والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون بأيد أي بقوة وإنا لموسعون وذلك
أن كل ما علا اتسع فكل سماء أعلى من التي تحتها فهي أوسع منها ولهذا كان الكرسي
أعلى من السموات وهو أوسع منهن كلهن والعرش أعظم من ذلك بكثير وقوله
بعد هذا والأرض فرشناها أي بسطناها وجعلناها مهدا أي قارة ساكنة غير
مضطربة ولا مائدة بكم ولهذا قال فنعم الماهدون والواو لا تقتضي الترتيب والوقوع وإنما
تقتضي الإخبار المطلق في اللغة والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثني
ابن جريج أخبرني إسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة
يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء
وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة
آخر النهار في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل وهكذا رواه مسلم
قال البخاري في التاريخ وقال بعضهم عن كعب الأحبار وهو الأصح يعني أن هذا الحديث
مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث

فهذا يحدثه عن صحيفة وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا الحديث
مما تلقاه ابو هريرة عن كعب عن صحيفة فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا الى النبي صلى الله
عليه وسلم واكد رفعه بقوله اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ثم في متنه غرابة
شديدة فمن ذلك انه ليس فيه ذكر خلق السموات وفيه ذكر خلق الارض وما فيها في سبعة
ايام وهذا خلاف القران لان الارض خلقت في اربعة ايام ثم خلقت السما في يومين
من دخان وهو بخار الما الذي ارتفع حين اضطرب الما العظيم الذي خلق من ربذة الارض
بالقدرة العظيمة البالغة فان الله تعالى قال هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم
استوى الى السما فسواهن سبع سموات قيل ان الله تعالى كان عرشه على الما ولم يخلق
شيا مما خلق قبل الما فلما اراد ان يخلق الخلق اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما فسما عليه
فسماه سما ثم ايبس الما فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع ارضين في يومين الاحد والاثنين
وخلق الارض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى ن والقلم والحوت في الما والما
على صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح ثم ان الحوت تحرك
واضطرب فتزلزلت الارض فارسى عليها الجبال فاستقرت وخلق الله يوم الثلاثا الجبال
وما فيهن من المنافع وخلق يوم الاربعا الشجر والما والمداين والعمران والخراب وفتق السما
وكانت رتقا فجعلها سبع سموات في يومين الجمعة والسبت وانما سمي الجمعة لانه جمع فيه
خلق السموات والارض واوحى في كل سما امرها قال خلق في كل سما خلقها من الملايكة
والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره ثم زين السما بالكواكب فجعلها زينة وحفظا تحفظ

لعله الخميس والجمعة

من الشياطين فلما فرغ من خلق ما احب استوى على العرش وقد دلنا ان خلق الارض
قبل خلق السما بدليل قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما
فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم وقال تعالى ائنكم لتكفرون بالذي خلق
الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من
فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سوا للسايلين والآيات
في هذا كثيرة جدا وقد تكلم علما التفسير على كل منها والمقصود انه تعالى يخبر
عن خلق السموات وعظم اتساعها وارتفاعها وانها في غاية الحسن والبها والكمال
والسنا كما قال والسما ذات الحبك اي الخلق الحسن وقال فارجع
البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسيا
وهو حسير اي خاسيا من ان يرى فيها نقصا او خللا وهو حسير اي كليل ضعيف
ولو نظر حتى يعي ويكل ويضعف لما اطلع على نقص فيها ولا عيب لانه تعالى
قد احكم خلقها وزين بالكواكب افقها كما قال والسما ذات البروج اي النجوم وقيل
محال الحرس التي يرمى منها بالشهب لمسترقي السمع ولا منافاة بين القولين وقال تعالى
ولقد جعلنا في السما بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم
فذكر انه زين منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات والشمس والقمر والنجوم
الزاهرات وصانها عن طول الشياطين قال البخاري في كتاب بدء الخلق
قال قتادة ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح خلق هذه النجوم لثلاث جعلها زينة

السماء وجعلناها رجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها فمن تأول فيها بغير ذلك فقد اخطأ وتكلم
بما لا علم له به ۝ وهذا الذي قلناه مصرح به في قوله تعالى ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فمن تكلف غير هذه الثلث اي من علم احكام ما يدل
عليه حركاتها ومقارناتها في سيرها وان ذلك يدل على حوادث ارضية فقد اخطأ
واكثر كلامهم في ذلك حدس وظنون كاذبة ودعاوي باطلة وذكر تعالى انه
خلق سبع سموات طباقا اي واحدة فوق واحدة واختلف اصحاب الهيئة هل هن
متراكبات او متفاصلات بينهن خلا على قولين والصحيح الثاني لما روي من حديث عبد
الله بن عميرة عن الاحنف عن العباس في حديث الاوعال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتدرون كم بين السماء والارض قلنا الله ورسوله اعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة
سنة ومن كل سماء الى سماء خمسمائة سنة وكثف كل سماء خمسمائة سنة الحديث بتمامه
رواه احمد وابو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه وفي الصحيحين من حديث انس في
حديث الاسرا قال فيه ووجد في سماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا ابوك آدم
فسلم عليه فسلم عليه فرد عليه السلام وقال له مرحبا واهلا يا بني نعم الابن انت الى ان
قال ثم عرج الى السماء الثانية وكذا ذكر في الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة
والسابعة فدل على التفاصل بينهم لقوله ثم عرج بنا حتى اتينا السماء الثانية فاستفتح
فقيل من هذا الحديث وهذا يدل على ما قلنا ۝ والله اعلم وحكى ابن حزم وابو الفرج

ابن الجوزي وغير واحد من العلماء الاجماع على ان السموات كرية مستديرة واستدل على ذلك
بقوله تعالى وكل في فلك يسبحون قال الحسن يدورون وقال ابن عباس في فلكة مثل
فلكة المغزل ويدل على ذلك ان الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع في آخرها
من المشرق كما قال امية بن ابي الصلت ۝

والشمس تبدو آخر كل ليلة ... حمراء يصبح لونها يتوقد
تأبى فما تبدو لنا في رسلها ... الا معذبة والا تجلد

فاما الحديث الذي رواه البخاري حيث قال حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان
عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى
تسجد تحت العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن
لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر
لها ذلك تقدير العزيز العليم هذا لفظه في بدء الخلق ۝ اذا علم هذا فانه حديث لا
يعارض ما ذكرناه من استدارة الافلاك التي هي السموات على اشهر القولين ولا يدل
على كروية العرش كما زعمه زاعمون فقد ابطلنا قولهم ولا يدل على ان الشمس تصعد الى
فوق السموات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش بل هي تغرب عن اعيننا وهي مستمرة
في فلكها الذي هي فيه وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التسيير وليس في الشرع
ما ينفيه بل في الحس وهو الكسوفات ما يدل عليه ويقتضيه فاذا ذهبت فيه

حتى يتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلا في اعتدال الزمان بحيث لم تقرب من القطبين
الجنوبي والشمالي فانها تكون ابعد ما يكون من العرش لانه مغيث من جهة وجه العالم
وهذا محل سجودها كما يناسبها كما انها اقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا فاذا
كانت في محل سجودها استاذنت الرب جل جلاله في طلوعها من المشرق فيوذن لها
فتبدو من جهة المشرق وهي مع ذلك كارهة لعصاة بني ادم ان تطلع عليهم فاذا
كان الوقت الذي يريد الله تعالى طلوعها من جهة مغربها فتسجد على عادتها وتستاذن
في الطلوع من عادتها فلا يوذن لها فتفعل ذلك ثلاث مرات وهي لا يوذن لها وتطول
تلك الليلة فتقول يا رب ان الفجر قد اقترب وان المدى بعيد فيقال لها ارجعي
من حيث جئت فتطلع من مغربها فاذا راها الناس امنوا جميعا وذلك حين لا ينفع
نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وفسروا بذلك قوله تعالى
والشمس تجري لمستقر لها قيل لوقتها الذي تومر فيه ان تطلع من مغربها وقيل مستقرها
موضعها الذي تسجد فيه تحت العرش وقيل منتهى سيرها وهو آخر الدنيا وعن ابن عباس انه
قرا والشمس تجري لا مستقر لها اي ليست تستقر بل هي ابدا متحركة وهي سابحة ولهذا
قال تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل
في فلك يسبحون اي لا تدرك الشمس القمر فتطلع في سلطانه ودولته ولا هو ايضا ولا الليل
سابق النهار اي ليس يسبقه بمسافة ياخذ ذلك عنه بل اذا ذهب الليل جاء النهار
في اثره متعقبا له واذا ذهب النهار جاء الليل في اثره متعقبا له كما قال في الاية

للعزيز

الاخرى يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا
له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وقال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا اي يخلف هذا لهذا وهذا لهذا كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر
الصايم فالزمان المحقق ينقسم الى ليل ونهار ليس بينهما غيرهما ولهذا قال تعالى
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى فيولج من
هذا في هذا اي ياخذ من طول هذا في قصر هذا فيعتدل كما في اول فصل الربيع يكون
الليل قبل ذلك طويلا والنهار قصيرا فلا يزال الليل ينقص والنهار يتزايد حتى يعتدلا
وهو اول الربيع ثم يشرع النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص الى اخر فصل الربيع
ثم يتراجع الامر وينعكس الحال فيشرع الليل يتناقص والليل في ازدياد حتى يعتدلا
ايضا اول فصل الخريف ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار الى اخر فصل الخريف
ثم يترجح النهار قليلا قليلا ويتناقص الليل شيئا فشيئا حتى يعتدلا في اول فصل الربيع
كما قدمنا وهكذا في كل عام ولهذا قال تعالى وله اختلاف الليل والنهار اي هو
المتصرف في ذلك كله الحاكم الذي لا يخالف ولا يمانع ولهذا يقول في ثلاث ايات
عند ذكر السموات والنجوم والليل والنهار ذلك تقدير العزيز العليم اي العزيز
الذي قد قهر كل شي ودان له كل شي فلا يمانع ولا يغالب العليم بكل شي فقدر كل شي
تقديرا على نظام لا يختلف ولا يضطرب وقد ثبت في الصحيحين من حديث سفين بن عيينه

٢
لحله النهار

عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار وفي رواية
وانا الدهر اقلب ليله ونهاره قال العلماء الشافعي وابي عبيد القسم بن سلام وغيرهما
يسب الدهر اي يقول فعل بي الدهر كذا يا خيبة الدهر ايتم الاولاد وارمل النسا قال
الله تعالى وانا الدهر اي انا الدهر الذي يعنيه فانه فاعل ذلك الذي اسند اليه وهو الدهر
والدهر مخلوق وانما فعل هذا هو الله فهو يسب فاعل ذلك ويعتقده الدهر والله تعالى هو
الفاعل لذلك الخالق لكل شي المتصرف في كل شي كما تقدم قوله وانا الدهر بيدي الامر اقلب
ليله ونهاره وقال تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون
اي فاوت بين الشمس والقمر في نورهما وفي شكلهما وفي وقتهما وفي سيرهما فجعل هذا ضيا وهو
شعاع الشمس برهان ساطع وضوها ظاهر والقمر نورا اي اضعف من برهان الشمس
وجعله مستفادا من ضوءها وقدره منازل اي يطلع اول ليلة من الشهر صغيرا ضئيلا قليل
النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها يكون نوره بحسب هذا في الليلة الثانية يكون ابعد
منها بضعف ما كان في الليلة الاولة فيكون نوره بضعف النور اول ليلة ثم هلم بعد
ازداد نوره حتى يتكامل نوره ليلة مقابلته اياها من المشرق وذلك ليلة اربع عشر
من الشهر ثم يشرع في النقص لاقترابه اليها من الاخرى الى اخر الشهر فيستتر حتى يعود
كما بدا في اول الشهر الثاني فبه تعرف الشهور ومع الشمس تعرف الليالي والايام

وبها

١٦

وبها تعرف السنين والاعوام وقال تعالى يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج ● وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار
مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب فالكواكب
التي في السما منها سيارات وهي المتحيرة في اصطلاح علما التسيير وهو علم غالبه صحيح
بخلاف علم الاحكام فان غالبه باطل ودعوى ما لا دليل عليه وهي سبعة القمر
في سما الدنيا وعطارد في الثانيه والزهرة في الثالثه والشمس في الرابعة والمريخ
في الخامسة والمشتري في السادسه وزحل في السابعة وبقية الكواكب
يسمونها الثوابت وهي عندهم في الفلك الثامن وهو الكرسي في اصطلاح من المتاخرين
وقال اخرون بل الكواكب كلها في سما الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض
وقد يستدل على هذا بقوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
وبقوله فقضاهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سما امرها وزينا السما
الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فخص سما الدنيا من بينهن بزينة الكواكب
فان دل هذا على كونها مرصعة فيها فذاك والا فلا مانع مما قاله الاخرون والله اعلم
وعندهم ان الافلاك السبعة بل الثمانيه تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات
في اليوم والليلة دورة كلية من المشرق الى المغرب وعندهم ان كل واحد من
الكواكب السيارات يدور على خلاف فلكه من المغرب الى المشرق ● فالقمر
يقطع فلكه في شهر ● والشمس تقطع فلكها وهو الرابع في سنة فاذا كان السيران

ليس بينها تفاوت وحركاتها متفاوتة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا ثنتي عشرة
ورجل يقطع فلكه وهو السابع في ثلاثين سنة فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلاثمائة
وستين مرة قال وهب بن منبه خلق الله الشمس من نور عرشه والقمر من نور حجابه
وكان كعب الأحبار يقول يؤتى بهما يوم القيامة على صورة ثورين عقيرين فيقذفان في النار فبلغ
ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال ان الله تعالى اثنى عليهما بقوله وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
فكيف يعذبهما وهما طائعان قال ثم وكل الله تعالى بهما ملائكة يرسلونهما بمقدار فقال
في ذلك يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل فما نقص من احدهما زاد في الآخر وما زاد
احدهما نقص من الآخر وثبت في الصحيح في صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس
وعائشة وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته
ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته وقال
البخاري في بدء الخلق ثنا مسدد ثنا عبد العزيز بن مختار ثنا عبد الله الداناج حدثني ابو سلمة
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر مكوران يوم القيامة انفرد به البخاري
وقد رواه الحافظ ابو بكر البزار بابسط من هذا السياق فقال ثنا ابراهيم بن زياد البغدادي
ثنا يونس بن محمد ثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج سمعت ابا سلمة بن عبد الرحمن
زمن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث
فقال حدثنا ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس والقمر يكوران في النار
يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول

وما ذنبهما ثم قال البزار لا يروى عن ابي هريرة الا من هذا الوجه ولم يروه عبد الله الداناج
عن ابي سلمة سوى هذا الحديث وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو سعيد الاشج ثنا عمر بن
عبد الله الأودي ثنا ابو اسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس اذا الشمس كورت
قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها
نارا فدلت هذه الآثار ان الشمس من مخلوقات الله خلقها لما اراد ثم يفعل فيها ما يشاء
وله الحجة الدامغة والحكمة البالغة لا يسأل عما يفعل لعلمه وحكمه وقدرته ومشيئته النافذة
وحكمه الذي لا يرد ولا يمانع ولا يغالب وفي الكواكب من الثوابت والسيارات الجميع مخلوقة
واما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من ان الزهرة كانت امراة
فراوداها على نفسها فأبت الا ان يعلماها الاسم الاعظم فعلماها فقالته فرفعت كوكبا
الى السماء فهذا اظنه من وضع الاسرائيليين وان كان قد اخرجه كعب الاحبار وتلقاه
عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني اسرائيل وقد
روى الامام احمد وابن حبان في صحيحه في ذلك حديثا رواه احمد عن يحيى بن بكير عن زهير
ابن محمد عن موسى بن جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر القصة بطولها
وفيه فمثلت لهما الزهرة امراة من احسن البشر فجاءتهما وذكر القصة وعن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكر سهيلا فقال كان عشارا ظلوما فمسخه الله شهابا والظاهر
ان ذلك من اخبار بني اسرائيل من رواية ابن عمر عن كعب الاحبار ويكون من خرافاتهم التي لا يعول
عليها والله اعلم **الكلام على المجرة وقوس قزح** قال ابو القاسم الطبراني

ان هرقل كتب الى معوية وقال ان كان بقي فيهم شي من النبوة فسيخبرني عما
اسالهم عنه قال فكتب اليه يساله عن المجرة وعن القوس وعن البقعة التي لم
تصبها الشمس الا ساعة واحدة قال فلما اتى معاوية الكتاب والرسول قال
ان هذا الشي ما كنت آبه له ان اسال عنه الى يومي هذا من لهذا قيل ابن عباس
فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به الى ابن عباس فكتب اليه ان القوس امان
لاهل الارض من الغرق والمجرة باب السما الذي تنشق منه واما البقعة التي
لم تصبها الشمس الا ساعة واحدة فالبحر الذي افرج عن بني اسرايل واسناده
صحيح الى ابن عباس رضي الله عنهما وقال الله تعالى هو الذي يريكم
البرق خوفا وطمعا وينشي السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملايكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا وهم يجادلون في الله وهو شديد
المحال وروى الامام احمد عن يزيد بن هرون عن ابرهيم بن سعد عن ابيه عن شيخ
من بني غفار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ينشي السحاب
فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق
وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا هشام بن عبيد الله الرازي عن محمد بن مسلم قال بلغنا
ان البرق ملك له اربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه اسد
فاذا مصع بذنبه فذاك البرق فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد
والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك

١٦

وروى مالك عن عبد الله بن عمر انه كان اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال
سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته ويقول ان هذا الوعيد شديد
لاهل الارض وروى الامام احمد عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال ربكم لو ان عبيدي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل ولاطلعت
عليهم الشمس بالنهار ولما اسمعتهم صوت الرعد وروى الطبراني عن ابن عباس
مرفوعا اذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذاكرا

فصل فيما جا في الارضين السبع

قال الله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شي قدير وان الله قد احاط بكل شي علما قال البخاري ثنا بشر
ابن محمد ثنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيا من الارض بغير حقه خسف به الى سبع ارضين وفي حديث آخر من ظلم قيد
شبر من الارض طوقه من سبع ارضين وفي حديث آخر من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه
يطوقه يوم القيمة من سبع ارضين رواه البخاري فهذه الاحاديث والآيات الدالة
على اثبات سبع ارضين والمراد بذلك ان كل واحدة فوق الاخرى والتي تحتها في وسطها
عند اهل الهيئة حتى ينتهي الامر الى السابعة وهي صما لا جوف لها وفي وسطها المركز
وهو نقطة مقدرة متوهمة وهو محط الاثقال واليه يهبط من كل جانب اذا لم يعاوقه
مانع واختلفوا هل هن متراكمات بلا تفاصل او بين كل واحدة والتي تليها خلا على قولين

ينتهي ما

وهذا الخلاف جار في الافلاك ايضا والظاهر ان بين كل واحدة منهن وبين الاخرى مسافة
لظاهر قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن الاية
وقال الامام احمد ثنا سريج ثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ مرت سحابة فقال اتدرون ما هذه قال قلنا
الله ورسوله اعلم قال العنان وروايا الارض يسوقه الله الى من لا يشكرونه من عباده ولا يدعونه
اتدرون ما هذه فوقكم قلنا الله ورسوله اعلم قال الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ
اتدرون كم بينكم وبينها قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة خمسمائة عام ثم قال اتدرون
ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم قال سماء اخرى اتدرون كم بينها وبينها قلنا الله ورسوله
اعلم قال مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ثم قال اتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله
اعلم قال العرش اتدرون كم بينه وبين السماء السابعة قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة خمسمائة
عام ثم قال اتدرون ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله اعلم قال الارض اتدرون
ما تحتها قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض اخرى اتدرون كم بينهما قال مسيرة خمسمائة عام
حتى عد سبع ارضين ثم قال وايم الله لو دليتم احدكم الى الارض السابعة السفلى لهبط
ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وقال وهب بن منبه
رضي الله عنه لما خلق الله الارض كادت تميد باهلها كالسفينة فاهبط الله عز وجل
اليها ملكا في نهاية العظم والقوة وامره ان يدخل تحتها فيحملها على منكبيه ففعل ذلك واخرج
احدى يديه من المشرق والاخرى من المغرب وقبض على اطرافها وامسكها ثم لم يكن لقدميه

قرار فخلق الله عز وجل له صخرة مربعة من ياقوتة حمراء في وسطها سبعة الاف ثقب في كل
ثقب منها بحر لا يعلم صفته الا الله تعالى فامر الصخرة فدخلت تحت قدمي الملك واستقرت
قدماه عليها ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله عز وجل لها ثورا عظيما له اربعون الف عين وكذلك
اذان وعيون وانوف وافواه والسن وقوائم ما بين كل اثنين منها مسيرة خمسمائة عام فامره
ان يحمل الصخرة فحملها على ظهره وقوائمه واسم الثور كيوثان ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله
تعالى حوتا عظيما لا يقدر احد ان ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه لو وضعت البحار كلها في
احدى منخريه لكانت كخردلة في ارض فلاة وامر العظيم جل جلاله ان يكون قرارا تحت
الثور ففعل واسم الحوت بهموت ثم جعل قرار الماء وتحت الماء الهوى وتحت الهوا الظلمة وتحت الظلمة الثرى
ثم انقطع علم الخلائق عما هنالك ثم تلى الراوي لهذا الاثر قول الله العظيم له ما في
السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى واما ذهب اليه بعض المتكلمين
على حديث طوقه من سبع ارضين انها سبع اقاليم فهو قول يخالف ظاهر الاية والحديث الصحيح
وكذا ما يذكره كثير من اهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علمائنا من ان هذه الارض من تراب
والتي تحتها من حديد والاخرى من حجارة الكبريت والاخرى من كذا فكل هذا اذا لم يخبر به
ولم يصح سنده الى المعصوم فهو مردود على قائله وكذا الاثر المروي عن ابن عباس انه
قال في كل ارض من الخلق مثل ما في هذه حتى ادم كادمكم وابراهيم كابراهيمكم فهذا
ذكره ابن جرير مختصرا واستقصاه البيهقي في الاسماء والصفات وهو محمول ان صح نقله عنه
على انه اخذه ابن عباس رضي الله عنهما عن الاسرائيليات والله اعلم ○ ○ ○

ثم خلق الله الجبال وذلك لما خلق الله عز وجل الارض جعلت تميد فخلق الجبال
فالقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملايكة من خلق الجبال فقالت يا رب هل من خلقك
شي اشد من الجبال قال نعم الحديد قالت يا رب فهل من خلقك شي اشد من الحديد قال نعم النار
قالت يا رب فهل من خلقك شي اشد من النار قال نعم الريح قالت يا رب فهل من خلقك شي اشد من
الريح قال نعم ابن ادم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله تفرد باخراجه احمد رضي الله عنه وقد
ذكر اصحاب الهيئة اعداد جبال الارض في ساير بقاعها غربا وشرقا وذكروا اطوالها
وبعد امتدادها وارتفاعها واوسعوا القول في ذلك مما يطول شرحه هنا وقد قال
الله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود قال ابن عباس
وغير واحد من المفسرين الجدد الطرايق وقال عكرمة وغيره الغرابيب الجبال الطوال
السود وهذا هو المشاهد من الجبال في ساير الارض يختلف لونه باختلاف بقاعها والوانها
وقد ذكر الله تعالى في كتابه الجودي على التعيين وهو جبل عظيم شرقي جزيرة
ابن عمر الى جانب دجلة بالقرب من الموصل امتداده من الجنوب الى الشمال مسيرة ثلثة ايام
وارتفاعه مسيرة نصف يوم وهو اخضر اللون لان فيه شجرا من البلوط والى جانبه قرية
يقال لها قرية الثمانين لسكنى الذين نجوا من الغرق في سفينة نوح عليه السلام في موضعها فيما
ذكره غير واحد من المفسرين وكان استقرار السفينة بعد هبوط ماء الطوفان على هذا الجبل
اعني الجودي وسميت القرية بالثمانين لان الذين كانوا في السفينة نوح عليه السلام واولاده الثلاثة
سام وحام ويافث وبناتهم العدة ثمانية والمومنين الذين امنوا بنوح عليه السلام رجالا ونسا اثنين وسبعين نفرا

صح

وجبل طور سينا ذكره الله تعالى في كتابه وهو بالقرب من مدينة القلزم وهو جبل مبارك
خاطب الله تعالى عليه موسى عليه السلام ولا يقدر احد من خلق الله تعالى ان ينام فيه ليلا وفيه
الان حصن ومنارة للرهبان ثم يصعد الى الجبل المذكور على ستة الاف وخمسماية مرقاة
وفي اعلاه كنيسة واثار عجيبة وهو الذي جعله الله دكا اذ تجلى عز وجل لموسى عليه
السلام ثم جبل ابو قبيس ثم احد بمكة ثم عرفات ثم اول ما خلق الله جبل قاف
وهو الجبل المحيط بالدنيا وكانت الارض تميد باهلها قبل خلق الجبال كما تقدم قال الله تعالى
وجعل فيها رواسي ان تميد بكم فلولا الجبال لكانت الارض تموج باهلها وعروق
الجبال كلها متصلة بعروق جبل قاف وقيل ان جبل ابو قبيس خلق قبل جبل قاف
والصحيح ان جبل قاف قبله ثم جبل سرنديب وهو من اعظم جبال الدنيا وهو على حافة
وادي سرنديب وفيه من المعادن ما لا يوجد في غيره وفيه الماس وهو باقصى بلاد الهند
ثم جبل طور زيتا وهو جبل عظيم مبارك مطل على القدس الشريف من جهة الشرق وفيه قبر
مريم ومنه رفع الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام الى السما حين قصد اليهود قتله ثم جبل
القمر وهو خلف خط الاستوا يخرج منه عشر انهار تقع الجمه منها في بطيحة عظيمة خلف
خط الاستوا ثم يخرج من كل واحدة اربعة انهار يتصل اثنان منها في بعض الطرق وتصير
ثلثة فتقع في بحيرة عظيمة في الاقليم الاول ثم يخرج منها نهر عظيم نحو بلاد السودان الى
بلاد النوبة حتى ينتهي الى مصر المحروسة ثم يفترق على خليج الى الاسكندرية ودمياط وتنيس
وخلف خط الاستوا من الجبال العظيمة جبل الكستغي وجبل باعادس وجبل

واضلعه صح

وهو نيل مصر صح

درطس وجبل اللكام وجبل استاسب وجبل سودد وجبل منظمين وجبل اوقدبون
وجبل اوكبير وجبل دباسا وجبل شيس وجبل سد ياجوج وماجوج وجبل الياتون
وجبل قاسانا ۞ وجبال كثيرة غيرهن اضربت عنها خوف الاطالة ولولا الملالة
ذكرت كل جبل واحد ومكانه وارتفاعه وطوله وعرضه ثم جبل لبنان ما العرب فرد دمشق
ثم جبل قاسيون نصل ايلبه دمشق حرسها الله وحماها قال ابن كثير في تاريخه عن
الوليد بن مسلم عن ابن ابي العاتكة عن علي بن يزيد عن القسم ابي عبد الرحمن قال اوحى الله تعالى
الى جبل قاسيون ان هب ظلك وبركتك لجبل بيت المقدس قال ففعل فاوحى الله تعالى
اليه اما اذ فعلت فاني سابني لي في حضنك بيتا يعني مسجد دمشق اعبد فيه بعد خراب الدنيا
اربعين عاما ولا تذهب الايام حتى ارد عليك ظلك وبركتك قال الفقير عفا الله عنه لديه المومن
الضعيف المتضرع ۞ **فصل في البحار والانهار** قال الله تعالى
وهو الذي سخر لكم البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى
الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى في الارض رواسي
ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وقال تعالى وما يستوي البحران هذا
عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج والمراد بالبحر الملح المر وهو الاجاج والبحر
العذب هو هذه الانهار السارحة من اقطار الامصار لمصالح العباد قاله ابن جريج
وغير واحد من الائمة والله عز وجل يمتن على عباده بما خلق لهم من البحار والانهار فالبحر
المحيط بسائر اقطار الارض وما ينبثق منه في جوانبها الجميع ملح الطعم مر وفي هذا حكمة عظيمة

لصحة الهوا اذ لو كان حلوا لانتن الجو وفسد الهوا بسبب ما يموت فيه من الحيوانات
فكان يودي ذلك الى تفاني بني ادم ولكن اقتضت الحكمة البالغة ان تكون على هذه الصفة لهذه
المصلحة ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحر قال هو الطهور ماؤه الحل
ميتته واما الانهار فماؤها حلو عذب فرات سائغ شرابها لمن اراد ذلك وجعلها جارية
سارحة ينبعها تعالى في ارض ويسوقها الى اخرى رزقا للعباد ومنها كبار ومنها صغار
بحسب الحاجة والمصلحة وقد تكلم اصحاب علم الهيئة والتسيير على تعداد البحار
والانهار الكبار واصول منابعها والى اين منتهى سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة
الخالق تعالى وانه فاعل بالاختيار والحكمة وقوله تعالى والبحر المسجور فيه قولان احدهما
ان المراد به البحر الذي تحت العرش المذكور في حديث الاوعال في اول هذا الكتاب
وانه فوق السموات السبع بين اسفله واعلاه كما بين سماء الى سماء وهو الذي ينزل منه المطر
قبل البعث فتحيى منه الاجساد في قبورها وهذا القول هو اختيار الربيع بن انس والثاني
ان البحر اسم جنس يعم سائر البحار التي في الارض وهو قول الجمهور واختلفوا في معنى
المسجور فقيل المملو وقيل الذي يصير يوم القيامة نارا تاجج فيحيط باهل الموقف كما ذكره
الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم
وقيل المراد به الممنوع المكفوف المحروس عن ان يطغى فيغمر الارض ومن عليها
فيغرقوا رواه الوالبي عن ابن عباس وهو قول السدي وغيره ويؤيده الحديث الذي
رواه الامام احمد رحمه الله تعالى قال ۞ حدثنا يزيد انا العوام حدثني حوشب حدثني

شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت ابا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال سمعت عمر بن الخطاب
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من ليلة الا والبحر يشرف فيها ثلث
مرات يستاذن الله عز وجل ان ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل ورواه اسحق بن راهويه
عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لمحرسي
ولم يخرج احد من الحرس غيري فاتيت الميناء فصعدت فجعل يخيل الي ان البحر يشرف
يحاذي برؤس الجبال فعل ذلك مرارا وانا مستيقظ فلقيت ابا صالح فقال حدثنا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ليلة الا والبحر
يشرف فيها ثلث مرات ان ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل في اسناده رجل مبهم ذكره ابن كثير
والله اعلم وهذا من نعمه تعالى على عباده ان يكف شر البحر عن ان يطغى عليهم
ويسخر لهم لحمل مراكبهم واثقالهم وتجاراتهم ليبلغوا عليها من اقليم الى اقليم بالتجارات
ويعرفهم فيه بما خلقه في السما والارض من النجوم والجبال التي جعلها لهم علامات
يهتدون بها في سيرهم وبما خلق فيه من اللالي الحسنة الثمينة والجواهر النفيسة العزيزة
التي لا يوصل الا فيه وبما خلق فيه من الدواب الغريبة واحلها لهم حتى ميتتها وفي الحديث
احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال رواه احمد وابن ماجه
وفي اسناده نظر قال علماء التفسير المتكلمون على العروض والاطوال
والبحار والجبال والمساحات وما في الارض من المدن والخراب والعمارات والاقاليم السبعة
الحقيقية في اصطلاحهم والاقاليم المتعارفة العرفية وما في البلدان والاقاليم من الخواص والنباتات

والانهار

وما يوجد

وما يوجد في كل قطر من اصناف المعادن والتجارات قالوا والارض مغمورة
بالما العظيم الا مقدار الربع منها وهو تسعون درجة والعناية الالهية اقتضت انحسار
الما عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزروع والثمار منها كما قال
تعالى والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام والحب ذو العصف
والريحان فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا والمعمور من هذا البادي قريب الثلثين
منه او اكثر قليلا وهو خمس وستون درجة قال البحر المحيط الغربي ويقال له اوقيانوس
وهو البحر العظيم الذي منه مادة البحار ولم يعرف له ساحل وهو يتاخم بلاد المغرب
وفيه الجزاير الخالدات وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريبا وهذا البحر
لا يمكن سلوكه ولا الركوب فيه لكثرة موجه واغتلامه وما فيه من الرياح والا
وليس فيه صيد ولا يستخرج منه شي ولا يسافر فيه لمتجر ولا لغيره وهو آخذ في ناحية
الجنوب حتى يسامت جبال القمر التي منها اصل منبع النيل ويتجاوز خط الاستواء ثم يمتد
شرقا ويصير جنوبي الارض وفيه هناك جزاير الزنج وعلى سواحله خراب كثير ثم يمتد
شرقا وشمالا حتى يتصل ببحر الصين والهند ثم يمتد شرقا حتى يسامت نهاية الارض الشرقية
المكشوفة وهناك بلاد الصين ثم ينعطف في شرقي الصين الى جهة الشمال حتى يجاوز
بلاد الصين ويسامت سد ياجوج وماجوج ثم ينعطف ويستدير على اراضي غير معلومة
ثم يمتد مغربا في شمالي الارض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها وينعطف مغربا وجنوبا
ويستدير على الارض ويعود الى جهة الغرب وينبثق من الغربي الى متن الارض الزقاق

مواج

الذي ينتهي اقصاه الى اطراف الشام من الغرب ثم ياخذ في بلاد الروم حتى يتصل
بالقسطنطينية وغيرها من بلادهم وينبعث من المحيط الشرقي بحار اخر فيها جزاير كثيرة
حتى انه يقال ان في بحر الهند الفا وسبعماية جزيرة فيها مدن وعمارات سوى
الجزاير العاطلة ويقال لهذا البحر الاخضر فشرقيه بحر الصين وغربيه بحر اليمن
وشماليه بحر الهند وجنوبيه غير معلوم وذكروا ان بين بحر الهند وبحر الصين
جبالا فاصلة بينهما وفيها فجاج مسالك للمراكب يسرها لهم الذي خلقها كما جعل
مثلها في البراري قال الله تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم وجعلنا
فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون وتذكر بطلميوس احد ملوك الهند في كتابه
المسمى بالمجسطي الذي عرب في زمن المامون وهو اصل هذه العلوم ان البحار المنفجرة من
المحيط الغربي والشرقي والجنوبي والشمالي كثيرة جدا ومنها ما هو واحد ولكن
يسمى بحسب البلاد المتاخمة له فمن ذلك بحر القلزم نسبة على ساحله قريبة من ايلة
وهو شعبة من بحر الهند جنوبيه بلاد البربر والحبشة والقلزم مدينة على ساحله [illegible]
يسمى البحر وهذا البحر هو الذي اغرق الله تعالى فيه فرعون وجنوده وهو متصل بالبحر
بالبحر الاخضر الذي فيه جزاير الهند وابتدا بحر القلزم من مدينة القلزم فيمر اخذا الى الجنوب
الى جدة وينعطف على مدن صنعا وعدن وحضرموت ويحيط ببلاد اليمن حتى ينتهي
الى عمان ثم ينعطف وينصب في الغرب الى هجر والبحرين ثم يرجع الى الشرق على مدن العراق
وهذا بحر العراق حتى ينتهي الى كرمان فيمر على بلادها ثم يمر على بلاد السند اخذا الى الشرق

الى بلاد الهند ثم يرجع الى الجنوب فيحيط بمداين الهند الواغلة ثم يرجع اخذا الى الشرق
في الجنوب فيحيط بمداين الصين وهذه المدينه وهي القلزم في الاقليم الثالث ومنها يحاذي
البحر الى جدة والحجاز فيقال بهذه المدينه جرى وبين القلزم وبين مصر مسيرة ثلثة ايام في
مفازة لا عمارة فيها ولا ماء وهو يخص التيه التي تاهوا فيه بنو اسرائيل وهو الذي شقه
شقه الله عز وجل لموسى حين جاوز ببني اسرائيل البحر وفيه غرق فرعون وجنوده وجاوز منه
واثر باق على مجرى من جهل البحر وهذا الموضع قليل ما تسلم فيه المراكب قالوا وكان
بين البحر واليمن جبل يحول الماء عنها ويمنع انتشاره في ارض اليمن وكان بين البحر واليمن مسافة
فقد بعض الملوك ذلك الجبل بالمعاول ليدخل منه خليج صغير يهلك به بعض اعاديه
فقطع من الجبل قدر ما يسير ثم اطلق فطغى الماء في ارض اليمن وعجزوا عن استدراكه
فاهلك امما كثيرة واستولى الماء على بلاد كثيرة وصار بحرا عظيما ودخل الى بلاد اليمن
وجدة وجاز وينبع ومدين مدينة شعيب عليه السلام وايلة وهو بين بحر الهند وبلاد
والزنج قال الملك المؤيد ويأخذ هذا البحر من القلزم جنوبا مايلا الى الشرق حتى يمر عند
القصير وهي فرضة قوص ثم ياخذ جنوبا مايلا يسيرا الى الغرب ويصل عند عيذاب ثم يمر
على سواكن وهي مدينة للسودان ثم يمر بجزيرة دهلك ثم يمر على سواحل الحبشة ويصل
الى ابن جبل المندب وهو نهاية بحر القلزم عند فمه من بحر الهند ويتقارب جبل المندب وبر عدن
ويتضايق البحر بينهما ضيقا حتى يرى الرجل صاحبه من البر الاخر وهذا المضيق يسمى باب المندب
ثم يمر على عدن وسواحل اليمن وسواحل الينبع ثم يرجع جنوبا الى الطور وهو مكان خط

واملاح بين ذراعين من البحر وبحر القلزم اذا تجاوز القصير اتسع الى جهتي الجنوب والشرق
حتى يكون اتساعه سبعون ميلاً وتسمى تلك القطعة المتسعة بركة الغرندل **وفيه**
من الجزائر جزيرة الطيب وفيها اشجار الطيب وهي كثيرة الحيات والعقارب ولا يجتنى منه
ثلث الزمن الصيف ولا الربيع ولا الخريف لالتفاف الاشجار والاغصان والاوراق
فاذا كان فصل الشتاء وسقط الورق وانجحرت الحيات من شدة البرد فحينئذ يجتنى اصناف
الطيب الا القرنفل فانه لا يجتنى وانما يأتي نوار في السيول من جبال عظيمة لا يتوصل
اليها وفيها ينتقل اليها جبل القرود وجزيرتها تقابل بلاد اليمن وهي يرد لها ذباب
يتخذه اهل اليمن تحرس حوانيتهم وابوابهم وهذه الجزيرة اعني جزيرة القرود لا يتم الا
الاله لا تقدر على القرود ولانها تطلع على التجار وترميهم بالحجارة فتهرب عنها **بحر**
الخزر وهو بحر جرجان وطبرستان وفيه قطعة برية ما طلعوا فوقها على الخبر
به الى ان يرون عنه ذكره ابن سعيد في التاريخ قال اهل الهيئة هو بحر متبدد الشكل
الى الطول وقيل انه مثلث كالقلع وليس هو متصل بشيء من البحر المحيط بل منفرد
وحد طوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة وقيل اكثر من ذلك وجرجان وطبرستان
على شرقيه وشماله بلاد الخزر وفي غربيه اللان والجبل والديلم وهو بحر عظيم واسع
لا اتصال له بشيء من البحور على وجه الارض فلو ان دار طاف بجزائر البحر لرجع الى المكان
الذي ابتدأ منه وهو صعب المسالك سريع المهالك كثير الاضطراب شديد الامواج
لا مد فيه ولا جزر ولا يرتفع منه شيء من اللآلي والجواهر وجزائر غير مسكونة لكن فيها غياض

ومياه

ومياه واشجار مثمرة وغير مثمرة وليس بها انيس وقد دون الف فرسخ وخمسمائة فرسخ والله اعلم
بحر الروم وهو بحر المغرب وبحر الشام وهو البحر الخارج من اوقيانوس في
جهة الشرق يمتد مشرقاً ويمر شمالي الاندلس ثم بلاد الفرنج الى القسطنطينية ويمتد
من جهة الجنوب الى البلاد اولها سلا ثم سبتة وطنجة الى طرابلس والاسكندرية ثم سواحل
الشام الى انطاكية قال الشيخ عماد الدين ابن كثير رحمه الله تعالى ان بحر نيطس هو البحر
الازرق مدينة على شاطئه وهو بحر القرم اتصل ويتضايق حتى يصب في بحر الروم عند
جنوبي القسطنطينية وهو الخليج القسطنطيني ولهذا تسرع المراكب في سيرها
من القرم الى بحر الروم وتبطئ اذا جاءت من الاسكندرية الى القرم لاستقبالها جريان
الماء وهذا من العجائب في الدنيا فان كل ما جار فهو حلو الا هذا وكل بحر راكد
فهو ملح اجاج الا ما ذكرناه عن القطعة بحر الخزر وهو بحر جرجان وطبرستان
وهي قطعة يجري ما طوا فراتا **قال الملك المؤيد** وهو يخرج من طنجة وسبتة ويعبر
من بر العدوة وبين الاندلس ويسمى هناك بحر الزقاق وهو هناك ضيق وكان في الزمن
القديم سعة الزقاق وهو من بر العدوة الى بر الاندلس عشرة اميال واما في زماننا هذا
فانه اتسع عن ذلك ويقال الآن ثمانية عشر ميلاً وفيه من الجزائر العظيمة جزيرة اندلس
وميورقة وصقلية واقريطش وقبرس ورودس ورومية والانقيه وهي قرص
والماغوصة ثم يمر في الشرق على مدائن العواصم وباكور ومليلة ثم يجي الى الاسكندرية ...
ثم ينتهي الى الشرق فيمر على العواصم ثم يرجع الى البلاد عمورية والرقيم وارمينية واذربيجان

حتى ينتهي الى باب الابواب عند بحر خراسان ثم ينعطف ايضاً الى الغرب حتى ينتهي الى
بلاد الروم ويحيطها ولا يزال الى ان ينتهي الى باب الاندلس من جهة الجنوب وفي بحر الروم جزاير
من اول الجزاير ميورقة ومنورقة مقابل الاندلس وجزيرة سردانيه مقابل رومية
الكبرى وجزيرة صقليه هي مقابل طرابلس وجزيرة رودس مقابل مدينة الاسكندرية
وجزيرة قبرس هي مقابل الشام المحروس وبلاد بحر الصين هو بحر الهركند
وهو متصل بالمحيط آخذ من الشرق الى القلزم ومنه الى المغرب ليس في العالم بحر
اكبر منه الا المحيط وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق وفيه المد
والجزر واذا قرب هيجانه يستدل على ذلك بارتفاع السمك من قعره الى وجه
الماء واذا قرب سكونه يبيض طاير مشهور عندهم بعوّاد البحر وهذا الطاير
لا يصير الى الارض ابداً ولا يعرف غير لجة البحر وفي هذا البحر من الجزاير ما لا يحصى
وفيه مغاص الدر في الماء العذب يقع فيه الحب الجيد وفي جزايره ينبت الذهب
وفيه حيوانات عجيبة وفيه معادن الجوهر وفيه الدردور وهو موضع
يدور فيه الماء اذا وقعت فيه سفينة لا تخرج منه ابداً قال الملك المؤيد
صاحب حماه في تاريخه ان جزيرة سرنديب اذا طلع الانسان منها طالباً بلاد
بلاد الصين الشرقية واجهته في البحر جبال معترضة داخلة في البحر مسيرة
عشرة ايام وفي تلك الجبال ابواب وفروج تخرج المراكب منها وكل باب منها
يفضي الى بلد من بلاد الصين. بحر الهند وهو الاخضر

وهو

وهو اعظم البحار واوسعها ولا علم لاحد بموضع اتصاله بالبحر المحيط ويتشعب
منه خلجان واعظمها بحر فارس والقلزم فالآخذ منه نحو الشمال بحر فارس والآخذ
منه نحو الجنوب بحر الزنج قال الملك المؤيد بحر الهند حاله مخالف لبحر فارس
لانه عند نزول الشمس برج الحوت يشتد بالظلمة وكثرة الامواج فلا يركبه
احد لظلمته وصعوبته ولا يزال كذلك الى وقت قرب الاستواء الخريفي
واشد ما تكون ظلمته عند نزول الشمس برج الجوزاء فاذا صارت الشمس
الى السنبلة يقل ذلك وتنقص ظلمته وامواجه ويلين ظهره ويسهل ركوبه
الى ان تصير الشمس الى الحوت والين ما يكون عند نزول الشمس برج العقرب
وفي هذا البحر من العجايب والجزاير والنباتات والحيوانات ما لا يحصى وفيه من الامم
ما لا يحصى عددهم وفيه الف وسبعمايه جزيرة عامرة غير الخراب وفيه جزيرة
سرنديب وهي عظيمة وفيها مدن كثيرة وفيها الجبل الذي هبط عليه آدم
عليه السلام وفيه اثر قدمه نحو من سبعين ذراعاً في صخرة صلدا ذكر ذلك
اسحق بن الحسين بن ابي الحسين الزيات الفيلسوف في كتابه نزهة النفوس وانس
الجليس في صفة الارض ووضع الاقاليم والمعمور من الارض والمدن وعلى
هذا الجبل نور يلمع وحول الجزيرة كثير اشجار الطيب وفيها مغايص الجوهر
النفيس في البحر واكثر اهلها مجوس يعبدون النار واذا مات الرجل منهم
يجر على الارض ثم يحرق بحضرة اهله وبالقرب منها جزيرة العراة وهي من

جزاير الهند وهي كثيرة اشجار الموز والعادرق عظيم يتترددون به وهم قوم
متوحشون في الغياض والاشجار كلامهم الصفير لا يفهم وشعرهم يغطي
اجسامهم وطعامهم ثمر الاشجار ○ بحر فارس ○ هو شعبة من
بحر الهند من اعظم الشعب وهو بحر مبارك كثير الخير ولم يزل ظهره مركوبا
واضطرابه وهيجانه اقل من سائر البحار وفيه المد والجزر والماء فيه من سبعة
ذراعا الى ثمانين وفيه مغاص اللؤلؤ الجيد الفائق الذي لم يوجد مثله في البحار
وفي جزائره معدن العقيق وانواع اليواقيت والسنباذج ومعادن الذهب
والفضة والحديد والنحاس وانواع الطيب والافاويه وفيه الدردور
وفيه حيوانات عجيبة ومد وجزر في كل يوم وليلة وهو ان يرتفع نحو
عشرة اذرع ثم ينبسط حتى يرجع الى مقداره الاول بحر الزنج هو بحر
الهند بعينه وبلاد الزنج منه في نحو الجنوب تحت سهيل ومن ركب هذا البحر
يرى القطب الجنوبي وسهيلا ولا يرى القطب الشمالي ابدا وعلى ساحله بلاد البربر
وهم طائفة من السودان غير الذين هم بالمغرب ثم يمتد بر البربر على ساحل بحر
الزنج الى عدن واقصى هذا البحر يتصل بالمحيط وموجه عظيم كالجبال الشواهق
وخوطه كالخطاطيف من الاودية ولا ينكسر موجه ولا يظهر له زبد كسائر
امواج البحار ويزعمون انه موج مجنون وبه جزائر واسعة وفيها غياض واشجار
كثيرة لكنها غير ذات ثمر وانما هي شجر الابنوس والصندل والساج والقنا

ومن

ومن سواحله يلتقط العنبر وربما توجد منه قطعة كتل عظيم ○ ○
وفي جزائره جزيرة بها قوم عراة صورهم هائلة وهم وحوش بني ادم ويأكلون
من يقع اليهم من الناس ومن ورائهم الجبال ومن وراء الجبال البحر الاعظم وفيه
عجائب عظيمة ودواب هائلة يصنع اهل الهند من عظامهم الحوائط لابنيتهم وهو بحر
عظيم لا يهتدى فيه الا بالنجوم ولا يعلم ما وراءه في جهة الجنوب وقال
كعب الاحبار خلق الله سبعة ابحر اولها البحر المحيط وهو اوقيانوس ومن ورائه
بحر اسمه نيطس ومن ورائه بحر اسمه الاصم ومن ورائه بحر اسمه المظلم ○ ومن
ورائه بحر اسمه المرماس ○ ومن ورائه بحر اسمه الساكن ○ ومن ورائه بحر
اسمه الباقي وقيل الباكي وهو آخر البحار محيط بالجبل وفي هذه البحار من الخلائق
والدواب والعجائب ما لا يعلمه الا الله تعالى قال وهب خلق الله تعالى
هذه البحار وما فيها في اليوم الثالث ثم خلق ارزاقها في الرابع بدليل قوله تعالى
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسائلين واما الانهار
فليست تحتمل الا على ما يتعلق بالانهار الواردة ذكرها في الحديث في الصحيحين من
طريق قتادة عن انس بن مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما ذكر سدرة المنتهى قال فاذا يخرج من اصلها نهران باطنان ونهران
ظاهران فاما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ○ وفي
لفظ البخاري عنصرها اي مادتها او شكلها وعلى صفتها ونعتها وليس في

الذي مما في الجنة الا الاسما وفي صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن خبيب بن
عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة وقال الامام احمد ثنا ابن نمير
ويزيد انا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجرت اربعة انهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان وهذا اسناد صحيح
على شرط مسلم وكان المراد والله اعلم من هذا ان هذه الانهار تشبه انهار الجنة
في صفائها وعذوبتها وجريانها ونحو ذلك كما قال في الحديث الاخر الذي رواه الترمذي
وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم اي تشبه ثمر الجنة لا انها مجتناه
من الجنة فان الحس يشهد بخلاف ذلك فتعين ان المراد غيره وكذا قوله صلى
الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فابردوها بالما البارد وكذا قوله اذا اشتد الحر
فابردوا عن الصلوة فان شدة الحر من فيح جهنم وكذا هذه الانهار اصل منابعها
مشاهد من الارض اما النيل وهو النهر الذي ليس في انهار الدنيا له نظير في
خفته ولطافته وبعد مسراه فيما بين مبتداه الى منتهاه فمبتداه من جبال
القمر اي البيض ومنهم من يقول جبال القمر بالاضافة الى الكوكب وهي غربي الارض
وراء خط الاستوا في الجانب الجنوبي ويقال انها حمر ينبع من بينها عيون ثم تجتمع من
عشر مسيلات متباعدة ثم تجتمع دلخته منها في بحيرة ثم يخرج منها انهار ستة ثم تجتمع

في اخرى

دلخته منها في بحيرة ثم يخرج منها نهر واحد وهو النيل فيمر على بلاد السودان الحبشة
ثم على النوبة ومدينتها العظمى دنقلة ثم على اسوان ثم يقبل على ديار مصر وتحمل اليها
من بلاد الحبشة زيادات امطارها واجترف من ترابها وهي محتاجة الى ذلك لان مطرها قليل
لا يكفي زروعها واشجارها وتربتها رمال لا تنبت شيئا حتى يجي النيل بزيادته وطينه فتنبت
فيه ما يحتاجون اليه وهي من احق الاراضي بدخولها في قوله تعالى اولم يروا انا نسوق
الما الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ثم يجاوز
النيل مصر قليلا فيفترق شطرين عند قرية على شاطيه يقال لها شطنوف فيمر الغربي
منه على رشيد فيصب في البحر المالح واما الشرقي فيفترق ايضا عند جوجر فرقتين تمر
الفرقة الغربية على دمياط من غربيها ويصب في البحر والفرقة الشرقية تمر على اشمون
طناح فيصب هناك في بحيرة شرقي دمياط يقال لها بحيرة تنيس وبحيرة دمياط وهذا
بعد عظيم فيما بين مبتداه الى منتهاه ولهذا كان الطف المياه قال ابن سينا
له خصوصيات دون سائر مياه الارض فمنها انه ابعدها مسافة من مجراه الى
اقصاه ومنها انه يجري على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب ولا اوحال
ومنها انه لا يخضر فيه حجر ولا حصاة وما ذاك الا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته
ومنها ان زيادته في ايام نقصان سائر الانهار ونقصانه في ايام زيادتها وكثرتها
وقد قال الله تعالى واخرجناهم من جنات وعيون يعني من ارض مصر وعن عبد الله بن عمرو
قال كانت الجنات بحافتي النيل من الجهتين جميعا من اسوان الى رشيد وبين الجنات زرع

ولطفها لبعد جريانه

وللنيل سبعة خلجان خليج الاسكندرية ○ وخليج سخا ○ وخليج دمياط ○ وخليج سردوس
وخليج منف ○ وخليج الفيوم ○ وخليج المنهى ○ متصلة لا ينقطع منها شيء والزروع
بين الخلجان كلها وكانت ارض مصر تروى من ستة عشر ذراعا بما قدروا ودبروا
من قناطرها وجسورها وخلجها ولذلك سمي النيل اذا بلغ ستة عشر ذراعا نيل السلطان
ويخلع على ابن ابي الرداد وهذه الحال مستمرة الى الآن وانما قيل نيل السلطان لانه
حينئذ يجب الخراج على الناس وكانت ارض مصر جميعها تروى من اصبع واحد من سبعة
عشر ذراعا وكان اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا ونودي عليه اصبع واحد من ثمانية
عشر ذراعا زاد في خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونودي عليه اصبع واحد
من تسع عشر نقص خراجها الف الف دينار ○ وسبب هذا ما كان يصرف من الاموال
في عمل الخلجان والجسور والاهتمام بعمارتها فاما الآن فان اكثرها لا يروى
حتى ينادى اصابع من تسعة عشر ذراعا بمقياس مصر فاما اعمال الصعيد الاعلى
فانه لا يستكمل ريه الا بعد دخول الماء في الذراع الثاني والعشرين بالصعيد الاعلى
واما زماننا هذا فارض مصر جميعها لا تروى الا من عشرين ذراعا واصابع لعلو الارض وعدم
الاهتمام بعمارة الجسور وهو من عجائب الدنيا واذا كثرت خلجان جميع البلاد وزكت
الا جميع الارض وبقي البلاد الا اطلام لا يوصل اليها الا بالمراكب وروي عن عبد الله بن
عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله تعالى له كل نهر بين
المشرق والمغرب وذلل له الانهار فاذا اراد الله تعالى ان يجريه امر الله تعالى كل نهر ان يمده

فتمده بمائه وفجر الله له عيونه فاذا انتهى الى ما اراد الله تعالى اوحى الله تبارك وتعالى
الى كل ماء ان يرجع الى عنصره وقال قيس بن الحجاج لما افتتحت مصر اتى اهلها
الى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من اشهر القبط فقالوا له ايها الامير ان لنيلنا
هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من
هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وحملنا عليها من الحلي والثياب
افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان
الاسلام ليهدم ما قبله فاقاموا بؤونة وابيب ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا وهموا
بالجلاء فلما راى ذلك عمرو بن العاص كتب الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فاعلمه بالقضية فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه انك قد اصبت بالذي فعلت
وبعث اليه ببطاقة داخل كتابه وامره ان يلقيها في النيل فلما وصل الكتاب اخذ البطاقة
ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر بن الخطاب امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت انما تجري
من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسال الله الواحد
القهار ان يجريك قال فالقى البطاقة قبل الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلاء والخروج
منها لانهم لا تقوم مصلحتهم فيها الا بالنيل فلما القى البطاقة في النيل اصبحوا يوم الصليب
وقد اجراه الله تعالى في ليلة واحدة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السنة عن اهل
مصر الى الآن وقال بعض الشعراء في وصف النيل ○

النيل قال وقوله اذ قال يا بحري ... في غيض من طلب الغلا عم البلاد منافعي

[illegible]

وقال صلاح الصفدي في ذلك

قالوا علا نيل مصر في زيادته ... حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب في بلادكم ... ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال مجير الحلبي

وفي النيل اذ وفى البسيطة حقها ... وزاد على ما جاءه من صنايع
فماذا يقول الناس في جود منعم ... يشار الى انعامه بالاصابع

وقال بعضهم في ذلك

ان مصر الاطيب الارض عندي ... ليس في حسنها البديع التباس
فاذا قستها بارض سواها ... كان بيني وبينك المقياس

واما الفرات فاصلها من شمالي اردن الروم فيمر الى قرب ملطيه ثم تمر على شميشاط ثم على البيرة قبليها ثم تشرق الى بالس وقلعة جعبر ثم الى الرقة ثم الى الرحبة شماليها ثم الى عانة ثم الى هيت ثم الى الكوفة ثم يخرج الى فضا العراق ويصب في بطايح كبار اي بحيرات ويرد اليها ويخرج منها انهار كبار معروفة واما سيحان ويقال له سيحون ايضا فاوله من بلاد الروم ويجري من الشمال والغرب الى الجنوب والشرق وهو غربي مجرى جيحان وهو بلاد الارمن التي تعرف اليوم ببلاد سيس وقد كانت في اول الدولة الاسلامية في ايدي المسلمين فلما تغلب الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام واعمالها عجزوا عن صونها عن الاعدا فتغلب المتغفور الارمني لعنه الله على نحو

[illegible]

البلاد اعني بلاد سيس في حدود الثلاثمائه ثم الآن عادت الى اليد الاسلامية ولله الحمد ثم يجتمع سيحان وجيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا ثم يصبان في بحر الروم بين اياس وطرسوس واما جيحان ويقال له جيحون ايضا ويقال له جاهان واصله من بلاد الروم ويمر في بلاد سيس من الشمال الى الجنوب وهو قدر الفرات في القدر ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهرا واحدا فيعدوا ثم يصبان في البحر عند اياس وطرسوس والله اعلم واما بقية الانهار ببلاد الشام والروم والعراق والصين والهند فقد اضربت عن ذكرها في هذا الكتاب طلبا للاختصار ○

فصل في ذكر خلق الملايكة وصفاتهم عليهم السلام

قال الله تعالى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملايكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم ○ وقال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وقال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ○ وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ○ وقال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع ○ وقال تعالى ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا ○ وقال تعالى من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ○ وقال بعض من الكتاب بديع في الكتاب الذي قدر الله تعالى هذا حال الذوات والنظرات فما ظنك بالافلاك والكواكب والهوا والغيوم والرياح والامطار والجبال كالقفار والبحار والعيون والانهار والحلان والنبات والحيوان فما الملايكة لصالح العالم وجمال الموجودات بتقدير العزيز العليم الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا محال للعقل في امر الملايكة الا بالطريق المعلوم والله اعلم ○

[illegible]

يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة
غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والآيات في ذكر الملائكة كثيرة
جدا وصفهم تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الاشكال وقوة
التشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا
يعملون السيئات الآيات فذكر غير واحد من العلما في التفسير من ان الملائكة
تبدوا لهم في صورة شباب حسان امتحانا واختبارا حتى قامت على قوم لوط الحجة واخذهم
الله اخذ عزيز مقتدر وكذلك كان جبريل عليه السلام ياتي الى النبي صلى الله عليه وسلم في
صفات متعددة فتارة ياتي في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة اعرابي وتارة في
صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب فانه صلى
الله عليه وسلم رآه مرتين مرة منهبطا من السما الى الارض ومرة عند سدرة المنتهى عندها جنة
المأوى وهو قوله تعالى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالافق الاعلى
ثم دنا فتدلى اي جبريل كما ذكر عن غير واحد من الصحابة منهم ابن مسعود وابو
وابو ذر وعايشة رضي الله عنهم فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى
اي الى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى وقد ذكر في
احاديث الاسرا في سورة سبحان ان سدرة المنتهى في السما السابعة وفي رواية في السادسة

اي اصلها وفروعها فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشيها قيل غشيها نور الرب
جل جلاله وقيل غشيها فراش من ذهب وقيل غشيها الوان متعددة كثيرة غير منحصرة
وقيل غشيها الملائكة مثل الغربان وقيل غشيها من الله امر فلا يستطيع احدا
ان ينعتها اي من حسنها وبهائها ولا منافاة بين هذه الاقوال اذ الجميع يمكن حصوله
في حال واحد وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت الى سدرة
المنتهى فاذا نبقها كالقلال وفي رواية كقلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة
واذا يخرج من اصلها نهران باطنان ونهران ظاهران فاما الباطنان ففي الجنة
واما الظاهران فالنيل والفرات وقد تقدم الكلام عليهما وفيه ثم رفع لي
البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم
وذكر انه وجد ابرهيم الخليل عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور ووجه
المناسبة في ذلك لان البيت المعمور في السما السابعة بمنزلة الكعبة في الارض وقد
روى سفيان الثوري وشعبة والاحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان ابن
الكوا سال علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن البيت المعمور فقال هو مسجد
في السما يقال له الضراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمته في السما كحرمة البيت
في الارض يصلي فيه كل يوم سبعون الف من الملائكة لا يعودون فيه ابدا
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت المعمور في السما يقال له
الضراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون

الف ملك ثم لا يردونه قط وان له في السما حرمة على قدر حرمة مكة يعني في الارض
وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن انس والسدي وغير واحد
وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه هل تدرون
ما البيت المعمور قالوا الله ورسوله اعلم قال فانه مسجد في السما بحيال الكعبة لو خر
لخر عليها يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم
وزعم الضحاك انه يعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة ابليس
لعنه الله كانه يقول سدنته وخدامه منهم والله اعلم ذكره لك ابن كثير وقال
آخرون في كل سما بيت تعمره ملائكتها بالعبادة فيه ويفدون اليه بالنوبة والبدل
كما يعمر اهل الارض البيت العتيق بالحج في كل عام والاعتمار في كل وقت والطواف
والصلاة في كل حين وقال سعيد بن يحيى بن سعيد في اوائل كتابه المغازي
ثنا ابو عبيد في حديث مجاهد ان الحرم حرام مناه يعني قدره من السموات السبع وانه رابع
اربعة عشر بيتا في كل سما بيت وفي كل ارض بيت لو سقطت سقط بعضها على بعض
ثم روى عن مجاهد قال مناه اي مقابله وهو حرف مقصور فعلى هذا السبعون الف
من الملائكة الذين يدخلون الى البيت المعمور في كل يوم ثم لا يعودون اليه آخر
ما عليهم اي لا يحصل لهم نوبة فيه الى آخر الدهر يكونون من سكان السما السابعة
وحدها ولهذا قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقال الحافظ ابو
القسم الطبراني ثنا حسين بن عرفة المصري ثنا عمرو بن مرزوق الرقي ثنا عبيد الله بن

عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطا بن ابي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف
الا وفيه ملك قايم او ملك ساجد او ملك راكع فاذا كان يوم القيمة قالوا جميعا
ما عبدناك حق عبادتك الا انا لم نشرك بك شيا فدل على انه ما من
موضع في السموات السبع الا وهو مشغول بالملايكة في صنوف العبادة منهم من
هو قايم ابدا ومنهم من هو راكع ابدا ومنهم من هو ساجد ابدا ومنهم من هو في صنوف
اخر الله اعلم بها وهم دايبون في عبادتهم وتسبيحهم واذكارهم واعمالهم التي امرهم
الله بها ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن
الصافون وانا لنحن المسبحون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون
كما تصف الملايكة عند ربها قالوا وكيف يصفون قال يكملون الصفوف الاول
ويتراصون في الصف وقال فضلنا على الناس بثلاث جعلت لنا الارض مسجدا
وتربتها لنا طهورا وجعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وكذلك ياتون يوم القيمة
بين يدي الرب جل جلاله صفوفا كما قال تعالى وجا ربك والملك صفا صفا
ويقفون صفوفا بين يدي ربهم عز وجل يوم القيمة كما قال تعالى يوم يقوم الروح
والملايكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا والمراد بالروح
ههنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقتادة وقيل ضرب من الملايكة يشبهون بني آدم
في الشكل قاله ابن عباس بخلف وقيل جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك

وقيل ملك يقال له الروح بقدر جميع المخلوقات قاله علي بن ابي طالب عن ابن عباس
قوله يقوم الروح قال هو ملك من اعظم الملايكة خلقا وقال ابن مسعود الروح
في السما الرابعة هو اعظم من السموات والجبال ومن الملايكة يسبح كل يوم اثني عشر
الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا من الملايكة يجي يوم القيمة صفا وحده وهذا
غريب جدا حكاه ابن كثير في تاريخه وقال الطبراني ثنا محمد بن عبد الله بن عرس
المصري ثنا وهب الله بن رزق ابو هريرة ثنا بشر بن بكر ثنا الاوزاعي حدثني عطا عن عبد الله
ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لله ملكا
لو قيل له التقم السموات والارضين بلقمة واحدة لفعل تسبيحه سبحانك حيث كنت
وهذا ايضا حديث غريب جدا وقد يكون موقوفا وذكر ابن كثير في صفة حملة
العرش عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان
احدث عن ملك من ملايكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعماية عام رواه ابو داود ورواه ابن ابي حاتم ولفظه تخفق الطير سبعماية
عام وقد روي في صفة جبريل عليه السلام امر عظيم قال الله تعالى علمه شديد
القوي قالوا كان من شدة قوته انه رفع مداين قوم لوط وكن سبع بمن فيها من الامم
وكانوا قريبا من اربعماية الف وما معهم من الدواب والحيوانات وما لهم من
الاراضي والمعتملات والعمارات وغير ذلك رفع ذلك كله على طرف جناحه
حتى بلغ بهن عنان السما حتى سمعت الملايكة نباح كلابهم وصياح ديكتهم

ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا شديد القوي وقوله ذو مرة اي ذو خلق حسن
وبها وسنا كما قال تعالى في الاية الاخرى انه لقول رسول كريم اي جبريل
رسول من الله كريم اي حسن المنظر ذي قوة اي له قوة وباس شديد عند ذي العرش
مكين اي له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله تعالى ذي العرش المجيد مطاع ثم
امين اي مطاع في الملا الاعلا امين اي ذو امانة عظيمة ولهذا كان هو
السفير بين الله وبين انبيايه عليهم السلام الذي ينزل عليهم بالوحي فيه الاخبار
الصادقة والشرايع العادلة وقد كان ياتي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينزل عليه في صفات متعددة كما قدمنا وقد راه على صفته التي خلقه الله
عليها مرتين له ستماية جناح كما روى البخاري عن طلق بن غنام عن زايدة عن
الشيباني قال سالت زرا عن قوله فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده
ما اوحى قال ثنا عبد الله يعني ابن مسعود ان محمدا صلى الله عليه وسلم له ستماية جناح
وقال الامام احمد ثنا يحيى بن آدم ثنا شريك عن جامع بن ابي راشد عن ابي وايل
عن عبد الله قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستماية جناح
كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ○
ومن صفة اسرافيل عليه السلام وهو احد حملة العرش وهو الذي ينفخ في الصور
بامر ربه نفخات ثلث الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث
كما سياتي بيانه في موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه

راى جبريل

والصور قرن ينفخ فيه كل دارة منه كما بين السما والارض وفيه مواضع ارواح
العباد حين يامر الله تعالى بالنفخ للبعث فاذا نفخ تخرج الارواح من كل ثقب فيقول
الرب جل جلاله وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح الى البدن الذي كانت تعمره
في الدنيا فتدخل على الاجساد في قبورها فيدب فيها كما يدب السم في اللديغ فتحيا الاجساد
وتنشق عنهم الاجداث فيخرجون منها سراعا الى مقام الحشر كما سياتي تفصيله في
موضعه ● ولهذا قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وصاحب
القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر ان يوذن له قالوا كيف نقول يا رسول
الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا ● ورواه الامام احمد
والترمذي من حديث عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري وقال
الحافظ ابو القسم الطبراني ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا محمد بن عمران بن ابي ليلى حدثني
ابي عن ابن ابي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه جبريل بناحية اذ انشق افق السما فاقبل اسرافيل يدنو من الارض ويتمايل فاذا
ملك قد مثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يامرك ان تختار بين نبي
عبد او ملك نبي قال فاشار جبريل الي بيده ان تواضع فعرفت انه لي ناصح فقلت عبد
نبي فعرج ذلك الملك الى السما فقلت يا جبريل قد كنت اردت ان اسالك عن هذا
فرايت من حالك ما شغلني عن المسالة فمن هذا يا جبريل قال هذا اسرافيل عليه السلام خلقه
الله عز وجل يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه بينه وبين الرب

وقال ابن [illegible] فانه ملك [illegible] الارواح في الاجساد والقرن الصور واسرافيل صاحبه [illegible] على القرن وهو [illegible]
[illegible] ودائرة راس القرن [illegible] الارض [illegible] العرش [illegible] وقال [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] واسرافيل [illegible] يحدث [illegible] القرآن
[illegible] فالثالث [illegible] الاحر [illegible] الخ [illegible] والثالث
تسرب به من السما الى الارض
والرابع الثم به من عظمة الله عز وجل قدماه تحت الارض السابعة وراسه انتهى الى اركان قوائم العرش
وبين عينيه لوح من جوهر فاذا اراد الله تعالى ان يحدث في عباده امرا امر القلم ان يخط في اللوح ثم ادلى اللوح
الى اسرافيل فيلوح بين عينيه ثم ينتهي الى ميكائيل وله اعوان في جميع العالم فهي على الاركان والمولدات
ينفخون ارواحهم فيها فيصير معدنا ونباتا وحيوانا وهي القوى التي بها صلاحه وحياته انتهى ●

سبعون

سبعون نورا ما منها من نور يكاد يدنو منه الا احترق بين يديه لوح فاذا اذن في
شي من السما او في الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فان كان من عملي
امرني به وان كان من عمل ميكائيل امره به وان كان من عمل ملك الموت
امره به قلت يا جبريل وعلى اي شي انت قال على الريح والجنود قلت وعلى اي شي
ميكائيل قال على النبات والقطر قلت وعلى اي شي ملك الموت قال على قبض
الانفس وما ظننت انه نزل الا لقيام الساعة وما الذي رايت مني الا خوفا من قيام
الساعة ● هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله
عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل
وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين
عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي
من تشا الى صراط مستقيم وفي حديث الصور ان اسرافيل اول من يبعثه الله بعد
الصعق لينفخ في الصور وذكر محمد بن الحسن بن النقاش ان اسرافيل اول من سجد
من الملائكة فجوزي بولاية اللوح المحفوظ حكاه ابو القاسم السهيلي
في كتابه التعريف والاعلام بما ابهم من القران من الاعلام ● وقال
تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال عطفهما على
الملائكة لشرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره واما
ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن

اشراف الملايكة المقربين وقد قال الامام احمد ثنا ابو اليمان ثنا ابن
عياش عن عمارة بن غزية الانصاري انه سمع حميد بن عبيد مولى المعلى يقول
سمعت ثابتا البناني يحدث عن انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال لجبريل ما لي لم ار ميكاييل ضاحكا قط فقال ما ضحك ميكاييل
منذ خلقت النار فهولاء الملايكة المصرح بذكرهم في القران العظيم
وفي الصحاح وهم المذكورون في الدعا النبوي اللهم رب جبريل وميكاييل
واسرافيل فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الامم وميكاييل موكل بالقطر
والنبات اللذين يخلق منهما الارزاق في هذه الدار وله اعوان يفعلون ما يامرهم
به بامر ربه يصرفون الرياح والسحاب كما يشا الرب جل جلاله وقد روي
انه ما تقطر قطرة من السما الا ومعها ملك يقررها في موضعها الذي امر به ◉
واما ملك الموت فليس مصرح باسمه في القران ولا في الاحاديث الصحاح
وقد جا تسميته في بعض الاثار بعزرايل والله اعلم وقد قال الله تعالى قل يتوفاكم
ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون وله اعوان يستخرجون
روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فاذا اخذها
لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها في اكفان تليق بها كما قد بسط
عند قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة
ثم يصعدون بها ان كانت صالحة فتفتح لها ابواب السما والا غلقت دونها

وانتهى بها الى الارض قال الله تعالى وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة
حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد انهم
قالوا ان الارض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشا
وقد ذكر ان ملايكة الموت ياتون الانسان على حسب عمله ان كان مومنا
اتاه ملايكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الارواح وان كان كافرا فبالضد
من ذلك عياذا بالله العظيم من ذلك وقد قال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا يحيى ابن يحيى
المقري ثنا عمرو بن شمر قال سمعت جعفر بن محمد قال سمعت ابي يقول نظر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا ملك الموت ارفق بصاحبي فانه مومن فقال ملك الموت يا محمد طب نفسا وقر
عينا فاني بكل مومن رفيق واعلم ان ما في الارض بيت مدر ولا شعر في بر
ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى اني لاعرف بصغيرهم وكبيرهم
منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك
حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال جعفر بن محمد الصادق بلغني انه يتصفحهم
عند مواقيت الصلوة فاذا حضر عند الموت فان كان ممن يحافظ على الصلوة دنا منه
الملك فيدفع عنه الشيطان ويلقنه الملك لا اله الا الله محمد رسول الله في تلك الحال
العظيمة هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكر في حديث الصور من طريق اسمعيل

رافع المدني عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن ابي هريرة عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله وفيه ويامر الله اسرافيل بنفخة الصعق فينفخ
نفخة الصعق فيصعق اهل السموات واهل الارض الا من شا الله فاذا هم قد خمدوا
جا ملك الموت الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات اهل السموات والارض
الا من شيت فيقول الله وهو اعلم بمن بقي فيقول يا رب بقيت انت الحي الذي لا
تموت وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل فيقول فيمت جبريل وميكائيل
فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت
فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيموتان ثم ياتي ملك الموت
الى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو اعلم
بمن بقي فمن بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت
انا فيقول الله ليمت حملة عرشي فيموت ويامر الله فيقبض الصور من اسرافيل
ثم ياتي ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو
اعلم بمن بقي فمن بقي فيقول بقيت انت الحي الذي لا تموت وبقيت انا فيقول
الله انت خلق من خلقي خلقتك لما اردت فمت فيموت فاذا لم يبق الا الله الواحد
الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد كان اخرا كما كان
اولا وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبراني وابن جرير والبيهقي ورواه
الحافظ ابو موسى المديني في كتاب الطوالات وعنده زيادة غريبة وهي قوله

من بقي

العرش

يقول

فيقول الله له انت خلق من خلقي خلقتك لما اردت ثم تموت موتًا لا تحيى بعد ابدًا
ذكر هذه ابن كثير في الجزو الاول من تاريخه ومن الملايكة المنصوص على اسمايهم
في القران هاروت وماروت في قول جماعة كثيرة من السلف وقد ورد في
قصتهما وما كان من امرهما اثار كثيرة غالبها اسرايليات وروى الامام احمد
حديثًا مرفوعًا عن ابن عمر وصححه ابن حبان في تقاسيمه وفي صحته نظر والاشبه
انه موقوف على عبد الله بن عمر ويكون مما تلقاه من كعب الاحبار كما سياتي
بيانه والله اعلم وفيه انه تمثلت لهما الزهرة امراة من احسن البشر وعن علي
وابن عباس وابن عمر ايضًا ان الزهرة كانت امراة وانهما لما طلبا منها ما ذكر
ابت الا يعلماها الاسم الاعظم فعلماها فقالته فارتفعت فصارت كوكبًا
وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس قال وفي ذلك الزمان امراة حسنها
في النسا كحسن الزهرة في ساير الكواكب وهذا اللفظ احسن ما ورد في شان
الزهرة ثم قيل كان امرهما وقصتهما في زمن ادريس وقيل في زمن سليمان بن داود
وبالجملة فهو خبر اسرايلي مرجعه الى كعب الاحبار كما رواه عبد الرزاق
في تفسيره عن الثوري عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الاحبار
بالقصة وهو اصح اسنادًا واثبت رجالًا والله اعلم ومن الملايكة المذكور
في الحديث منكر ونكير عليهما السلام وقد استفاض في الاحاديث ذكرهما في
سؤال القبر وهما فتانا القبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه

وبعثنا ان البر والفاجر وهما ازرقان انزقان لهما انياب واشكال مزعجة واصوات مزعجة اجارنا الله تعالى من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت امين **فصل**

ثم ان الملائكة عليهم السلام بالنسبة الى ما هيا هم له اقسام فمنهم حملة العرش وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وهم جبريل وميكائيل عليهما السلام وقد ذكر الله تعالى عنهم انهم يستغفرون للمومنين بظهر الغيب كما قال تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شي رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ولما كانت سجاياهم هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق انه قال اذا دعا العبد لاخيه بظهر الغيب قال الملك امين ولك بمثل **ومنهم** سكان السموات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلا ونهارا صباحا ومساء كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون فمنهم الراكع دائما والقائم دائما والساجد ابدا ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة الى البيت المعمور كل يوم سبعين الفا لا يعودون اليه اخر ما عليهم **ومنهم** الموكلون بالجنان واعداد الكرامة لاهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن وماكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **وخازن الجنة** ملك يقال له رضوان جا مصرحا به في بعض الاحاديث **ومنهم** الموكلون بالنار اجارنا الله تعالى منها وهم الزبانية

خلق الله لهم الرحمة ورحمه

ومقدمهم

ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة وهم المذكورون في قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب الاية ● ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون ● وقال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون ● وقال تعالى عليها تسعة عشر الى قوله وما يعلم جنود ربك الا هو **ومنهم** الموكلون بحفظ بني ادم كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال ابن عباس المعقبات من امر الله هي الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جا قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شي ياتيه يريده الا قال وراءك الا شي ياذن الله فيه فيصيبه وقال ابو امامة ما من ادمي الا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له **ومنهم** الموكلون بحفظ اعمال العباد كما قال تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ● وقال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون **قال** الحافظ ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي في تفسيره ثنا ابي ثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا وكيع ثنا سفين ومسعر عن علقمة بن مرثد عن مجاهد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والغايط فاذا اغتسل احدكم فليستتر بجرم حائط او بعيره او ليستره اخوه هذا مرسل

من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده من طريق ابو حفص بن سليمان القاري وفيه
كلام عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ينهاكم
عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم
الا عند احدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل فاذا اغتسل احدكم بالعراء
فليستتر بثوبه او بجذم حائط او ببعيره ۞ ومعنى اكرامهم ان يستحي منهم فلا يملي
عليهم الاعمال القبيحة التي يكتبونها فان الله خلقهم كراما في خلقهم واخلاقهم ومن كرمهم
انه قد ثبت في الحديث المروي في الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة
ولا كلب ولا جنب وفي رواية لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال وفي
رواية فيه كلب او تمثال وفي رواية لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب او جرس
وفي الحديث ان ملائكة الله يعرفون بني ادم واحسبه قال ويعرفون اعمالهم فاذا نظروا
الى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا افلح الليلة فلان نجا الليلة
فلان واذا نظروا الى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك فلان الليلة
وقد قال البخاري ثنا ابو اليمان ثنا شعيب ثنا ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل
وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج اليه الذين باتوا
فيكم فيسألهم وهو اعلم فيقول كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون

واتيناهم وهم يصلون ۞ هذه اللفظة في كتاب بدء الخلق بهذا السياق وهذا اللفظ
تفرد به دون مسلم من هذا الوجه وقد اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي الزناد وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان الى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى
في اول الصحيفة وفي اخرها استغفارا الا قال الله قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة
والمقصود ان كل انسان له حافظان ملكان اثنان واحد من بين يديه واخر
من خلفه يحفظانه من امر الله بامر الله عز وجل وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله
وكاتب اليمين امير على كاتب الشمال وقال البخاري ثنا احمد بن يونس ثنا ابراهيم بن سعد
ثنا ابن شهاب عن ابي سلمة بن عبد الرحمن والاغر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون
الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤوا يستمعون الذكر وهكذا
رواه منفردا به من هذا الوجه وهو في الصحيحين من وجه اخر وقد قال الله تعالى
وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار وقال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن ابي سلمة
وسعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل صلاة
الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار
في صلاة الفجر قال ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وقران الفجر ان قران الفجر كان مشهودا
وقال البخاري ثنا مسدد ثنا ابو عوانة عن الاعمش عن ابي حازم عن ابي هريرة قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته الى فراشه فابت فبات غضبان
لعنتها الملايكة حتى تصبح تابعه شعبة وابو حمزة وابو داود وابو معاوية عن الاعمش
وثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه
من وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه ٥ وفي لفظ اذا قال الامام امين
فان الملايكة تقول في السما امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من
ذنبه وفي صحيح البخاري حدثنا اسمعيل حدثني مالك عن سمي عن ابي صالح عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا
لك الحمد فانه من وافق قوله قول الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه ورواه الجماعة الا
ابن ماجه من حديث مالك وقال الامام احمد ثنا ابو معاوية ثنا الاعمش عن ابي صالح
عن ابي هريرة او عن ابي سعيد هو شك يعني الاعمش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله ملايكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا اقواما
يذكرون الله تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيون فيحفون بهم الى السما الدنيا فيقول
الله اي شي تركتم عبادي يصنعون فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك
فيقول وهل راوني فيقولون لا فيقول فكيف لو راوني فيقولون لو راوك لكانوا اشد تحميدا
وتمجيدا وذكرا قال فيقول فاي شي يطلبون فيقولون يطلبون الجنة فيقول وهل
راوها فيقولون لا فيقول وكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد لها طلبا واشد عليها
حرصا قال فيقول من اي شي يتعوذون فيقولون من النار فيقول وهل راوها فيقولون لا

بقية

قال فيقول فكيف لو راوها فيقولون لو راوها لكانوا اشد منها هربا واشد منها خوفا
قال فيقول اشهدكم اني قد غفرت لهم قال فيقولون ان فيهم فلانا الخطا لم يردهم
انما جا لحاجة فيقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وهكذا رواه البخاري عن
قتيبة عن جرير عن عبد الحميد عن الاعمش به وقال رواه شعبة عن الاعمش ولم
يرفعه ورفعه سهيل عن ابيه وقد رواه احمد عن عفان عن وهيب عن ابيه عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما ذكره البخاري تعليقا عن سهيل
ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن ابن اسد عن وهيب به وقد رواه الامام احمد
ايضا عن غندر عن شعبة عن سليمان هو الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة
لم يرفعه نحو ما اشار اليه البخاري رحمه الله ٥ وقال الامام احمد
ثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السايب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام ٥ وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن
الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقت الملايكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم
والايات والاحاديث في ذكر الملايكة كثيرة جدا وقد ذكرنا ما تيسر من
الله سبحانه وله الحمد والمنه فصل وقد اختلف الناس في مسالة تفضيل
الملايكة على البشر على اقوال واكثر ما توجد هذه المسالة في كتب المتكلمين والخلا

مما

فيها مع المعتزلة ومن وافقهم وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما جاء به ابن كثير
في الجزء الأول من تاريخه البداية والنهاية وهو ما ذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه في ترجمة
أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال
عمر ما أحد أكرم على الله من كريم بني آدم واستدل بقوله تعالى إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد وقال
عراك بن مالك ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله إلى
أنبيائه واستدل بقوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو
تكونا من الخالدين فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي ما تقول أنت يا أبا حمزة
فقال قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وجعل
من ذريته الأنبياء والرسل وتزوره الملائكة فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم ○ قال
ابن كثير ومن أحسن ما يستدل به في هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن
عبد الله بن عمرو مرفوعاً وموقوفاً وهو أصح قال لما خلق الله الجنة قالت الملائكة
يا رب اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب فإنك خلقت الدنيا لبني آدم فقال الله تعالى
لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ○ ○ ○ ○

فصل في ذكر خلق الجان وقصة الشياطين ○

قال الله تعالى خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار
فبأي آلاء ربكما تكذبان ○ وقال تعالى ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون
والجان خلقناه من قبل من نار السموم قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن
وغير واحد من مارج من نار قالوا من طرف اللهب وفي رواية من خالصه وأحسنه
وذكر ابن كثير من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف
لكم رواه مسلم قال كثير من علماء التفسير خلقت الجن قبل آدم عليه السلام
وكان قبلهم في الأرض الجن والبن فسلط الله عليهم الجن فقتلوهم وأجلوهم
عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم وذكر السدي في تفسيره عن أبي مالك
عن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش فجعل إبليس
على ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن
لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع في صدره إنما أعطاني الله هذا
لمزية لي على الملائكة وذكر الضحاك عن ابن عباس أن الجن لما أفسدوا في
الأرض وسفكوا الدماء بعث الله إليهم إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم
وأجلوهم من الأرض إلى جزائر البحور وقال محمد بن إسحق عن خلاد عن عطاء
عن طاوس عن ابن عباس كان اسم إبليس قبل أن يركب المعصية عزازيل وكان
من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً وكان من حي يقال لهم
الجن وكان من أشرف الملائكة من أولي الأجنحة الأربعة قال ابن عباس

كان ابليس من اشراف الملائكة واكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له
سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان الارض وكان يسوس ما بين السماء والارض
وقال سفيان عن سعيد بن المسيب كان ابليس رئيس الملائكة بسماء الدنيا وانه لم
الجن كما ان آدم اصل البشر فلما اراد الله خلق آدم ليكون في الارض هو وذريته
من بعده وصور جثته منها جعل ابليس وهو رئيس الجان والارض عادة يطيف به فلما
رآه اجوف عرف انه خلق لا يتمالك وقال اما لئن سلطت عليك لاهلكنك ولئن
سلطت علي لاعصينك فلما ان نفخ الله في آدم من روحه جاء شيئا بيانه وامر
الملائكة بالسجود له دخل ابليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له وقال انا
خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فخالف الامر واعترض على الرب عز وجل واخطأ
في قوله وتباعد من رحمة ربه وانزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته وكان
قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم لانه مخلوق من نار وهم من نور فخانه طبعه
احوج ما كان اليه ورجع الى اصله الناري فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس
استكبر وكان من الكافرين وقال تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا فاهبط ابليس من الملأ الاعلى ونزل الى الارض
ذليلا حقيرا مذموما مدحورا متوعدا بالنار هو ومن اتبعه من الجن والانس
الا انه مع ذلك جاهد كل الجهد على اضلال بني آدم بكل طريق وبكل مرصد

صل

وسنذكر القصة مبينة عند ذكر خلق آدم عليه السلام والمقصود
ان الجان خلقوا من النار وهم كبني آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون
ومنهم الكافرون كما اخبر الله عنهم في سورة الجن وقد ذكروا ان الجن المؤمنين كانوا من
جن نصيبين وفي بعض الآثار من جن بصرى وانهم مروا برسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم يصلي باصحابه ببطن نخلة من ارض مكة فوقفوا فاستمعوا القرآن ثم اجتمع بهم
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة كاملة فسألوه عن اشياء امرهم بها ونهاهم عنها وسألوه
الزاد فقال لهم كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه اوفر ما يكون لحما وكل روثة
علف لدوابكم ونهى النبي صلى الله عليه وسلم الناس ان يستنجوا بهما وقال انهما زاد
اخوانكم الجن ونهى عن البول في السرب لانها مساكن الجن وقد قرأ عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم سورة الرحمن فجعل كلما مر بآية فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا
ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد وقد اثنى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك لما قرأها على الناس فسكتوا فقال الجن كانوا احسن ردا
منكم ما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب
فلك الحمد رواه الترمذي عن جابر وابن جرير والبزار عن ابن عمر وقد اختلف
العلماء رضي الله عنهم في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة او يكون جزاء طاعتهم ان لا
يعذبوا بالنار فقط على قولين والصحيح انهم يدخلون الجنة لعمومات القرآن ونحوه
القرآن قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان

فمنّ تعالى عليهم بذلك فلولا انهم يتلونه لما ذكره وعده عليهم من النعم وهذه وجوه
دليل يشتمل كاف من الرسالة وضح والله اعلم واما كافروا الجن فمنهم الشياطين
ومقدمهم الاكبر ابليس لعنه الله تعالى راس الغواة عدو آدم اي البشر عليه السلام
وقد سلط هو وذريته على آدم وذريته وتكفل الله عز وجل بعصمة من آمن به وصدق
رسله واتبع شرعه منهم كما قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى
بربك وكيلا والمقصود ان ابليس لعنه الله تعالى واخره الى يوم القيمة محنة لعباده
واختبارا منه لهم كما قال تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة
ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ ٥ فابليس لعنه الله حي الآن منظر الى يوم
القيمة بنص القرآن وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويبعث سراياه يلقون بين
الناس الشر والفتن وقد قال الله تعالى ان كيد الشيطان كان ضعيفا ٥ وكان
اسمه قبل معصيته العظيمة عزازيل قال النقاش وكنيته ابو كردوس ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد ما ترى قال ارى عرشا على الماء فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك يعرف ان مادة مكاشفته التي كاشفه
شيطانية متيممة من ابليس الذي هو يشاهد عرشه على البحر ولهذا قال اخسأ فلن
تعدو قدرك اي لن تجاوز قيمتك الدنية الخبيسة الحقيرة والدليل على ان عرش
ابليس على البحر الحديث الذي رواه الامام احمد ثنا ابو المغيرة ثنا صفوان حدثني ماعز
التميمي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرش ابليس في البحر يبعث

سراياه في كل يوم يفتنون الناس فاعظمهم عنده منزلة اعظمهم فتنة للناس وقال
الامام احمد ثنا مؤمل ثنا حماد ثنا علي بن زيد عن ابي نضرة عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد ما ترى قال ارى عرشا على الماء او قال على البحر حوله
حيات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عرش ابليس هكذا رواه في مسند جابر ٥
واعظم منزلة عنده الذي يسعى في التفريق بين الزوج وزوجه فالذي ذمه الله يحمده والذي
يغضب الله يرضيه عليه لعنة الله تعالى وقد انزل الله تعالى المعوذتين
مطردة لانواع الشر واسبابه وغاياته ولا سيما قل اعوذ برب الناس الى اخرها وثبت في
الصحيح عن انس عن صفية بنت حيي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
يجري من ابن آدم مجرى الدم وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي ثنا محمد بن بحر ثنا عدي بن ابي
عمارة ثنا زياد النميري عن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب
ابن آدم فان ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس وقال الامام احمد
ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني احدث نفسي بالشيء
لأن اخر من السماء احب الي من ان اتكلم به فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله اكبر الحمد لله
الذي رد كيده الى الوسوسة وقال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن
شهاب قال اخبرني عروة قال قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان
احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا بلغه فليستعذ

بالله

وليتقنه وهكذا رواه مسلم ○ وروى الامام احمد واهل السنن من حديث ابي المتوكل
عن ابي سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وجا مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود
وابي امامة الباهلي وتفسير في الحديث فهمزه الموتة وهو الخنق الذي هو الصرع ونفخه
الكبر ونفثه الشعر وثبت في الصحيح عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا دخل الخلا قال اعوذ بالله من الخبث والخبايث قال كثير من العلما استعاذ من ذكران
الشياطين واناثهم وقال الامام احمد نا محمد بن عبيد نا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ياكل احدكم بشماله ولا يشرب بشماله فان الشيطان ياكل
بشماله ويشرب بشماله وهذا على شرط الصحيحين بهذا الاسناد وهو في الصحيح من غير هذا الوجه
وروى الامام احمد من حديث اسمعيل بن ابي حكيم عن عروة عن عايشة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال من اكل بشماله اكل معه الشيطان ومن شرب بشماله شرب معه الشيطان
وقال الامام احمد نا وكيع عن فطر عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اغلقوا ابوابكم وخمروا انيتكم واوكوا اسقيتكم واطفيوا سرجكم
فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا ولا يكشف غطا ولا يحل وكا وان الفويسقة
تضرم البيت على اهله يعني الفارة وقال البخاري نا ادم نا شعبة نا منصور
عن سالم بن ابي الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني

فان

٤٢

فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يسلط عليه وفي سنن ابي
داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعايه واعوذ بك ان
يتخبطني الشيطان عند الموت وورد في بعض الاثار انه قال يا رب وعزتك
وجلالك لا ازال اغويهم ما دامت ارواحهم في اجسادهم قال الله تعالى
وعزتي وجلالي ولا ازال اغفر لهم ما استغفروني وقد ذكر في فضل سورة البقرة
ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرا فيه وذكر في فضل اية الكرسي انه من
قراها في ليلة لا يقربه شيطان حتى يصبح قال وهب بن منبه رضي الله عنه
لما خلق الله تعالى نار السموم وهي نار لا حر لها ولا دخان خلق منها الجان بدليل قوله تعالى
والجان خلقناه من قبل من نار السموم خلق الله تعالى ملكا عظيما وسماه مارجا وخلق منها
زوجة وسماها مارجة ثم واقعها فجات بالجان ثم ولد الجان ولدا وسماه الجن فمنه تفرعت
قبايل الجن ومنه ابليس لعنه الله تعالى وكان يولد للجن الذكر وللجان الانثى فيزوجون
الذكر للانثى حتى صاروا سبعين الفا ذكورا واناثا ثم تناكحوا حتى بلغوا اعداد الرمل
ثم تزوج ابليس وكان اسمه عزازيل كما تقدم امراة من ولد الجان يقال لها روحا بنت سياسائيل
فولدت منه بلقيس وقطونه في بطن واحد ثم شعلى وشعله ثم دوهر ودوهرة ثم شيصبان
وشيصبه ثم فقطس وفقطسه الجميع كل زوج في بطن ثم تزوجوا حتى صاروا لا يحصون
كثرة وكانوا يهيمون على وجوههم كالذر والبعوض والجراد والطير وكانوا يسكنون
الخراب والقفار والاجام والطرق والخياض والمزابل والابار والانهار والنواويس

وكل موضع مستوحش حتى امتلأت منهم الاقطار ثم صاروا يتمثلون على صور الدواب
والبغال والحمير والابل والبقر والغنم والكلاب والسباع فلما امتلأت الارض من ذرية ابليس
لعنه الله اسكن الله عز وجل الجن في الارض دون السما واسكن الجان واولاده في سما الدنيا
وامرهم بالعبادة والطاعة بدليل قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم
اوحى الله عز وجل الى الملايكة اني خلقت دارين احديهما من رحمتي والاخرى من سخطي
فانظروا اليهما ثم كشفت للملايكة الجحيم ودركاتها وطبقاتها والوان عذابها
فسالوا الله تعالى ان يخبرهم لمن هي فانطق الله تعالى النار فقالت خلقت من كان عدوا
للعاصين والمذنبين والجاحدين ربوبية الله تعالى وتوحيده ثم نظروا الى
الجنة ونعيمها وما اعد الله تعالى فيها لاهلها فقالوا الهنا لمن خلقتها فانطق الله تعالى
الجنة فقالت لقد افلح المؤمنون فقالت الملايكة انا خلقت ونحن المومنون
فقالت الجنة الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون
فعلموا انها مخلوقة لغيرهم فقال الله تعالى اني خالق من الدار الاهل
طاعتي من طاعته بيدي وانفخ فيه من روحي واسجد له ملايكتي وافضله على
جميع خلقي وكانت السما تفتخر على الارض وتقول قد رفعني الله فوقك وانا الطلق
الاول الاعلى وانا مسكن الملايكة وفي العرش والكرسي والشمس والقمر والنجوم
وفي خزاين الرحمة ومني ينزل الوحي عليك فقالت الارض اني قد بسطني واودعني
عروق الاشجار والنبات والعيون وارسى على ظهري الجبال فخلقت في منها

البحار

الجن ٩

البحار فلمن خلقتها يا رب وهذه السما تفتخر علي بما انت فعلته وانا وحيدة ليس على ظهري
احد يذكرك قال فنوديت الارض اني خالق من اديمك صورة لا مثل لها في الحسن وازرق
العقل واللسان وانزل عليه كلامي واعلمه من علمي ثم املأنه بطنك وظهرك
وشرقك وغربك فافتخري يا ارض على السما بذلك فاستقرت الارض وهي تهتف نفيته
كانها النعقه ثم اشرفت الجان على الارض فرات ما بها من الوحش والهوام
فسالت الرب جل جلاله ان يهبطها الى الارض فاذن لها بالهبوط على ان يعبدوه حق
عبادته ولا يعصوه فنزلوا وهم سبعون الف قبيلة يعبدوا الله حق العبادة دهرا طويلا
ثم اخذوا في المعاصي وسفك الدما حتى استغاثت الارض منهم وقالت يا رب لو اخليتني
ممن يعصيك لكان احب الي ممن يعصيك على ظهري فاوحى الله عز وجل اليها اني
باعث اليهم رسلا قال وهب فاول نبي بعث الى الجن كان اسمه عامر بن
عوبر من الجان فقتلوه ثم صاعق بن ماعق من الجان فقتلوه حتى بعث اليهم ثمانمايه نبي
ثمانمايه سنة وهم يقتلونهم فاوحى الله تعالى الى اولاد الجن الذين في السما ان ينزلوا الى
الجان ويقاتلونهم فنزلوا اليهم وقاتلوهم حتى الجوهم الى القعدة من الارض ثم ارسل الله تعالى
عليهم نارا فاحرقتهم وسكن ابليس الارض مع الجن وعبدوا الله حق العبادة وكانت عبادة
ابليس اكثر من عبادتهم فرفعه الله تعالى الى السما الدنيا لكثرة عبادته فعبد الله تعالى فيها
الف سنة ثم رفعه الى الثانية فعبد الله تعالى فيها الف سنة ثم رفعه الله الى الثالثة
ثم الى الرابعة ثم الى الخامسة ثم الى السادسة ثم الى السابعة وهو يعبد الله تعالى في كل

الف سنة

حتى لهم المنزلة عظيمة في العبادة فكان يكبر عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام وغيرهما من
الملائكة فيقول بعضهم لبعض لقد اعطي هذا العبد من القوة على طاعة ربه ما لم تعطه
طائفة من الملائكة وكخواص آل الى ما آل فبالله الكريم من خيبة الخاتمة والعاقبة
بمنه وكرمه ۞ ومن تلبيس ابليس يا هذا اسبق العذر بتصوير البشر فوقعت من الغيرة
في غير ونزل القضا فعمي البصر فاحتفرت لادم بيرا فابا الله ان يقع في البير الا من حفره
فالسعيد من بغيره اعتبر والشقي من دعي للطاعة فأبى واستكبر اعلم اني
كنت ساكن الحال مستقيم البال صالح الفعال لم يخطر البشر الصلصال لي على
بال تارة استملي اسرار كلماته وتارة استجلي لطائف اياته وتارة استجلي انوار صفاته
الكروبيون جلاسي والمقربون اهل ايناسي وندما الحضرة يشربون فضل كاسي
فبينا نحن في حضرة الشهود اذ اتي بادم الى الوجود وامرت له بالسجود فداخلتني
غيرة الاغيار وحيرة الافكار فمنعني دعوى المحبة من الاقرار وقلت المحبة لا تحتمل
المزاحمة والمحب لا يحتمل المشاركة حتى اسجد لاحد ولا اذل في الوجود لاحد
ولو طردني الى الابد فقال لسان الصد اتعترض علي وتابى ان تسجد لما خلقت بيدي
فهممت بالرجوع الى الامر فجذبتني الادلة لعدم السعادة فقلت انا خير منه
فكانت الجناية الثانية اشد من الاولى لاني في الاولى جحدت امر ربي وفي الاخرى
جهلت قدر نفسي فلو عرفت من انا لما قلت انا فبافتخاري لعنت في الوجود
لاِبائي عن السجود الا تراه حين منعني عتبني وما طردني حتى ابدى ذنبي فقال

على لسان حاله لعنه الله

ما

ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فعميت عن الاعتذار وحرمت عن
الاستغفار وقلت انا خير منه خلقتني من نار فلما عارضت الاقدار وجهلت
المقدار اخرجت من الجوار وطردت من الدار فاخرج منها فانك رجيم
فكان الخسار للخسار وكانت النار لمن افتخر بالنار لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين ولكن هل ذلك راجع الى الحكم المشيئة دائر في دائرة
الادلال عائد الى سابق القسمة الازلية لا بسبب زلة ولا لوجود علة
وقد ساوى القدر بيني وبين آدم في الخطيئة فابليت دونه بالرزية ورجع
الى ربه بنفس راضية مرضية ورجعت بلعنة ابدية وخيبة سرمدية
امرت بالسجود فلم اسجد ونهي آدم عن الشجرة فلم ينته لكنه هبت عليه نفحات
نسمات فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهدى واما انا فعصفت
بي عواصف اللعنة واختطفتني خواطف المحنة فنظرت فاذا الملائكة
في حضرة الشهود سيماهم في وجوههم من اثر السجود فنظرت في مرآة عملي
وعلى قرابة وجهي منعت بسواد شقوتي يعرف المجرمون بسيماهم فخربت
ما كان عامر واقترنت الاول بالاخر وازددت منذ ذي بعدا ومد له
العذاب مدا سبق ذلك في القدم قبل كون الاكوان وكان من الكافرين فكان
ما حيلة من ناصيته في قبضة القهر وقلبه بيد العدل وامره راجع الى حكم
القدم وقد قضي الامر وجف القلم فاجابه الشيخ الامام عبد السلام بن غانم

يا لعين اراك ذاتيا عن الجنة نافرا عن الجنة غارقا في وسط اللجة لا حجة
لك عليه ولا عذر لك بين يديه فانك لو صدقت في دعوى محبتك وحققت
معنى معرفتك لعلمت ان انقياد العبد اليوم اعتراضه والوقوف عند الاوامر
اليوم اعراضه ثم ما كفاك ان خالفت امره وجهلت قدره حتى واجهته
بسوء الادب بقولك رب بما اغويتني فبرأت من ذنبك واحلته على ربك فقطعت
نطاق العبودية فهل محب يحيل ذنبه على حبيبه ويضيف نقيصته الى مليكه
بقولك بما اغويتني كشجرة وبقولك لاغوينهم ذات قدرة يا لعين فهلا
لا تادبت بما تادب به آدم عليه السلام لما راى سهام المشية مفوقة اليه وقلم
القضى قد جرى عليه مسك الحبل بطرفيه واضاف النقيصة الى نفسه لزوما
لآداب العبودية وتعظيما لحقوق الربوبية وقال ربنا ظلمنا انفسنا ثم
تمسك بحبال الرحمانية المنظومة بعروة المشية وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين يا شقي ومعارضك له في الاقرار استجابة والانكار واستوا
حالا من الاصرار والاستكبار لانك ان قلت لم تلزم فادعيت علم ما لم تعلم فان علم
الازل علم علي وسر المشية سر خفي لا يدركه فهم ولا يحيط به وهم
ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ثم المحالة الا مولاك بالسجود لم تكن
عالما بسابق مشيته فيك ولا عارفا بنفوذ قضائه عليك فامتناعك تلك
الحالة لم يكن بعلم لك بعدم ارادته سجودك ولا لمعرفتك بمراد معبودك

وان

٤٦

وانما كان امتناعك لفساد اعتقادك وسوء انقيادك فنظرت الى آدم محتقرا
والى نفسك مفتخرا فخالفت امره متجبرا مستكبرا فكان طردك وابعادك لمخالفة
امره لا لاجل انه حكم عليك ونفوذ قضائه فيك فتستمر هنالك ثمرة الذنب وتغير
نعيم المريب ۞ على لسان حال ابليس لعنه الله تعالى يا هذا انظر احدا
كان في العباد اعبد مني او في العلماء اعرف مني لا دعوى اصدق من دعواي
ولا معنى اصح من معناي قال اسجد لغيري قلت لا غيرك قال عليك لعنتي قلت لا
ضير ان ادنيتني انت انت وان اقصيتني انت انت قال اتقول قال اتقول هذا
استكبارا وافتخارا قلت سيدي من عرفك في غير لحظة او طلبك في دهر
غمضة او صحبك في طريق محبته ساعة حرم له ان يتخير كيف وقد قطعت معك
الاعمار وعمرت بحبك الاثار كم قد رقمت صحايف بتمجيدك في الليل والنهار لم
تندرس من دروس تقديسك وتمجيدك في الاعلان والاسرار فالانهار تشهد لي
والديار تعرف بحقي والليل والنهار يصدقني فاين كان آدم وانا امام صفوف
الملائكة وخطيب جميع الكروبيين فلي حق سابق عباده ولك معي سابق ازال
فلما ظهرت اعلام الازال انطمست رسوم العباد فاخطا المجتهد اجتهاده وزال
السيد عن رتبة السيادة واصابه سهم القضا فاخطا فؤاده فسواء سجدت ام لم
اسجد وعبدت ام لم اعبد لا بد من الرجوع الى سابق الاقرار فانك خلقتني من نار
ولا بد من العود الى الدار منها خلقناكم وفيها نعيدكم ۞ يا هذا انظر الى الخطاب

سابقهم

التدبير او عبوث التغيير لكنه خلق الحسن والقبيح والسقيم والصحيح جمع بين
النبي وضده ليدل على جمال العدل فان الاشيا لا تعرف الا باضدادها فجعلني في الاول
اعلم الخاشين في الملا الاعلى للملايكة فكنت معلم التوحيد ثم نقلني من العالم الاعلى
الى العالم الادنى اعلمهم ما هو ضد ذلك فاذنبت لهم القبايح حالت اعلم الخاشين وابينه
لهم فانا في الارض والسما عريف العرفان معلم العلما فانا معجزة العدل وعلامة
منشور الصنعة وشاهد حضرة الحكمة ثم هو في الحضرة ادنى مني ومن هو في الذكر اشهر
مني فلي الشرف ان ذكرني وان كان لعنني فلي الفخر اذ انظرني وان كان قد
طردني فبمعرفتي له اتلذذ وبحيرتي فيه حيرتي وكلما خذلني ولحبي حرمني
ولعاملني قطعني فانا زلت في الخدمة اقدم وفي الفضل اعلم وفي الفهم افهم ان
اعلمهم بالجحود وازيدهم الى الوجود وابذلهم للوجود والجهود واوفاهم بالعهود واد
الى المعبود ولكن سيدي قال لي الاختيار لا لك قلت سيدي لك الاختيارات
كلها فاختيارك اليك واختياري بيدك فان اهبطتني فانت الرافع وان منعتني
من السجود فانت المانع وان اخطأت في المقال فانت السميع وان اردت ان اسجد له
فانت المستطيع ● يا هذا اتامل ان كنت ذا فطنة فلم في خفايا تلك اللعنة من منة
فانا باللعنة مبرور ولست في الحقيقة مجحود لانه جعلني في ذكره مذكور وفي كتابه مسطور
محلى من غلاة الصدور ومنزل من اوليايه كل قلب معمور ولين بجرني ما اجراه مني
ولين رفضني فما رفض ذكري فما بوحشته على ولا حيا به الي وان كان غضبان

بعلة

حبني من الحب سلبني ومن الوجود سبني سالته الا انظار فقال انك من المنظرين قلت
سيدي نزلت عليك كرها ودعنى خواص حضرتك معظما حتى عاينت ولا يسال عما
يفعل وهم يسالون فكانت ولاية التكريم لادم عليه السلام فجاء منشور ولايته ولقد
كرمنا بني ادم ارايتك هذا الذي كرمت علي لين اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن
ذريته الا قليلا فقال يا لعين توهم بقولك هذا الذي كرمت علي انك كنت
لدي كريما وعلي عزيزا انما الكرامة للمهين وذلك العذاب المهين قلت
فبعزتك لاغوينهم اجمعين فقال يا لعين اني العزة والعزة وأنت تقسم بعزتي قلت سيدي
ليس عندي اعز من عزتك ولولا حبي لعزتك ما رضيت لي معبود ولولا عظم عزتك
ما انكرت لادم السجود ولكني تعززت بعزتك فلا اذل لاحد غيرك فانا استثني
في يميني من هو في حمى عظمتك الا عبادك منهم المخلصين فستشهد بذلك على حسن
ثناي وصدق بلاي وصحة دعواي فلا اسجد لغيرك ولا اقسم بعز غيرك
فقال لي يا طريد قد جعلت لي حزبا ولك حزبا الا ان حزب الله هم الغالبون
قلت يا سيدي الامان الامان فان الطالب لا يطالب والغالب لا يغالب
لكن من شقوتي افتتني دون عبادك في صف عبادك لنفوذ مشيئتك ومرادك
وكان مرادي ان اريد ما تريد ولكن سبق القدر فمنهم شقي وسعيد سيدي
فاذا قد طردتني من قربك وحرمتني من حبك لا تطردني من حرم حربك ومحبك فقال
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقد نفيت من حضرة السلطان فلما كان ما كان

وما بقي للصلح مكان استرجعت طعمة محيق ورددت الى اخوانه من يرتد منكم عن
دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قلت سيدي في الذي عوضت
عن خلعتي قال لوان عليك لعنتي بالخبيث انه جعل لك من الخلق كل خبيث
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات انه جعلت لك من العباد من لا خير فيه
ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ⊙ وهذا القدر كاف وليس ذلك
مناسب ان يذكر في هذا الباب وانما لما ذكر ابليس لعنه الله تعالى احببنا ان اذكر
له لكونه متعلق به ليزداد لعنة لعنه الله واعاذنا منه بمنه وكرمه ⊙

باب ما ورد في خلق ادم ابي البشر عليه السلام

قال الله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم
ما لا تعلمون وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم
قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا وا
الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما
الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض

مستقر ومتاع الى حين فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم
قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقال
تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال تعالى
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ⊙ وقال
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند
الله اتقيكم والايات في ذلك كثيرة فاخبر الله تعالى انه خاطب
الملائكة قايلا لهم اني جاعل في الارض خليفة وقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف
الارض فاخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق ادم وذريته كما يخبر بالامر العظيم قبل
كونه فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة
لا على وجه الاعتراض والتنقص لبني ادم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قيل علموا ان ذلك كاين بما راوا ممن
كان قبل ادم من الجن والبن قاله قتادة وقال عبد الله بن عمرو كانت الجن قبل
قبل ادم بالفي عام فسفكوا الدماء فبعث الله اليهم الملائكة جندا فطردوهم الى جزاير
البحور وعن ابن عباس نحوه وقيل انهم اطلعوا على ذلك من اللوح المحفوظ وقيل اطلعهم
عليه هاروت وماروت عن ملك فوقهما يقال له السجل رواه ابن ابي حاتم عن ابي جعفر الباقر

وقيل لانهم علموا ان الارض لا يخلق فيها الا من يكون بهذه المثابة غالبا • ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك اي نحن نعبدك دائما لا يعصيك منا احد فان كان المراد
بخلق هؤلاء ان يعبدوك فها نحن لا نفتر ليلا ولا نهارا قال اني اعلم ما لا تعلمون اي
اعلم من المصلحة الراجحة في خلق هؤلاء ما لا تعلمون اي سيوجد منهم الانبيا والمرسلون
والصديقون والشهدا والصالحون ثم بين لهم شرف آدم عليهم في العلم فقال
وعلم آدم الاسما كلها قال ابن عباس هي هذه الاسما التي يتعارف بها الناس
انسان ودابة وارض وسهل وبحر وجبل وجمل وفرس وحمار واشباه ذلك من الامم
وغيرها وفي رواية علمه اسم الصحفة والقدر حتى الفسوة والفسية وقال مجاهد
علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شي وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وغير واحد
وقال الربيع علمه اسما الملائكة • وقال عبد الرحمن بن زيد علمه اسما ذريته والصحيح
انه علمه اسما الذوات وافعالها مكبرها ومصغرها كما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنهما
وذكر البخاري ههنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن انس بن
مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المومنون يوم القيمة
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فياتون آدم فيقولون انت ابو البشر خلقك الله
بيده واسجد لك ملائكته وعلمك اسما كل شي وذكروا تمام الحديث • ثم عرضهم
على الملائكة فقال انبيوني باسما هولا ان كنتم صادقين قال الحسن البصري لما
اراد الله خلق آدم قالت الملائكة لا يخلق ربنا خلقا الا كنا اعلم منه فابتلوا بهذا

وذلك قوله ان كنتم صادقين وقيل غير ذلك ○ قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما
علمتنا انك انت العليم الحكيم اي سبحانك ان يحيط احد بشي من علمك من غير تعليمك
كما قال ولا يحيطون بشي من علمه الا بما شا قال يا آدم انبيهم باسمايهم فلما انباهم
باسمايهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما
كنتم تكتمون اي اعلم السر كما اعلم العلانيه وقيل ان المراد بقوله واعلم ما
تبدون ما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وبقوله وما كنتم تكتمون المراد بهذا الكلام
ابليس حين اسر الكبر والمنافسة على آدم عليه السلام وقال ابو العالية والربيع
والحسن وقتادة وما كنتم تكتمون قولهم لن يخلق ربنا خلقا الا كنا اعلم منه
وقوله واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر
هذا اكرام عظيم من الله تعالى لادم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وامر
ملايكته بالسجود له وتعليمه اسما الاشيا وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم
ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك
ان لا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال الحسن
البصري قاس ابليس وهو اول من قاس ومعنى هذا انه نظر نفسه بطريق
المقايسة بينه وبين ادم فراى نفسه اشرف من ادم فامتنع من السجود له مع
وجود الامر له ولساير الملايكة بالسجود والقياس اذا كان مقابلا للنص كان
فاسد الاعتبار ثم هو فاسد في نفسه فان الطين انفع وخير من النار فان الطين

اشنع وحيدا من النار فيه الرزانة والحلم والاناة والنمو والنار فيها الطيش والخفة والرعة والاحراق ثم آدم شرفه الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه ولهذا امر الملائكة بالسجود له استحق هذا امر الله تعالى لانه استلزم تنقصه لادم والازدرابه وترفعه عليه مخالفة الامر الالهي ومعاندة للحق في النص على آدم على التعيين وشرع في الاعتذار بما لا يجزي عنه شيئا وكان اعتذاره اشد من ذنبه كما قال في سورة سبحان واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ااسجد لمن خلقت طينا وقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه اي خرج عن طاعة الله تعالى عمدا وعنادا واستكبارا عن امتثال امره وما ذاك الا انه خانه طبعه ومادته الخبيثة احوج ما كان اليها فانه مخلوق من نار كما قال وكما قدمنا في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم ● وابليس لم يكن من الملائكة طرفة عين قط وانما كان من الجن فلما افسدوا في الارض بعث الله اليهم جندا من الملائكة فقتلوهم واجلوهم الى جزائر البحار وكان ابليس ممن اسر فاخذوه الى السماء فكان هناك فلما امرت الملائكة بالسجود امتنع منه **وقال** ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب وجماعة من الصحابة كان رئيس الملائكة بالسماء الدنيا وكان اسمه عزازيل وفي رواية الحرث وكنيته ابو كردوس وقيل كان من حي

كما قال اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين صح

من الملائكة يقال لهم الجن وكانوا خزان الجنان وكان من اشرفهم واكثرهم علما وعبادة وكان من اولي الاجنحة الاربعة فمسخه الله شيطانا رجيما ○ **وقد** اختلف المفسرون في الملائكة المامورين بالسجود لادم اهم جميع الملائكة كما دل عليه عموم الايات وهو قول الجمهور والمراد بهم ملائكة الارض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس وفيه انقطاع في السياق فكان وان كان بعض المتاخرين قد رجحه ولكن الاظهر من السياقات الاول ويدل عليه الحديث واسجد لك ملائكته وهذا عموم ايضا والله اعلم ● وقوله تعالى لابليس اهبط منها واخرج منها دليل على انه كان في السماء فامر بالهبوط منها والخروج من المنزلة والمكانة التي كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة في الطاعة والعبادة ثم سلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه فاهبط الى الارض مذؤما مدحورا وامر الله آدم عليه السلام ان يسكن هو وزوجته الجنة **فقال** وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقال تعالى في الاعراف ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما الى قوله وانك لا تظما فيها ولا تضحى **وسياق** هذه الايات يقتضي ان خلق حوى كان قبل دخول آدم الى الجنة لقوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة **وهذا** قد صرح ابن اسحق بن يسار وهو ظاهر هذه الايات ولكن حكى السدي عن ابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن اناس من الصحابة انهم قالوا اخرج ابليس من الجنة واسكن

آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشياً ليس له فيها زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ وعند
رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت
لتسكن إلي فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه ما اسمها يا آدم قال حواء قالوا ولم كانت
حواء قال إنها خلقت من شيء حي وهذا منتزع من نص التوراة التي بأيدي أهل الكتاب
وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس أنها خلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولأم مكانها
لحماً ومصداق هذا في قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء الآية وفي الصحيح من حديث زائدة عن ميسرة
الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال استوصوا بالنساء
خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته
وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً وقد اختلف المفسرون في قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة فقيل هي الكرم روي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبي
وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدي وابن مسعود وأناس من الصحابة وتزعم يهود أنها
الحنطة وهذا مروي عن ابن عباس والحسن البصري ووهب بن منبه وعطية العوفي
وأبي مالك ومحارب بن دثار وعبد الرحمن بن أبي ليلى قال وهب والحبة منه ألين من
الزبد وأحلى من العسل وقال الثوري عن حصين عن أبي مالك ولا تقربا
هذه الشجرة هي النخلة وقال ابن جريج عن مجاهد هي التينة وقال أبو العالية كانت
شجرة من أكل منها أحدث ولا ينبغي في الجنة حدث وهذا الخلاف قريب وقد أبهم الله

عز وجل ذكرها وتعيينها ولو كان في ذكرها مصلحة تعود علينا لعينها لنا
وإنما الخلاف الذي ذكروه في أن هذه الجنة التي أدخلها آدم هل
هي في السماء أو في الأرض هو الخلاف الذي ينبغي فصله والخروج منه والجمهور
على أنها التي في السماء وهي جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله
تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة والألف واللام ليست للعموم
ولا لمعهود لفظي وإنما تعود على معهود ذهني وهو المستقر شرعاً من جنة
المأوى وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام علام أخرجتنا
ونفسك من الجنة الحديث كما سيأتي الكلام عليه واختلف في الجنة التي
أسكنها آدم وحواء على قولين أحدهما أنها جنة الخلد الثاني أنها جنة أعدها الله
لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها دار جزاء واختلفوا [illegible]
على قولين أحدهما أنها في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن والثاني
أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاهما عنها دون غيرها من
الأشجار وهذا قول ابن يحيى وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم والله
أعلم بصواب ذلك هذا كلامه فقد تضمن كلامه حكاية ثلاثة أقوال وأشعر
كلامه أنه متوقف في المسألة ولهذا حكى أبو عبد الله الرازي في تفسيره
أربعة أقوال هذه الثلاثة المذكورة ورابعها الوقف وحكى القول بأنها في السماء
وليست جنة المأوى وحكي عن الحسن البصري أن آدم لما احتضر اشتهى قطفاً

من عنب الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه له فلقيتهم الملائكة فقالوا اين تريدون
يا بني آدم فقالوا ان ابانا اشتهى قطفا من عنب الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد كفيتموه
فانتهوا اليه فقبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل ومن
خلفه الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم في موتاكم وسيأتي الحديث بسنده وتمام
لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام • قالوا فلولا انه كان الوصول
الى الجنة التي كان فيها آدم التي اشتهى منها القطف ممكنا لما ذهبوا بنوه يطلبون
ذلك فدل على انها في الارض لا في السماء والله اعلم قالوا والاحتجاج بان الالف
واللام في قوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لم يتقدم عهد يعود عليه فهو
للعهود الذهني مسلم ولكن هو ما دل عليه سياق الكلام فان آدم خلق من الارض
ولم يذكر احد انه رفع الى السماء وخلق ليكون في الارض وبهذا اعلم الرب
الملائكة حيث قال اني جاعل في الارض خليفة • قالوا وذكر الهبوط لا
يدل على النزول من السماء قال الله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات
عليك وعلى امم ممن معك الاية وانما كان في السفينة حتى استقرت على الجودي ونضب
الماء عن وجه الارض امر ان يهبط اليها هو ومن معه مباركا عليه وعليهم
وقال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم الاية وقال تعالى وان منها لما
يهبط من خشية الله الاية وفي الاحاديث واللغة من هذا كثير • قالوا ولا مانع
بل هو الواقع ان الجنة التي اسكنها آدم كانت مرتفعة على سائر بقاع الارض

ذات اشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى ان لك الا
تجوع فيها ولا تعرى اي لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعري وانك لا تظمأ
فيها ولا تضحى اي لا يمس باطنك حر الظماء ولا ظاهرك حر الشمس ولهذا قرن
بين هذا وهذا لما بينهما من المقابلة فلما كان منه ما كان من اكله من الشجرة التي
نهي عنها اهبط الى ارض الشقاء والتعب والنصب والسعي والكد والنكد والابتلاء
والاختبار والامتحان واختلاف السكان دينا واخلاقا واعمالا كما قال
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين ولا يلزم من هذا انهم كانوا في السماء كما قال
تعالى وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم
لفيفا ومعلوم انهم كانوا فيها لم يكونوا في السماء قالوا وليس هذا القول مفرعا على
قول من ينكر وجود الجنة والنار ولا تلازم بينهما فكل من حكي عنه هذا القول
من السلف واكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم كما دلت عليه الآيات
والاحاديث الصحاح كما سيأتي ايراده في موضعه والله اعلم وقوله تعالى فازلهما
الشيطان عنها اي عن الجنة فاخرجهما مما كانا فيه اي من النعيم والنضرة والسرور
الى دار التعب والكد والنكد وذلك بما وسوس لهما وزينه في صدورهما كما قال
تعالى فوسوس لهما الشيطان اي ولو اكلتما منها لصرتما كذلك وقاسمهما
اي حلف لهما على ذلك اني لكما لمن الناصحين كما قال في الآية الاخرى
فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي هل ادلك

على الشجرة التي اذا اكلت منها حصل لك الخلد فيما انت فيه من النعيم واستمررت
في ملك لا يبيد ولا ينقضي وهذا من التغرير والتزوير والاخبار بخلاف الواقع وكما
وسوسة ابليس اللعين ولا يمتنع ان يجتمع بهما في الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل
الاستقرار بها او انه وسوس لهما وهو على باب الجنة او من تحت السما وفي الثلثة الاقوال
نظر والله اعلم والمقصود ان قوله شجرة الخلد التي اذا اكلت منها خلدت وقد يكون
هي الشجرة التي قال الامام احمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا شعبة
عن ابي الضحاك سمعت ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد قال غندر قلت
لشعبة هي شجرة الخلد وقوله فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وكانت حوا هي التي اكلت من الشجرة
قبل آدم وهي التي حدته على اكلها والله اعلم وفي التورية التي بايدي اهل الكتاب
ان الذي دل حوا على الاكل من الشجرة هي الحية وكانت من احسن الاشكال واعظمها
فاكلت حوا عن قولها واطعمت آدم عليه السلام وليس فيها ذكر لابليس فعند ذلك
انفتحت اعينهما وعلما انهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا مازر وكذا قال
وهب بن منبه كان لباسهما نورا على فرجه وفرجها وهذا الذي في هذه التورية
التي بايديهم غلط منهم وتحريف وخطا في التعريب فان نقل الكلام من لغة الى
لغة لا يكاد يتيسر لكل احد ولا سيما من لا يعرف كلام العرب جيدا ولا

يحيط علما بفهم كتابه ايضا فلهذا وقع في تعريبهم لها خطا كثير لفظا ومعنى
وقد دل القران العظيم على انه كان عليهما لباس في قوله ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سوآتهما فهذا يرد لغيره من الكلام والله اعلم وقال ابن ابي حاتم ثنا
علي بن الحسن بن اشكاب ثنا علي بن عاصم عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن عن ابي
ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم رجلا طوالا كثير
شعر الراس كانه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فاول ما بدا
منه عورته فلما نظر الى عورته جعل يشتد في الجنة فاخذت شعره شجرة فنازعها
فناداه الرحمن عز وجل يا آدم مني تفر فلما سمع كلام الرحمن قال يا رب لا ولكن استحيا
وقال الثوري عن ابن ابي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ورق التين وهذا اسناد صحيح اليه وكانه
ماخوذ من اهل الكتاب وظاهر الاية يقتضي اعم من ذلك وبتقدير تسليمه فلا يضر
والله اعلم وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن اسحق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن
البصري عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباكم آدم كان
كالنخلة السحوق ستين ذراعا كثير الشعر مواري العورة فلما اصاب الخطيئة
في الجنة بدت له سوأته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فاخذت بناصيته فناداه ربه
افرارا يا آدم قال بل حياء منك والله يا رب مما جئت به وناداهما ربهما الم انهكما عن
تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم

تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهذا اعتراف ورجوع الى الانابة وتذلل
وخضوع واستكانة وافتقار اليه تعالى وهذا السر ما سرى في احد من ذريته
الا كانت عاقبته الى خير في دنياه واخراه قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو
ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين وهذا الخطاب لادم وحوا وابليس والحية
ومنهم امروا ان يهبطوا من الجنة في حال كونهم متعادين متحاربين وقد يستشهد
لذكر الحية معهم بما ثبت في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الحيات
وقال ما سالمناهن منذ حاربناهن وروى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال امر الله الملكين
ان يخرجا آدم وحوا من جواره فنزع جبريل التاج عن راسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه
وتعلق به غصن فظن آدم انه قد عوجل بالعقوبة فنكس راسه يقول العفو العفو
فقال الله فرارا مني فقال بل حياء منك يا سيدي وقال الاوزاعي عن حسان هو ابن
عطيه مكث آدم في الجنة مائة عام وفي رواية ستين عاما وبكى على الجنة سبعين عاما
وعلى خطيئته سبعين عاما وعلى ولده حين قتل اربعين عاما رواه ابن عساكر وقال
ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة ثنا عثمن بن ابي شيبة ثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال اهبط
آدم عليه السلام الى ارض يقال لها دحنا بين مكة والطايف وعن الحسن قال اهبط آدم
بالهند وحوا بجدة وابليس بدست ميسان من البصرة على اميال واهبطت الحية باصبهان
رواه ابن ابي حاتم ايضا وقال السدي نزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الاسود
وبقبضة من ورق الجنة فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك وعن ابن عمر قال اهبط

آدم

آدم بالصفا وحوا بالمروة وقال عبد الرزاق قال معمر اخبرني عوف عن قسامة بن زهير عن ابي موسى
الاشعري قال ان الله حين اهبط آدم من الجنة الى الارض علمه صنعة كل شي وزوده من ثمار
الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير ان هذه تتغير وتلك لا تتغير وعن ابن عباس قال ما اسكن
آدم الجنة الا ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وفي صحيح مسلم من حديث الزهري عن الاعرج
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق
آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها وفي الصحيح من وجه آخر وفيه تقوم الساعة فاما
الحديث الذي رواه ابن عساكر من طريق ابي القسم البغوي ثنا محمد بن جعفر الوركاني ثنا سعيد
ابن ميسرة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط آدم وحوا عريانين جميعا عليهما
ورق الجنة فاصابه الحر حتى قعد يبكي ويقول لها يا حوا قد آذاني الحر قال فجاءه جبريل بقطن وامرها
ان تغزل وعلمها وامر آدم بالحياكة وعلمه وامره ان ينسج قال وكان آدم لم يجامع امراته في
الجنة حتى هبط منها للخطيئة التي اصابتهما باكلهما الشجرة قال وكان كل واحد منهما ينام على
حدة احدهما في البطحا والآخر من ناحية اخرى حتى اتاه جبريل فامره ان ياتي اهله قال
وعلمه كيف ياتيها فلما اتاها جاءه جبريل فقال كيف وجدت امراتك قال صالحة فانه
حديث غريب ورفعه منكر جدا وقد يكون من كلام بعض السلف وسعيد بن ميسرة
هذا هو ابو عمران البكري البصري قال فيه البخاري منكر الحديث وقال ابن حبان
يروي الموضوعات وقال ابن عدي مظلم الامر وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه
انه هو التواب الرحيم قيل هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

روي هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وابي العاليه والربيع بن انس والحسن وقتاده ومحمد بن كعب
وخالد بن معدان وعطا الخراساني وعبد الرحمن بن زيد بن اسلم وقال ابن ابي حاتم ثنا علي بن الحسن بن
اشكاب ثنا علي بن عاصم عن سعيد بن ابي عروبه عن قتاده عن الحسن عن ابي بن كعب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ادم عليه السلام ارايت يا رب ان تبت ورجعت اعايدي الى الجنة
قال نعم فذلك قوله فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع
وقال ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الكلمات اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي انك خير الراحمين اللهم لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك رب اني ظلمت
نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم وروى الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن جبير
عن ابن عباس فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه قال قال ادم يا رب الم تخلقني
بيدك قيل له بلى ونفخت في من روحك قيل له بلى وعطست فقلت يرحمك الله وسبقت
رحمتك غضبك قيل بلى وكتبت علي ان اعمل هذا قيل له بلى قال افرايت ان تبت هل
انت راجعي الى الجنة قال نعم ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه وروى الحاكم
ايضا والبيهقي وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن جده عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف ادم الخطيئة قال يا رب اسالك
بحق محمد الا غفرت لي فقال الله كيف عرفت محمدا ولم اخلقه بعد فقال يا رب لانك لما
خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت راسي فرايت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله

محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال الله صدقت يا ادم
انه لاحب الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك قال
البيهقي تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن اسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله اعلم **ذكر**
احتجاج آدم على موسى عليهما السلام قال البخاري ثنا قتيبه ثنا ايوب بن النجار
عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حاج موسى ادم عليهما
السلام فقال له انت الذي اخرجت الناس من الجنة بذنبك واشقيتهم قال آدم يا موسى
انت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه اتلومني على امر كتبه الله علي قبل ان
يخلقني او قدره الله علي قبل ان يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى
وقال الامام احمد ثنا ابو كامل ثنا ابراهيم ثنا ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم وموسى فقال له
موسى انت آدم الذي اخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم وانت موسى الذي
اصطفاك الله برسالته وبكلامه تلومني على امر قدر علي قبل ان اخلق قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى فحج آدم موسى مرتين قال الشيخ عماد الدين بن كثير
وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال احمد ثنا سفين عن عمرو سمع طاوس
سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى
يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم يا موسى انت الذي اصطفاك

برسالاته

الله بكلامه وقال مرة بوسا لانه وخط لك بيده المومني على امر قدره الله علي قبل
ان يخلقني باربعين سنة فلحج ادم موسى حج آدم موسى حج آدم موسى ۝ وهكذا
رواه البخاري عن علي المديني عن سفيان قال حفظناه عن عمرو عن طاوس قال سمعت
ابا هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا
خيبتنا واخرجتنا من الجنة قال له آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده
اتلومني على امر قدره الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلثا

ورواه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده من حديث امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال موسى عليه السلام ابونا آدم الذي اخرجنا ونفسه
من الجنة فاراه الله آدم عليه السلام فقال انت آدم قال له آدم نعم قال انت الذي نفخ الله
فيك من روحه واسجد لك ملايكته وعلمك الاسما كلها قال نعم قال فما حملك على ان
اخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له آدم من انت قال انا موسى قال انت نبي بني اسرايل
انت الذي كلمك الله من وراء الحجاب فلم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه قال نعم
قال فتلومني على امر قد سبق من الله عز وجل القضا قبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى فحج آدم موسى ۝ ورواه ابو داود عن احمد بن صالح المصري عن ابن وهب به
وقد اختلف الناس في هذا الحديث فرده قوم من القدرية لما تضمن من اثبات القدر
السابق واحتج به قوم من الجبرية وهو ظاهر لهم بادي الراي حيث قال فحج آدم موسى
لما احتج عليه بتقدم كتابه وسياتي الجواب عن هذا ۝ وقال آخرون

إنما حجه لانه لامه على ذنب قد تاب منه والتايب من الذنب كمن لا ذنب له وقيل انما حجه
لانه اكبر منه واقدم وقيل لانه ابوه وقيل لانهما في دار البرزخ وقد انقطع التكليف فيما يزعمونه ۝
والتحقيق ان هذا الحديث روي بالفاظ كثيرة بعضها مروي بالمعنى وفيه نظر ومدار معظمها في
الصحيحين وغيرهما على انه لامه على اخراجه نفسه وذريته من الجنة فقال له آدم انا لم اخرجكم
وانما اخرجكم الذي رتب الاخراج على اكلي من الشجرة والذي رتب ذلك وقدره وكتبه قبل ان
اخلق هو الله عز وجل فانت تلومني على امر ليس له نسبة الي اكثر ما اني نهيت عن الاكل
من الشجرة فاكلت منها وكون الاخراج مترتبا على ذلك ليس من فعلي فانا لم اخرجكم ولا نفسي من الجنة
وانما كان هذا من قدر الله وصنعه وله الحكمة في ذلك فلهذا حج آدم موسى ۝ ومن كذب
بهذا الحديث فمعاند لانه متواتر عن ابي هريرة رضي الله عنه وناهيك به عدالة وحفظا
واتقانا ثم هو مروي عن غيره من الصحابة كما ذكرنا ومن اوله بتلك التاويلات المذكورة
انفا فهو بعيد من اللفظ والمعنى وما فيهم من هو اقوى مسلكا من الجبرية وفيما قالوه نظر
من وجوه احدها ان موسى عليه السلام لا يلوم على امر قد تاب منه فاعله ۝ الثاني انه قد
قتل نفسا لم يومر بقتلها وقد سال الله في ذلك بقوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له الاية
الثالث انه لو كان الجواب عن اللوم على الذنب بالقدر المتقدم كتابته على العبد لا
ينفتح هذا لكل من ليم على امر قد فعله فيحتج بالقدر السابق به فينسد باب القصاص والحدود
ولو كان القدر حجة لاحتج به كل احد على الامر الذي ارتكبه في الامور الكبار والصغار وهذا
يفضي الى لوازم فظيعة فلهذا قال من قال من العلما بان جواب آدم انما كان احتجاجا بالقدر

لانه

... لا العقوبة ... والله اعلم

ذكر الأحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر ثنا عوف حدثني قسامة بن زهير عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك وكذا رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن قسامة بن زهير المازني البصري عن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح وقد ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فبعث الله عز وجل جبريل إلى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض أعوذ بالله منك أن تنقص مني أو تشينني فرجع ولم يأخذ وقال رب إنها عاذت بك فأعذتها فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها فرجع فقال كما قال جبريل فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره فأخذ من وجه الأرض فخلط ولم يأخذ من مكان واحد وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء فلذلك خرج بنو آدم مختلفين فصعد به فبل التراب حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ثم قال للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لئلا

يتكبر

يتكبر إبليس عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان أشدهم منه فزعا إبليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار ويقول لأمر ما خلقت ودخل من فيه وخرج من دبره وقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد وهذا أجوف لئن سلطت عليه لأهلكنه فلما بلغ الحين الذي يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله رحمك ربك فلما دخلت الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت الروح في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلان إلى ثمار الجنة فذلك حين يقول الله تعالى خلق الإنسان من عجل فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين وذكر تمام القصة ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث وإن كان كثيرا منه من الإسرائيليات وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن يحيى ثنا حبان بن هلال ثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن خبيب عن حفص هو ابن عاصم عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب عن أبي هريرة رفعه قال لما خلق الله آدم عطس فقال الحمد لله فقال له ربه رحمك ربك يا آدم وهذا الإسناد لا بأس به ولم يخرجوه قال عمر بن عبد العزيز لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم إسرافيل فآتاه الله

ان كتب القرآن في جبهته رواه ابن عساكر وقال الحافظ ابو يعلى
ثنا عقبة ثنا عمرو بن محمد عن اسمعيل بن رافع عن المقبري عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق آدم من تراب ثم جعله طينا ثم تركه حتى كان
حمأ مسنونا خلقه وصوره ثم تركه حتى اذا كان صلصالا كالفخار قال فكان ابليس
يمر به فيقول لقد خلقت لأمر عظيم ثم نفخ الله فيه من روحه فكان اول ما جرى فيه
الروح بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة ربه فقال الله يرحمك ربك ثم
قال الله يا آدم اذهب الى هؤلاء النفر فقل لهم فانظر ماذا يقولون فجاء فسلم عليهم
فقالوا عليك السلام ورحمة الله فقال يا آدم هذه تحيتك وتحية ذريتك قال يا رب
وما ذريتي قال اختر احدى يدي يا آدم قال اختار يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين فبسط
كفه فاذا من هو كائن من ذريته في كف الرحمن فاذا رجال منهم افواههم النور
واذا رجل يعجب آدم نوره قال يا رب من هذا قال ابنك داود قال يا رب فكم جعلت
له من العمر قال جعلت له ستين قال يا رب فاتم له من عمري حتى يكون عمره مائة سنة
ففعل الله ذلك واشهد على ذلك فلما نفد عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم اولم
يبق من عمري اربعون سنة قال له الملك الم تعطها ابنك داود فجحد ذلك فجحدت
ذريته ونسي فنسيت ذريته وفي حديث آخر قال فاني قد جعلت له من عمري ستين سنة
قال انت وذاك اسكن الجنة فسكن الجنة ما شاء الله ثم اهبط منها وكان آدم يعد
لنفسه فاتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتب لي الف سنة قال

بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد فجحدت ذريته ونسي فنسيت
ذريته فيومئذ امر بالكتاب والشهود ۞ وروى ابن ابي حاتم من حديث عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم عن ابيه عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة مرفوعا فذكره وفيه ثم عرضهم
على آدم فقال يا آدم هؤلاء ذريتك واذا فيهم الاجذم والابرص والاعمى وانواع الاسقام
فقال آدم يا رب لم فعلت هذا بذريتي قال لكي تشكر نعمتي ثم ذكر قصة داود وقال
الامام احمد في مسنده ثنا الهيثم بن خارجة ثنا ابو الربيع عن يونس بن ميسرة عن ابي ادريس
عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه
اليمنى فاخرج ذرية بيضاء كانهم الذر وضرب كتفه اليسرى فاخرج ذرية سوداء
كانهم الحمم فقال للذي في يمينه الى الجنة ولا ابالي وقال للذي في كفه اليسرى
الى النار ولا ابالي وقال ابن ابي الدنيا خلق الله آدم حين خلقه فاخرج اهل الجنة
من صفحته اليمنى واخرج اهل النار من صفحته اليسرى فالقوا على وجه الارض منهم الاعمى
والاصم والمبتلى فقال آدم يا رب الا سويت بين ولدي قال يا آدم اني اردت ان اشكر
قال البخاري ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق انا معمر عن همام بن منبه
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا قال اذهب
فسلم على اولئك من الملائكة فاستمع ما يحيونك تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام
عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم
فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن وقال الامام احمد ثنا روح ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد

عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان طول آدم ستين ذراعا في سبع أذرع عرضا انفرد به أحمد وقال الإمام أحمد
ثنا عفان ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال لما نزلت آية
الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول من جحد آدم إن أول من جحد آدم إن أول
من جحد آدم إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارئ إلى يوم القيامة فجعل
يعرض ذريته عليه فرأى فيهم رجلا يزهر قال أي رب من هذا قال هذا ابنك داود قال أي
رب كم عمره قال ستون عاما قال أي رب زد في عمره قال لا إلا أن أزيده من عمرك وكان
عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاما فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة
فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبضه قال إنه قد بقي من عمري أربعين عاما فقيل إنك قد
وهبتها لابنك داود قال ما فعلت وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة وفي
حديث آخر وأتم عليهما البينة فأتمها لداود مائة سنة وأتمها لآدم ألف سنة • تفرد
به أحمد وعلي بكان وقال الإمام مالك بن أنس في موطاه عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد
الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن
هذه الآية وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم
قالوا بلى الآية فقال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال
إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء
للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار

ويعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال رسول الله صلى الله
إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة
فيدخله به الجنة وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل
من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى
ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين أهل اليمين وأهل الشمال وقال هؤلاء للجنة
ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي فأما الإشهاد عليهم واستنطاقهم بالإقرار بالوحدانية
فلم يجئ في الأحاديث الثابتة وتفسير الآية التي في سورة الأعراف وحملها على هذا فيه
نظر كما نبينه في التفسير فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد قال ثنا حسين بن محمد
ثنا جرير يعني ابن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فأخرج
من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه ثم كلمهم قبلا قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا
أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إلى قوله المبطلون واستأنس
القائلون بهذا القول وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم الجمهور بما قال الإمام أحمد
ثنا حجاج حدثني شعبة عن أبي عمران عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به قال فيقول نعم
فيقول قد أردت منك ما هو أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا
فأبيت إلا أن تشرك بي أخرجاه من حديث شعبة به وقال أبو جعفر الرازي

عن الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية والتي بعدها قال فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كاين منه الى يوم القيمة فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا واخذ عليهم العهد والميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية قال فاني اشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع واشهد عليكم اباكم آدم ان تقولوا يوم القيمة لم نعلم بهذا اعلموا انه لا اله غيري ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً واني سارسل اليكم رسلاً ينذرونكم عهدي وميثاقي وانزل عليكم كتبي قالوا نشهد انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فاقروا له يومئذ بالطاعة ورفع اباهم آدم فنظر اليهم فراى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال يا رب لو سويت بين عبادك فقال اني احببت ان اشكر وراى فيهم الانبيا مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً وهو الذي يقول فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفي ذلك قال هذا نذير من النذر الاولى وفي ذلك قال وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين رواه الايمة عبد الله بن احمد وابن ابي حاتم وابن جرير وابن مردويه في تفاسيرهم من طريق ابي جعفر وروي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والسدي

وغير واحد

من علماء السلف بسياقات توافق هذه الاحاديث وتقدم انه تعالى لما امر الملائكة بالسجود لادم امتثلوا كلهم الامر الالهي وامتنع ابليس من السجود له حسداً وعداوة له فطرده الله وابعده واخرجه من الحضرة الالهية ونفاه عنها واهبطه الى الارض طريداً ملعوناً شيطاناً رجيماً وقد قال الامام احمد حدثنا وكيع ويعلى ابنا عبيد قالا ثنا الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود [فسجد] فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار رواه مسلم من حديث وكيع وابي معوية عن الاعمش به ثم لما اسكن ادم الجنة التي اسكنها سوا كانت في السما او في الارض على ما تقدم من الخلاف فيه اقام بها هو وزوجته حوا عليهما السلام ياكلان منها رغداً حيث شا فلما اكلا من الشجرة التي نهيا عنها سلبا ما كانا فيه من اللباس واهبطا الى الارض وقد ذكرنا الاختلاف في مواضع هبوطهما منها واختلفوا في مقدار مقامه في الجنة فقيل بعض يوم من ايام الدنيا وقد قدمنا ما رواه مسلم عن ابي هريرة مرفوعاً وخلق ادم في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وتقدم ايضاً حديثه وفيه خلق ادم وفيه اخرج منها فان كان اليوم الذي خلق فيه فيه اخرج وقلنا ان الايام الستة كهذه الايام فقد لبث بعض يوم من هذه الايام وفي هذا نظر وان كان اخراجه في غير اليوم الذي خلق فيه او قلنا بان تلك الايام مقدارها ستة الاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة قال ابن جرير ومعلوم انه خلق في آخر ساعة

والباقية منه ثلاث وثمانون سنة واربعة اشهر فلبث مصورا طينا قبل ان ينفخ فيه
الروح اربعين سنة واقام في الجنة قبل ان يهبط ثلاثا واربعين سنة واربعة اشهر
والله اعلم وقد روى عبد الرزاق عن همام عن حسان عن عطاء بن ابي رباح انه كان
لما اهبط رجلاه في الارض وراسه في السما فحطه الله الى ستين ذراعا ۝ وقد روى عن ابن عباس
نحوه وفي هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن ۝ وهذا
يقتضي انه خلق كذلك لا اطول من ستين ذراعا وان ذريته لم يزالوا يتناقص خلقهم
حتى الآن وذكر ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اول طعام اكله آدم في الارض
ان جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة فقال ما هذا قال هذا من الشجرة التي نهيت عنها
فاكلت منها فقال وما اصنع بهذا قال ابذره في الارض فبذره وكانت كل حبة منها زنتها ازيد
من مائة الف فنبتت فحصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فاكله بعد جهد
عظيم وتعب ونكد وذلك قوله تعالى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وكان
اول كسوتهما من شعر الضان جزاه ثم غزلاه فنسج آدم له جبة ولحوا درعا
وخمارا ۝ واختلفوا هل ولد لهما في الجنة شي من الاولاد فقيل لم يولد لهما الا
في الارض وقيل بل ولد لهما فيها فكان قابيل واخته ممن ولد بها والله اعلم وذكروا
انه كان يولد له في كل بطن ذكر وانثى وامر ان يزوج كل ابن اخت اخيه التي ولدت
معه والآخر بالاخرى وهلم جرى ولم تكن تحل اخت لاخيها الذي ولدت معه

ذكر قصة ابني آدم قابيل وهابيل

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ
ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك
قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي
اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه قال يا ويلتا
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي فاصبح من النادمين ۝
قد تكلم المفسرون على هذه القصة في سورة المائدة بما يغني عن ذكرها هنا بما فيه كفاية
ولنذكر هنا ملخص ما ذكره ايمة السلف في ذلك فذكر السدي عن ابي
مالك وابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس ان
آدم كان يزوج ذكر كل بطن بانثى الآخر وان هابيل اراد ان يتزوج اخت قابيل
وكان اسمها لوذا وكانت احسن بنات آدم وكان اكبر من هابيل واخت هابيل اقليما
فاراد قابيل ان يستاثر بها على اخيه وامر آدم عليه السلام ان يزوجه اياها فابى
فامرهما ان يقربا قربانا وذهب آدم ليحج الى مكة واستحفظ السموات على بنيه فابين
والارضين والجبال فابين فتقبل قابيل بحفظ ذلك فلما ذهب آدم قربا قربانهما
فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم وقرب قابيل حزمة من زرع من ردي
زرعه فنزلت نار فاكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال

لاقتلنك حتى لا تنكح اختي فقال انما يتقبل الله من المتقين وروي عن ابن عباس وعن عبد الله
ابن عمرو وقال عبد الله بن عمرو وايم الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه
التحرج ان يبسط اليه يده ۝ وذكر ان آدم كان مباشرا لتقربهما القربان والتقبل
من هابيل دون قابيل فقال قابيل لآدم انما تقبل منه لانك دعوت له ولم تدع لي
وتواعد اخاه فيما بينه وبينه فلما كانت ذات ليلة ابطأ هابيل في الرعي فبعث آدم قابيل
لينظر ما ابطأ به فلما ذهب اذا هو به فقال له تقبل منك ولم يتقبل مني فقال انما يتقبل
الله من المتقين فغضب قابيل عندها وضربه بحديدة كانت معه فقتله وقيل انه
انما قتله بصخرة رماها على راسه وهو نائم فشدخته وقيل بل خنقه خنقا شديدا
وعضا كما تفعل السباع فمات فالله اعلم وقوله له لما توعده بالقتل لئن بسطت
الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين دل
على خلق حسن وخوف من الله تعالى وخشية منه وتورع ان يقابل اخاه بالسوء الذي
اراد منه اخوه مثله ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقوله اني اريد ان تبوء
باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين اي اني اريد ترك مقاتلتك
وان كنت اشد منك واقوى اذ قد عزمت على ما عزمت عليه ان تبوء باثمي واثمك
اي تتحمل اثم قتلي مع ما لك من الآثام المتقدمة قبل ذلك قاله مجاهد والسدي وابن جرير

وغيرهم وليس

وليس المراد ان آثام المقتول تتحول بمجرد قتله الى القاتل كما قد توهمه بعض الناس
فان ابن جرير حكى الاجماع على خلاف ذلك واما الحديث الذي يورده بعض من لا
يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ترك القاتل على المقتول من ذنب فلا اصل له
ولا يعرف في شيء من كتب الحديث بسند صحيح ولا حسن ولا ضعيف ايضا ولكن قد يتفق
في بعض الاشخاص يوم القيامة يطالب المقتول القاتل فتكون حسنات القاتل لا تفي
بهذه المظلمة فتحول من سيئات المقتول الى القاتل كما ثبت به الحديث الصحيح في سائر
المظالم والقتل من اعظمها والله اعلم ذكر هذا الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال
الامام احمد رحمه الله ح ابو معاوية ووكيع قالا حدثنا الاعمش عن عبد الله بن مرة
عن مسروق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان
على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل ۝ ورواه الجماعة سوى
ابي داود من طريق الاعمش به وهكذا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابرهيم النخعي
انهما قالا مثل هذا سواء وبجبل قاسيون شمالي دمشق مغارة يقال لها مغارة الدم
مشهورة بانها المكان الذي قتل قابيل اخاه هابيل عندها وذلك مما تلقوه عن اهل
الكتاب فالله اعلم بصحة ذلك وقد ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة احمد بن كثير
وقال انه كان من الصالحين انه راى في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر
وهابيل وانه استحلف هابيل ان هذا دمه فحلف له وذكر له انه سال الله تعالى ان يجعل
هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فاجابه الى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله صلى الله

عليه وسلم

وقال انه وابابكر وعمر يردون هذا المكان في كل يوم خميس ٥ وهذا منام لو صح عن
احد بعينه هذا لم يترتب عليه حكم شرعي والله اعلم ولما قتله حمله على ظهره وقيل حمله
مائة سنة ولم يزل كذلك حتى بعث الله غرابين فتقاتلا فقتل احدهما الاخر فلما قتله عمد الى
الارض فحفر له فيها ثم القاه ودفنه وواراه فلما راه يصنع ذلك قال يا ويلتا اعجزت
ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي ففعل مثل ما فعل الغراب فواراه ودفنه
وذكر اهل التواريخ والسير ان ادم حزن على ابنه هابيل حزنا شديدا وانه قال
في ذلك شعرا وهو قوله فيما ذكره ابن جرير عن ابي حميد ٥ ٥

تغيرت البلاد ومن عليها • فوجه الارض مغبر قبيح •
تغير كل ذي لون وطعم • وقل بشاشة الوجه المليح •
قتل قابيل هابيلا اخاه • فواحزني على الوجه المليح •

وهذا الشعر فيه نظر وقد يكون ادم عليه السلام قال كلاما يتحزن به بلغته
فالفه بعضهم الى هذا وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة هابيل من تاريخه القصة
بتمامها واورد هذا الشعر بسنده من طريق ابي بكر الخطيب بسنده الى عبد العزيز بن الرماح
عن سفين بن عيينة عن ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال لما قتل ابن ادم اخاه قال
ادم عليه السلام ذلك ٥ قال ابن عساكر فاجابه ابليس لعنه الله تعالى

تنح عن البلاد وساكنيها • فبي في الارض ضاق بك الفسيح •
وكنت بها وزوجك في رخاء • وقلبك من اذى الدنيا مريح •

ف

٦٢

فما انفكت مكايدي ومكري • الى ان فاتك الثمن الربيح •
فلولا رحمة الجبار اضحى • بكفك من جنان الخلد ريح •

هكذا اورده الحافظ ابن عساكر ولم ينبه على نكارته ولا غرابته وكان نظيف و
بذلك ٥ وقد ذكر مجاهد ان قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل اخاه فعلقت ساقه
الى فخذه وجعل وجهه الى الشمس كيفما دارت تنكيلا به وتعجيلا لذنبه وبغيه وحسده
لاخيه لابويه وذكر اسحق بن بشر الكاهلي في كتاب المبتدا فبعث الله ملكا فنفخ
رجله اليمنى الى اليته اليسرى ورجله اليسرى الى اليته اليمنى ثم علقه في عين الشمس
واحاط عليه سبع حظاير من حظاير النار فاذا كان ايام الصيف كان اشد الناس حرا
واذا كان ايام الشتا كان اشد الناس زمهريرا فعذبه الله بذلك ثمان سنة ثم القاه
الى الارض وعليه تلك الحظاير واوحى الله عز وجل الى الارض ان اخفيه قال فاخذته الا
الى كعبيه فقال يا رب ارحمني فقال الله تعالى انا ارحم كل رحيم خذيه فاخذته الى ركبتيه
ثم اخذته الى وسطه فقال يا رب ان كنت عصيتك فقد عصاك من هو خير مني اي
وقد خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك واسجدت له ملايكتك واسكنته جنتك
فالكيف عد ابني فعلت به اخرجته من ملكوت السما الى هوان الارض ثم قال
خذيه فاخذته الى صدره فقال يا رب ان ادم اخبرني انك خلقت مائة رحمة
فقسمت منها رحمة واحدة بين خلقك وادخرت تسعا وتسعين في خزاين عرشك
فاذا كان يوم القيمة ضممت هذه الى تلك فرحمت بها عبادك حتى ان ابليس الا ابا

لسنة

ليتطاول لها دهرا ان ناله منها شي فلا تحييني منها فقال الله كيف ارحمك ولم ترحم
اخاك وقال للارض غذيه فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ورايت في الكتاب
الذي بايدي اهل الكتاب الذي يزعمون انه التوريه ان الله عز وجل اجله وانظره
وانه سكن في الارض بجبل نود شرقي عدن وهم يسمونه قينن وانه ولد له خنوخ
ولخنوخ عندر ولعندر محوايل ولمحوايل متوشيل ولمتوشيل لامك وتزوج هذا
امراتين عدا وصلا فولدت عدا ولدا اسمه ابل وهو اول من سكن القباب واقتنى المال
وولدت ايضا نوبل وهو اول من اخذ في ضرب الونج والصنج وولدت صلا ولدا اسمه
توبلقين وهو اول من صنع النحاس والحديد وبنتا اسمها نعمي وفيها ايضا اعني التوريه
ان ادم عليه السلام طاف على امراته فولدت غلاما ودعت اسمه شيث وقالت من اجل انه
قد وهب لي خلفا من هابيل الذي قتله قينن وولد لشيث انوش قالوا وكان عمر ادم
يوم ولد شيث مايه وثلثين سنه وعاش بعد ذلك ثمان مايه سنه وكان عمر شيث يوم
ولد انوش مايه وخمسين سنة وعاش بعد ذلك ثمان مايه سنه وسبع سنين وولد له
بنون وبنات غير انوش فولد لانوش قينان وله من العمر تسعون سنة وعاش بعد ذلك
ثمان مايه سنة وخمس عشرة سنه وولد له بنون وبنات فلما كان عمر قينان سبعين سنه
ولد له مهلاييل وعاش بعد ذلك ثمان مايه سنة واربعين سنة وولد له بنون وبنات
فلما كان لمهلاييل من العمر خمس وستون سنة ولد له يرد وقيل يارد وعاش بعد ذلك
ثمان مايه وثلثين سنه وولد له بنون وبنات فلما كان ليرد مايه سنة واثنان وستون سنة

ولد له خنوخ وعاش بعد ذلك ثمان مايه سنه وولد له بنون وبنات فلما كان
لخنوخ خمس وستون سنه ولد له متوشلخ وقيل لمتوشلخ وعاش بعد ذلك ثمان مايه
سنه وولد له بنون وبنات فلما كان لمتوشلخ مايه وسبع وثمانون سنة ولد له
لامك وعاش بعد ذلك سبعمايه واثنتين وثمانين سنه وولد له بنون وبنات فلما كان
للامك من العمر مايه واثنتان وثمانون سنة ولد له نوح وعاش بعد ذلك خمس مايه
وخمسا وتسعين سنة وولد له بنون وبنات فلما كان لنوح خمس مايه سنة ولد له
بنون سام وحام ويافث ۝ هذا مضمون ما في كتابهم صريحا وفي كون هذه
التواريخ محفوظة مما نزل من السما نظر كما ذكره غير واحد من العلما طاعنين
عليهم في ذلك والظاهر انها مقحمة فيها ذكرها بعضهم على سبيل الزيادة وفيها غلط
كثير كما سنبينه في مواضعه ان شا الله تعالى وقد ذكر الامام ابو جعفر
ابن جرير في تاريخه ان حوا ولدت لادم اربعين ولدا في عشرين بطنا في كل واحد ذكر
وانثى اولهم قابيل واخته قليما واخرهم عبد المغيث واخته ام المغيث ثم انتشر الناس
فكثروا وامتدوا في الارض ونموا كما قال الله تعالى يا ايها الناس اتقوا
ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا
الاية وقد ذكر اهل التواريخ ان ادم عليه السلام لم يمت حتى راى من ذريته
من اولاده واولاد اولاده اربعا وسته الاف نسمه فالله اعلم وروى ابن ابي حاتم
عن عبد الصمد عن عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال لما ولدت حوا طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث
فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشياطين وامره وهكذا
رواه الترمذي وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم عند هذه الاية
هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت
حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن
من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون
فهذا تنبيه اولا بذكر ادم ثم استطرد الى الجنس وليس المراد بهذا ذكر ادم وحوا
بل لما جرى ذكر الشخص استطرد الى الجنس كما في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وقال تعالى ولقد زينا السما الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ومعلوم ان رجوم الشياطين ليست هي اعيان
مصابيح السما وانما استطرد من شخصها الى جنسها وهذا الحديث المروي عن الامام
احمد اخرجه الحاكم في مستدركه وكلهم من حديث عبد الصمد بن عبد الوارث به وقال
الحاكم صحيح الاسناد وقال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم ورواه
بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه فهذه علة قادحة في الحديث انه روي موقوفا على
الصحابي وهذا اشبه والظاهر انه تلقاه من الاسرائيليات وهكذا روي موقوفا على
ابن عباس والظاهر ان هذا متلقى عن كعب الاحبار وذويه والله اعلم والله عز وجل
انما خلق ادم وحوا ليكونا اصل البشر وليبث منهما رجالا كثيرا ونسا فكيف كانت

المذكور قبل الآيات

حوا

حوا لا يعيش لها ولد كما ذكر في الحديث المتقدم والمظنون بل المقطوع به ان رفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم خطا والصواب وقفه والله اعلم وقد روى ابن حبان في
صحيحه عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جم غفير قلت يا رسول
الله من كان اولهم قال ادم قلت يا رسول الله نبي مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ
فيه من روحه ثم سواه قبلا وقال كعب الاحبار ليس احد في الجنة له لحية الا
ادم لحيته سودا الى سرته وليس احد يكنى في الجنة الا ادم كنيته في الدنيا ابو البشر
وفي الجنة ابو محمد وفي حديث الاسرا الذي في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما مر بادم وهو في السما الدنيا قال له مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وكان
عقل ادم مثل جميع عقل ولده وقال بعض العلما في قوله صلى الله عليه وسلم لما مر
بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن قالوا معناه انه كان على النصف من حسن
ادم عليه السلام وهذا مناسب فان الله تعالى خلق ادم وصوره بيده الكريمة
ونفخ فيه من روحه فما كان ليخلق الا احسن الاشيا وقد روى الحافظ ابن عساكر
في ترجمة عبد ربه بن صالح القرشي الدمشقي يروي عن مكحول وعنه عن الوليد ومروان
وسليمان بن عبد الرحمن وهشام بن عمار وهشام بن خالد سمع عروة بن رويم عن جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم
ياكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة فقال الله

لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان ۞

ذكر وفاة آدم عليه السلام ووصيته الى ابنه شيث عليه السلام ۞

ومعنى شيث هبة الله سمياه بذلك لانهما رزقاه بعد ان قتل هابيل قال
محمد بن اسحق ولما حضرت آدم الوفاة عهد الى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار وعلمه
عبادات تلك الساعات واعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك قال وان انساب بني آدم اليوم كلها
تنتهي الى شيث وسائر اولاد آدم غيره انقرضوا وبادوا والله اعلم ولما توفي آدم عليه السلام
وكان ذلك يوم جمعة جاءته الملائكة بحنوط وكفن من عند الله عز وجل من الجنة
وعزوا فيه ابنه ووصيه شيثا عليه السلام قال ابن اسحق وكسفت الشمس والقمر
سبعة ايام بلياليهن وقد قال عبد الله بن الامام احمد ثنا هدبة بن خالد ثنا حماد
ابن سلمة عن حميد عن الحسن عن عتي هو ابن ضمرة السعدي قال رايت شيخا بالمدينة تكلم فسالت
عنه فقالوا هذا ابن كعب فقال ان آدم عليه السلام لما حضره الموت قال لبنيه اي بني
اني اشتهي من ثمار الجنة فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم اكفانه
وحنوطه ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون
قالوا ان ابانا مريض واشتهى من ثمار الجنة فقالوا لهم ارجعوا فقد قضي قضاء ابيكم فجاؤا فلما
رآهم حواء عرفتهم فلاذت بآدم فقال اليك عني فاني انما اتيت من قبلك خلي بيني وبين
ملائكة ربي فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا
عليه وادخلوه قبره ووضعوه فيه وحثوا عليه التراب ثم قالوا يا بني آدم هذه سنتكم

لعله ابي بن كعب فان عتيا روى عنه وعن ابن مسعود ايضا ومحمد بن كعب من اقران عتي ۞

وصلت

وصلت عليه الملائكة وكبروا عليه اربعا وكبر ابو بكر على فاطمة اربعا وكبر عمر على
ابي بكر اربعا وكبر صهيب على عمر اربعا قال ابن عباس كبره واختلفوا في موضع
دفنه فالمشهور انه دفن عند الجبل الذي اهبط عليه في الهند وقيل بجبل ابي قبيس بمكة
ويقال ان نوحا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنهما
ببيت المقدس حكى ذلك ابن جرير وروى ابن عساكر عن بعضهم انه قال راسه عند مسجد
ابرهيم ورجلاه عند صخرة بيت المقدس وماتت حواء بعده بسنة واحدة واختلف
في مقدار عمره عليه السلام فقدمنا في الحديث عن ابن عباس وابي هريرة مرفوعا ان عمره اكتتب في
اللوح المحفوظ الف سنة وهذا لا يعارضه ما في التورية من انه عاش تسعمائة وثلثين سنة
لان قولهم هذا مطعون فيه مردود اذا خالف الحق الذي بايدينا مما هو محفوظ عن المعصوم
وايضا فان قولهم هذا يمكن الجمع بينه وبين ما في الحديث فان ما في التورية ان كان محفوظا
محمول على مدة مقامه في الارض بعد الاهباط وذلك تسعمائة سنة وثلثون سنة شمسية
وهي بالقمرية تسعمائة وسبع وخمسون سنة ويضاف الى ذلك ثلاث واربعون سنة
مدة مقامه في الجنة قبل الاهباط على ما ذكره ابن جرير وغيره فيكون الجميع الف سنة
وبكت الخلائق عليه سبعة ايام وبعد موته قام باعباء الامر بعده ولده شيث عليه السلام
وكان نبيا بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عن ابي ذر مرفوعا انه انزل
عليه خمسون صحيفة فلما جاءته الوفاة اوصى الى ابنه انوش فقام بالامر
بعده ثم بعده ولده قينان ثم من بعده ابنه مهلاييل وهو الذي يزعم الاعاجم من الفرس انه

وعاش شيث تسعمائة [illegible]

وعاش قينان تسعمائة [illegible] سنة

وعاش انوش تسعمائة وخمس سنين ۞

[illegible] وهو الذي [illegible] الشمس [illegible] بالطين والجص [illegible] آدم عليه السلام [illegible]

ملك الاقاليم السبعة وانه اول من قطع الاشجار وبنى المداين والحصون بالحجارة وانه هو
الذي بنى مدينة بابل ومدينة السوس الاقصى وانه قهر ابليس وجنوده وشردهم عن
الارض الى اطرافها وشعاب جبالها وانه قتل خلقا من مردة الجن والغيلان وكان له
تاج عظيم وكان يخطب الناس ودامت دولته اربعين سنة فلما مات قام بالامر
بعده ولده يرد وقيل يارد فلما حضرته الوفاة اوصى الى ولده خنوخ وهو ادريس عليه
السلام على المشهور ۞ وفي ايام يارد بن مهلاييل عملت الاصنام ورجع عن الاسلام وكل
هولاء ولدوا في حياة ادم عليه السلام وعاش يارد المذكور تسعمائة وثمانين سنة

وعاش مهلاييل ثمانمائة خمس وتسعون سنة ۞

ذكر ادريس عليه السلام ۞ وهو خنوخ ويقال اخنوخ بن يارد وكان
اول من اعطي النبوة بعد شيث وخط بالقلم على ما ذكر ابن اسحق واول من
خاط الثياب وكان الناس قبل ذلك يلبسون الجلود واول من جاهد في سبيل
الله وسمي ادريس لكثرة درسه الكتب وانزل الله عز وجل عليه ثلثين صحيفة
ورفع الى السما وله ثلثمائة وخمس وستون سنة في حياة ابيه يارد وعاش ابوه
بعده اربعمائة خمس وثلثون سنة قال الله تعالى واذكر في الكتاب
ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا فادريس عليه السلام قد
اثنى الله تعالى عليه ووصفه بالنبوة والصديقية وهو في عمود نسب رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما ذكره غير واحد من علما النسب وقد ادرك من حياة
ادم ثلثمائة سنة وثماني سنين وقد قال طايفة من الناس انه المشار اليه

آدم و ۞

في حديث معوية بن الحكم السلمي لما سال النبي صلى الله عليه وسلم عن الخط بالرمل فقال
انه كان نبي يخط به فمن وافق خطه فذاك ويزعم كثير من علما التفسير والاحكام
انه اول من تكلم في ذلك ويسمونه هرمس الهرامسة ويكذبون عليه اشيا كثيرة
كما كذبوا على غيره من الانبيا والعلما والحكما والاوليا وقوله تعالى ورفعناه مكانا
عليا ۞ هو كما ثبت في الصحيحين في حديث الاسرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر به وهو في السما الرابعة وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب
عن جرير بن حازم عن الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سال
ابن عباس رضي الله عنهما كعبا وانا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لادريس
ورفعناه مكانا عليا قال كعب اما ادريس فان الله تعالى اوحى اليه اني ارفع
لك كل يوم مثل جميع عمل بني ادم فاحب ان يزداد عملا فاتاه خليل له من الملايكة فقال
ان الله تعالى اوحى الي كذا وكذا فكلم في ملك الموت حتى ازداد عملا فحمله بين
جناحيه ثم صعد به الى السما فلما كان في السما الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا
فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال واين ادريس فقال هو ذا على
ظهري فقال ملك الموت فالعجب بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السما الرابعة
فجعلت اقول كيف اقبض روحه في السما الرابعة وهو في الارض فقبض روحه
هناك فذلك قول الله عز وجل ورفعناه مكانا عليا ورواه ابن ابي حاتم عند
تفسيرها وعنده فقال لذلك الملك سل لي ملك الموت كم بقي من عمري فساله وهو معه

ادريس

كم بقي من عمره فقال لا ادري حتى انظر فنظر فقال انك لتسالني عن رجل ما بقي من
عمره الا طرفة عين فنظر الملك الى تحت جناحه الى ادريس فاذا هو قد قبض وهو لا يشعر
وهذا من الاسرائيليات وفي بعضه نكارة وقول ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع ولم يمت كما رفع عيسى ان اراد انه لم يمت الى الان
ففي هذا نظر وان اراد انه رفع حيا الى السما ثم قبض هناك فلا ينافي ما تقدم عن كعب الاحبار
والله اعلم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله ورفعناه مكانا عليا رفع الى السما السادسة
فمات بها وهكذا قال الضحاك والحديث المتفق عليه من انه في السما الرابعة اصح وهو
قول مجاهد وغير واحد وقال الحسن البصري ورفعناه مكانا عليا قال الى الجنة
وقال قائلون رفع في حياة ابيه يرد بن مهلاييل والله اعلم وقد زعم بعضهم ان
ادريس لم يكن قبل نوح بل في زمان بني اسرائيل وقال البخاري ويذكر عن ابن مسعود
وابن عباس ان الياس هو ادريس واستانسوا في ذلك بما جا في حديث الزهري عن انس
في الاسرا انه لما مر به عليه السلام قال له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ولم يقل كما قال
ادم وابرهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قالوا فلو كان في عمود نسبه لقال له
كما قالا له وهذا لا يدل ولا بد لانه قد لا يكون الراوي حفظه جيدا او لعله قاله
على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الابوة كما انتصب لادم ابو البشر وابرهيم
الذي هو خليل الرحمن واكبر اولي العزم بعد محمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ٥
وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الرحمن بن سعيد بن بشير من طريق

ابن عمار رعته عن الوليد بن عبد الله المزني ابن اخي النعمان بن مقرن عن الحسن البصري
قال لطنه ذكر عبد الله بن مسعود قال كان ادريس النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا
بدعوة كان يامر ان لا تعلموها السفها فيدعون بها فكان يقول يا ذا الجلال
والاكرام يا ذا الطول لا اله الا انت ظهر اللاجين وجار المستجيرين وامن الخائفين
اني اسالك ان كنت في ام الكتاب شقيا ان تمحو من ام الكتاب
شقاي وتثبتني عندك سعيدا وان كنت في ام الكتاب محروما مقترا علي في رزقي
ان تمحو من ام الكتاب حرماني واقتار رزقي وتثبتني عندك سعيدا موفقا للخير كله ٥
وقال قوم انه نبي بعد موت ادم بمايتين سنه وولد له متوشلخ وفي التورية متوشلخ
وله خمس وستون سنه وولد لمتوشلخ لامخ وله مايه سنه وسبع وثلثون سنه ومات
متوشلخ وله تسعمايه وتسع وعشرون سنه ومات لامخ ويقال لامك وله سبعمايه واثنان
وثمانون سنه ٥

قصة نوح عليه السلام

هو نوح بن لامك بن متوشلخ
ابن خنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن انوش بن شيث بن ادم ابي البشر
عليه السلام ٥ كان مولده بعد وفاة ادم بمايه سنه وست وعشرين سنه فيما
ذكره ابن جرير وغيره وعلى تاريخ اهل الكتاب المتقدم يكون بين مولد نوح وموت
ادم مايه وستة عشر سنه وذلك لالف سنة وخمسين من هبوطه وكان بينهما عشرة
قرون كما قال الحافظ ابو حاتم بن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن عمر بن يوسف
ثنا محمد بن عبد الملك زنجويه ثنا ابو توبه ثنا معويه بن سلام عن اخيه زيد بن سلام

لامك

سمعت ابا سلام سمعت ابا امامة ان رجلا قال يا رسول الله انبي كان آدم قال
نعم مكلم قال فكم كان بينه وبين نوح قال عشرة قرون ٥ وهذا على شرط مسلم
ولم يخرجه وفي حديث آخر عشرة قرون كلهم على الاسلام وهذا يرد قول من زعم من اهل التواريخ
وغيرهم من اهل الكتاب بان قابيل وبنيه عبدوا النار والله اعلم ٥ والمراد بالقرن الجيل
من الناس كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح ٥ وقوله ثم انشانا
من بعدهم قرنا آخرين ٥ وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ٥ وقال وكم اهلكنا
من قبلهم من قرن ولقوله عليه السلام خير القرون قرني الحديث فقد كان الجيل
من قبل نوح يعمرون الدهور الطويلة فعلى هذا يكون بين نوح وآدم الوف من السنين والله اعلم
وبالجملة فنوح عليه السلام انما بعثه الله تعالى لما عبدت الاصنام والطواغيت وشرع
الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة بالعباد فكان اول رسول بعث الى اهل الارض
كما يقول له اهل الموقف يوم القيمة وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن
جرير وغيره واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث فقيل كان ابن خمسين سنة
وقيل ابن ثلثمائة وخمسين سنة وقيل ابن اربعمائة وثمانين سنة حكاها ابن جرير وعزا الثالث
منها الى ابن عباس وقد ذكر الله تعالى قصته وما كان من قومه وما انزل بمن
كفر به من العذاب بالطوفان وكيف انجاه واصحاب السفينة في غير ما موضع
من كتابه العزيز في سورة الاعراف ويونس وهود والانبياء والمؤمنين والشعرا
والعنكبوت والصافات واقتربت وانزل فيه سورة كاملة ٥ وفي غيرها من آلايات
في

في مواضع عديدة واما مضمون ما جرى له مع قومه ماخوذا من الكتاب والسنة
والآثار فقد قدمنا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون
كلهم على الاسلام رواه البخاري ٥ وذكرنا ان المراد بالقرن الجيل او المدة على ما سلف
ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت امور اقتضت ان آل الحال باهل ذلك
الزمان الى عبادة الاصنام وكان سبب ذلك ما رواه البخاري من حديث ابن
جريج عن عطا عن ابن عباس عند تفسير قوله تعالى وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا
تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال هذه اسما رجال
صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم
التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمايهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك
اوليك وانتسخ العلم عبدت قال ابن عباس وصارت هذه الاوثان
التي كانت في قوم نوح في العرب تعبد وهكذا قاله عكرمة والضحاك
وقتادة ومحمد بن اسحق وقال ابن جرير في تفسيره ان قوما صالحين كانوا
بين آدم ونوح وكان لهم اتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال اصحابهم الذين كانوا
يقتدون بهم لو صورناهم كان اشوق لنا الى العبادة اذا ذكرناهم فصوروهم
فلما ماتوا وجا آخرون دب اليهم ابليس فقال انما كانوا يعبدونهم وبهم
يسقون المطر فعبدوهم والمقصود لما انتشر الفساد في الارض وعم البلا
بعبادة الاصنام فيها بعث الله عبده ورسوله نوحا عليه الصلوة والسلام

يدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه فكان اول رسول
بعثه الله الى اهل الارض حادث في الحجر وشرع يدعوهم الى افراد العبادة لله وحده
لا شريك له وان لا يعبدوا معه صنما ولا تمثالا ولا طاغوتا وان يعترفوا بوحدانيته
وانه لا اله غيره ولا رب سواه كما امر الله تعالى من بعده من الرسل الذين هم
كلهم من ذريته كما قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين **وقال** فيه وفي
ابرهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي كل نبي بعد نوح من ذريته وكذلك
ابرهيم قال الله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت **وقال** تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون **ولهذا** قال نوح لقومه اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقال ان لا تعبدوا الا
الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فذكر انه دعاهم الى الله بانواع الدعوة
في الليل والنهار والسر والاجهار بالترغيب تارة والترهيب اخرى وكل هذا
فلم ينجح فيهم بل استمر اكثرهم على الضلالة والطغيان وعبادة الاصنام
والاوثان ونصبوا له العداوة في كل وقت واوان وتنقصوه وتنقصوا من
آمن به وتوعدوهم بالرجم والاخراج ونالوا منهم وبالغوا في امرهم قال
الملأ من قومه اي السادة الكبراء منهم انا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس

بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين اي لست كما تزعمون من اني ضال بل على
الهدى المستقيم رسول من رب العالمين اي الذي يقول للشي كن فيكون ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون وهذا شان الرسول ان يكون بليغا
اي فصيحا ناصحا اعلم الناس بالله عز وجل **وقالوا** له فيما قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل
نظنكم كاذبين تعجبوا ان يكون بشرا رسولا وتنقصوا من اتبعه وراوهم اراذلهم
وقد قيل انهم كانوا من افناد الناس وضعفائهم وهم كما قال هرقل وهم اتباع الرسل
وما ذاك الا لانه لا مانع لهم من اتباع الحق وقوله بادي الراي اي بمجرد ما دعوتهم
استجابوا لك من غير نظر ولا روية وهذا الذي رموهم به هو عين ما يمدحون
بسببه رضي الله عنهم فان الحق الظاهر لا يحتاج الى روية ولا فكر ولا نظر بل
يجب اتباعه والانقياد له متى ظهر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مادحا للصديق ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه
لم يتلعثم ولهذا كانت بيعته يوم السقيفة ايضا سريعة من غير نظر ولا روية
لان افضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضي الله عنهم **ولهذا قال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يكتب الكتاب الذي اراد ان ينص
فيه على خلافته فتركه وقال يابى الله والمؤمنون الا ابا بكر رضي الله عنه
وقول كفرة قوم نوح له ولمن آمن به وما نرى لكم علينا من فضل اي لم يظهر لكم امر بعد

اتباعكم بالايمان ولا مزية علينا بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ۝ وهذا
تلطف في الخطاب معهم وترفق بهم في الدعوة الى الحق كما قال تعالى فقولا له قولا لينا
لعله يتذكر او يخشى وقال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن ۝ وهذا منه يقول لهم ارايتم ان كنت على الحق واتاني رحمة
من عنده اي النبوة والرسالة فعميت عليكم اي فلم تفهموها ولم تهتدوا اليها انلزمكموها
اي انغصبكم بها ونجبركم عليها وانتم لها كارهون اي ليس لي فيكم حيلة والحالة هذه
ويا قوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله اي لست اريد منكم اجرة على ابلاغي اياكم
ما ينفعكم في دنياكم واخراكم ان اطلب ذلك الا من الله الذي ثوابه خير لي وابقى
مما تعطوني انتم ۝ وقوله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اراكم
قوما تجهلون كانهم طلبوا منه ان يبعد هولاء عنه ووعدوه ان يجتمعوا به ان هو
فعل ذلك فابى عليهم ذلك وقال انهم ملاقوا ربهم اي فاخاف ان طردتهم ان يشكوني
الى الله عز وجل ولهذا قال ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم افلا تذكرون
ولهذا لما سال كفار قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطرد عنه ضعفا
المومنين كعمار وصهيب وبلال وخباب واشباههم نهاه الله عز وجل عن ذلك
كما بيناه في سورة الانعام والكهف وقد تطاول الزمان والمجادلة بينه
وبينهم كما قال تعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم ظالمون

اي ومع هذه المدة الطويلة ما امن به الا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصوا من
بعدهم بعدم الايمان به ومحاربته ومخالفته وكان الوالد اذا بلغ ولده وصاه فيما بينه
وبينه ان لا يومن بنوح ابدا ما عاش ودايما ما بقي وكانت سجاياهم تابى الايمان واتباع
الحق ولهذا قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا ۝ ولهذا قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله ان شا وما انتم
بمعجزين اي انما يقدر على ذلك الله عز وجل فانه الذي لا يعجزه شي ولا يكترثه امر بل
هو الذي يقول للشي كن فيكون ۝ ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان
كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون اي من يرد الله فتنته فلن يملك
احد هدايته هو الذي يهدي من يشا ويضل من يشا وهو الفعال لما يريد وهو الحكيم
العليم بمن يستحق الهداية ومن يستحق الغواية وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة
واوحي الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتيس بما كانوا يفعلون ۝ وهذه
تعزية لنوح عليه الصلاة والسلام في قومه انه لن يومن منهم الا من قد امن وتسلية
له عما كان منهم اليه فلا تبتيس بما كانوا يفعلون اي لا يسوك ما جرى فان النصر
قريب والنبا عجيب ۝ واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين
ظلموا انهم مغرقون وذلك ان نوحا عليه السلام لما ييس من صلاحهم وفلاحهم
وراى انهم لا خير فيهم وتوصلوا الى اذيته ومخالفته وتكذيبه بكل طريق من فعال
ومقال دعا عليهم دعوة غضب الله عليهم فلبى الله دعوته واجاب طلبته قال
تعالى

ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم. وقال تعالى
ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم وقال تعالى
مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لا
تذر على الأرض من الكافرين ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك الآية فاجتمع
عليهم خطاياهم من كفرهم وفجورهم ودعوة نبيهم عليهم فعند ذلك أمره الله تعالى
أن يصنع الفلك وهي السفينة العظيمة التي لم يكن لها نظير قبلها ولا يكون بعدها مثلها
وأرسل الله عز وجل إليه أنه إذا جاء أمره وحل بهم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين
أنه لا يعاوده فيهم ولا يراجعه فإنه لعله قد تدركه رقة على قومه عند معاينة العذاب
النازل بهم فإنه ليس الخبر كالمعاينة ولهذا قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون
ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه أي يستهزئون به استبعادا لوقوع
ما توعدهم به قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون أي نحن الذين نسخر بكم
ونتعجب منكم في استمراركم على كفركم وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله
عليكم فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم. وقد كانت
سجاياهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا وهكذا في الآخرة فإنهم يجحدون أيضا
أن يكون جاءهم من رسول كما قال البخاري ثنا موسى بن إسمعيل ثنا عبد الواحد
ابن زياد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجيء نوح وأمته فيقول الله عز وجل هل بلغت فيقول نعم أي رب فيقول لأمته هل

بلغكم فيقولون لا ما جاءنا من نبي فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وأمته فنشهد
أنه قد بلغ وهو قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا. والوسط العدل. وقد قال بعض السلف لما استجاب
الله له أمره أن يغرس شجرا ليعمل منه السفينة فغرسه وانتظره مائة سنة ثم نجره في
مائة أخرى وقيل في أربعين سنة فالله أعلم. قال محمد بن إسحق عن الثوري وكانت
من خشب الساج وقيل من الصنوبر وهو نص التوراة قال الثوري وأمره أن يجعل طولها
ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وأن يطلي ظاهرها وباطنها بالقار وأن يجعل لها جؤجؤا
أزور يشق الماء وهذا الذي في التوراة على ما رأيته. وقال الحسن البصري ستمائة في عرض
ثلاثمائة وعن ابن عباس ألف ومائتا ذراع في عرض ستمائة وقيل كان طولها ألفي ذراع وعرضها
مائة ذراع والصحيح أن طولها ألف ذراع وعرضها مثل نصف طولها قالوا وكان
ارتفاعها ثلاثين ذراعا وكانت ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب
والوحوش والوسطى للناس والعليا للطيور وكان بابها في عرضها ولها غطاء من فوقها
ينطبق عليها. قال الله تعالى رب انصرني بما كذبون فأوحينا إليه أن اصنع
الفلك بأعيننا ووحينا أي بأمرنا لك ومشاهدتنا لذلك لنرشدك إلى الصواب
في صنعتها فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا
من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني الآية فتقدم إليه بأمره العظيم العلي
أنه إذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل معه في هذه السفينة من كل زوجين اثنين

ن جؤجؤا

من الحيوانات وسائر ما فيه روح من المأكولات وغيرها لبقاء نسلها وان يحمل معه اهله
اي اهل بيته الا من سبق عليه القول منهم اي الا من كان كافرا فانه قد نفذت فيه
الدعوة التي لا ترد ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد وامر ان لا يراجعه فيهم
اذا حل بهم ما يعاينه من العذاب العظيم الذي حتمه عليهم الفعال لما يريد والمراد
بالتنور عند الجمهور وجه الارض اي نبعت الارض من سائر ارجائها وعن ابن عباس التنور
عين في الهند وقيل بالكوفة وقيل بالجزيرة وقال علي بن ابي طالب المراد بالتنور فلق الصبح
وتنوير الفجر اي باشراقه وضيائه اي عند ذلك فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وفي
التوراة انه امر ان يحمل من كل ما يؤكل سبعة ازواج ومما لا يؤكل زوج ذكر وانثى وهذا
مخالف لمفهوم قوله تعالى في كتاب الحق اثنين ان جعل ذلك مفعولا به واما ان جعلناه
توكيدا لزوجين والمفعول به محذوف فلا ينافي والله اعلم ويروى عن ابن عباس ان
اول ما دخل من الطيور الدرة واخر من دخل من الحيوانات الحمار ودخل ابليس متعلقا
بذنب الحمار وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني هشام
ابن سعد عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما حمل نوح في السفينة
من كل زوجين اثنين قال اصحابه وكيف نطمئن او تطمئن المواشي ومعنا الاسد فسلط
الله عليه الحمى فكانت اول حمى نزلت الارض ثم شكوا الفارة فقالوا الفويسقة تفسد
علينا طعامنا ومتاعنا فاوحى الله عز وجل الى الاسد فعطس فخرجت الهرة منه فتخبات الفارة
منها هذا مرسل وقوله واهلك الا من سبق عليه القول اي من استجيبت فيه

الدعوة

الدعوة النافذة ممن كفر فكان منهم ابنه يام الذي غرق كما سياتي بيانه ومن آمن
اي واحمل فيها من آمن بك من امتك قال الله تعالى وما آمن معه الا قليل هذا
مع طول المدة والمقام بين اظهرهم ودعوته اياهم ليلا ونهارا بضروب المقال
وفنون التلطفات والتهديد والوعيد تارة والترغيب والوعد اخرى وقد اختلف
في عدة من كان معه في السفينة فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفسا معهم نساؤهم
وعن كعب الاحبار كانوا اثنين وسبعين نفسا وقيل كانوا عشرة وقيل انما كانوا بنيه
الثلاثة وكنائنه الاربع بامراة يام الذي انخزل وسلك غير طريق النجاة وهذا
القول فيه مخالفة لظاهر الاية بل هي نص في انه قد ركب معه غير اهله طائفة
ممن آمن به كما قال ونجني ومن معي من المؤمنين وقيل كانوا تسعة واما امراة نوح
وهي ام اولاده كلهم وهم حام وسام ويافث ويام وتسميه اهل الكتاب كنعان
وهو الذي غرق وعابر وقد ماتت قبل الطوفان فقيل انها غرقت مع من غرق
وكانت ممن سبق عليه القول لكفرها ۞ وعند اهل الكتاب انها كانت في السفينة
فيحتمل انها كفرت بعد ذلك او انها انظرت الى يوم القيمة والظاهر الاول لقوله
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد ذكر ابن جرير وغيره ان الطوفان
كان في ثالث عشر آب في حارة القيظ وقال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم
في الجارية اي السفينة لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية قال جماعة
من المفسرين ارتفع الماء على اعلى جبل بالارض خمسة عشر ذراعا وهو الذي عند اهل الكتاب

وقيل ثمانين ذراعًا وعم جميع الارض طولها والعرض سهلها وحزنها وجبالها وقفارها
ورمالها ولم يبق على وجه الارض من كان بها من الاحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير
قال الامام مالك عن زيد بن اسلم كان اهل ذلك الزمان قد ملأوا السهل
والجبل ولم يكن بقعة من الارض الا ولها مالك وحائز • ونادى نوح ابنه وكان في معزل
يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم
اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وهذا الابن
هو يام اخو سام وحام ويافث وقيل اسمه كنعان وكان كافرًا عمل عملًا غير صالح فخالف
اباه • في دينه ومذهبه فهلك مع من هلك هذا وقد نجا مع ابيه الاجانب في النسب
لما وافقوا في الدين والمذهب ◦ وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء
وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدًا للقوم الظالمين اي لما فرغ من اهل الارض
ولم يبق بها احد ممن عبد غير الله امر الله الارض ان تبلع ماءها وامر السماء ان تقلع اي
تمسك عن المطر وغيض الماء اي نقص عما كان وقضي الامر اي وقع بهم الذي كان
سبق في علمه وقدره من احلاله بهم ما حل بهم وقيل بعدًا للقوم الظالمين اي نودي
عليهم بلسان القدرة بعدًا لهم من الرحمة والمغفرة وقال تعالى فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عامًا فاخذهم الطوفان وهم ظالمون وقال نوح رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارًا وقد استجاب الله تعالى دعاه • ولله الحمد والمنة فلم يبق منهم عين تطرف
وقد روى الامامان ابو جعفر بن جرير وابو محمد بن ابي حاتم في تفسيريهما من طريق يعقوب

ابن محمد الزهري عن فائد مولى عبيد الله بن ابي رافع ان ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي ربيعة
اخبره ان عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فلو رحم الله من قوم نوح احدًا لرحم ام الصبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث
نوح عليه السلام في قومه الف سنة الا خمسين عامًا وغرس مائة سنة الشجر فعظمت وذهبت كل مذهب
ثم قطعها ثم جعلها سفينة ويمرون عليه ويسخرون منه ويقولون تعمل سفينة في البر كيف
تجري قال سوف تعلمون فلما فرغ ونبع الماء وصار في السكك خشيت ام الصبي عليه وكانت
تحبه حبًا شديدًا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت
على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها فغرقا فلو رحم الله منهم احدًا لرحم ام الصبي ◦ وهذا
حديث غريب وقد روي عن كعب الاحبار ومجاهد وغير واحد شبيه بهذه القصة واحرى
بهذا الحديث ان يكون موقوفًا متلقى عن كعب الاحبار والله اعلم والمقصود ان الله لم يبق
من الكافرين ديارًا فكيف يزعم بعض المفسرين ان عوج بن عنق ويقال عناق كان موجودًا
من قبل نوح الى زمن موسى ويقولون كان كافرًا متمردًا جبارًا عنيدًا وان امه عنق بنت آدم
ولدته من زنا وانه كان يأخذ من طوله السمك من قرار البحار ويشويه في عين الشمس وانه كان
يقول لنوح وهو في السفينة ما هذه القصيعة التي لك ويستهزئ به ويذكرون انه كان طوله
ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلث ذراع الى غير ذلك من الهذيانات التي لولا انها
مسطرة في كثير من كتب التفاسير وغيرها من التواريخ وايام الناس لما تعرضنا لحكايتها لسقاطتها
وركاكتها وهذا الطول الذي ذكروه يخالف ما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله

يهبه

انه قال ان الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن فهذا نص الصادق
المصدوق المعصوم انه لم يزل الخلق ينقص حتى الآن اي لم يزل الناس في نقصان في طولهم من آدم
والى يوم اخباره بذلك وهلم جرا الى يوم القيمة وهذا يقتضي انه لم يوجد من ذرية آدم من كان
اطول منه فكيف يترك هذا ويذهل عنه والظاهر ان هذا من اقوال الكذبة الكفرة من اهل
الكتاب الذين بدلوا كتب الله المنزلة وحرفوها واولوها ووضعوها على غير مواضعها فما ظنك
بما يستقلون هم بنقله او يؤتمنون عليه وهم الخونة الكذبة عليهم لعاين الله التابعة الى يوم
القيمة وما اظن هذا الخبر عن عوج بن عناق الا اختلاقا من بعض زنادقتهم وفجارهم الذين
كانوا اعدا الانبيا والله اعلم قال الله تعالى قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات
عليك وعلى امم ممن معك الاية هذا امر لنوح عليه السلام لما انضب الما عن وجه الارض وامكن
السعي فيها والاستقرار عليها ان يهبط من السفينة التي كانت قد استقرت بعد سيرها العظيم
على الجودي وهو جبل بارض جزيرة ابن عمر مشهور وقد قدمنا عند خلق الجبال ذكره ومعنى
بسلام منا وبركات عليك اي اهبط سالما مباركا عليك وعلى امم ممن سيولد بعد اي من اولادك
فان الله عز وجل لم يجعل لاحد ممن كان معه من المومنين نسلا ولا عقبا سوى نوح عليه
السلام قال تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فكل من على وجه الارض اليوم من سائر اجناس
بني آدم ينتسبون الى اولاد نوح الثلاثة وهم سام وحام ويافث فسام ابو العرب والانبيا كلهم
من نسله وحام ابو الحبش والزنج والسودان ويافث ابو الروم والمراد بالروم هنا الاول
وهم اليونان المنتسبون الى رومي بن لبطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وروي من حديث

اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال ولد نوح
ثلثة سام ويافث وحام وولد كل واحد من هولا الثلثة ثلثة فولد سام
العرب وفارس والروم وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج
وولد حام القبط والسودان والبربر وقد قيل ان نوحا عليه السلام لم يولد له هولاء
الثلثة الاولاد الا بعد الطوفان وانما ولد له قبل السفينة كنعان الذي غرق
وعابر مات قبل الطوفان والصحيح ان اولاده الثلاثة كانوا معه في السفينة
هم ونساوهم وامهم وهو نص التورية وقد ذكر ان حاما واقع امراته في السفينة
فدعا عليه نوح ان يشوه خلقة نطفته فولد له ولد اسود وهو كنعان بن حام جد السودان
وقيل بل راى اباه نائما وقد بدت عورته فلم يسترها وسترها اخواه فلهذا دعا
عليه ان يغير نطفته وان يكون اولاده عبيدا لاخوته وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا معهم اهلوهم وانهم مكثوا في السفينة مائة وخمسين
يوما وان الله وجه السفينة الى مكة فدارت بالبيت اربعين يوما ثم وجهها الى الجودي فاستقرت
عليه فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الارض فذهب فوقع على الجيف فابطا
عليه فبعث الحمامة فاتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين فعرف نوح ان الما قد
انضب فهبط الى اسفل الجودي فابتنى قرية وسماها ثمانين فاصبحوا ذات يوم وقد تبلبلت
السنتهم على ثمانين لغة احداها لغة العربية فكان بعضهم لا يفقه كلام بعض فكان نوح
عليه السلام يعبر عنهم وقال قتادة وغيره ركبوا في السفينة في اليوم العاشر

شهر رجب فسار بهم مائة وخمسين يوماً واستقرت بهم على الجودي شهراً وكان خروجهم من
السفينة في يوم عاشوراء من المحرم ٥ وقد ورد نحو هذا من حديث ابن جرير مرفوعاً وانهم صاموا
يومهم ذلك **وقال** الامام احمد ثنا ابو جعفر ثنا عبد الصمد بن حبيب الازدي عن ابيه حبيب
ابن عبد الله عن شبيل عن ابي هريرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم باناس من اليهود وقد صاموا يوم
عاشوراء فقال ما هذا من الصوم فقالوا هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من الغرق
وهذا اليوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا احق بموسى واحق بصوم هذا اليوم وقال لاصحابه من كان منكم اصبح
صائماً فليتم صومه ومن كان اصاب من غذاء اهله فليتم بقية يومه **وهذا الحديث** له شاهد
في الصحيح من وجه آخر والمستغرب ذكر نوح ايضاً والله اعلم **واما ما يذكره** كثير
من الجهلة انهم اكلوا من فضول ازوادهم ومن حبوب كانت معهم قد استصحبوها وطحنوا
الحبوب يومئذ واكتحلوا بالاثمد لتقوية ابصارهم لما انبهرت من الضياء بعد ما كانوا في
ظلمة السفينة فكل هذا لا يصح منه شيء وانما يذكر فيه آثار منقطعة عن بني اسرائيل
لا يعتمد عليها ولا يقتدى بها والله اعلم **وفيما ذكره** اهل الكتاب ان الله تعالى كلم
نوحاً قائلاً له اخرج من الفلك انت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك وجميع الدواب
التي معك ولينموا وليكثروا في الارض فخرجوا وابتنى نوح مذبحاً لله عز وجل واخذ من جميع
الدواب الحلال والطير الحلال فذبحها قرباناً الى الله عز وجل وعهد الله اليه انه لا يعيد الطوفان
على الارض وجعل تذكاراً لميثاقه اليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي روي

عن

عن ابن عباس انه امان من الغرق قال بعضهم فيه اشارة الى انه قوس بلا وتر اي ان
هذا الغمام لا يوجد منه طوفان كاول مرة **وقد انكرت** طائفة من جهلة الفرس
واهل الهند وقوع الطوفان واعترف به آخرون منهم وقالوا انما كان بارض بابل ولم
يصل الينا وهذا قاله من قاله من زنادقة المجوس عباد النيران واتباع الشيطان وهذا
كفر فظيع وجهل بليغ ومكابرة للمحسوسات وتكذيب لرب الارض والسموات **وقد اجمع**
اهل الاديان الناقلون عن رسل الرحمن مع ما تواتر عند الناس في سائر الازمان على
وقوع الطوفان وانه عم جميع البلاد ولم يبق الله احداً من كفرة العباد استجابة لدعوة
نبيه المؤيد المعصوم وتنفيذاً لما سبق في القدر المحتوم **ذكر شيء من اخبار نوح عليه السلام**
قال الله تعالى انه كان عبداً شكوراً قيل انه كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه
وشأنه **وقد قال** الطبراني ثنا ابو الزنباع روح بن الفرج ثنا عمرو بن خالد الحراني ثنا ابن لهيعة
عن ابي قنان عن يزيد بن رباح عن ابي فراس انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول صام نوح الدهر الا يوم الفطر ويوم الاضحى وصام داود نصف الدهر
وصام ابرهيم ثلاثة ايام من كل شهر صام الدهر وافطر الدهر **وقال** الحافظ ابو يعلى
ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابي عن زمعة هو ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس
قال حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتى وادي عسفان قال يا ابا بكر اي واد هذا
قال هذا وادي عسفان قال لقد مر بهذا الوادي نوح وهود وابرهيم على بكرات حمر
خطمهم الليف ازرهم العباء وارديتهم النمار يحجون البيت العتيق ٥ فيه غرابة

ذكر وصيته لولده عليه السلام قيل ان نوحا لما حضرته الوفاة قال لابنه اني قاص
عليك الوصية آمرك باثنتين وانهاك عن اثنتين آمرك بلا اله الا الله فان السموات السبع
والارضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا اله الا الله في كفة رجحت بهن
لا اله الا الله ولو ان السموات السبع والارضين السبع لو كن حلقة مبهمة قصمتهن لا اله الا
الله وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شي وبها يرزق الخلق وانهاك عن الشرك والكبر
ويزعم اهل الكتاب ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة كان عمره ستمايه سنة
وتقدم عن ابن عباس مثله وزاد وعاش بعد ذلك ثلثمايه وخمسين سنة وفي هذا القول
نظر ثم انه لم يمكن الجمع بينه وبين دلالة القران فهو خطأ محض فان القران العزيز يقتضي
ان نوحا مكث في قومه بعد البعثة وقبل الطوفان الف سنة الا خمسين عاما كما قال تعالى
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فاخذهم الطوفان وهم
ظالمون ثم الله اعلم كم عاش بعد ذلك فان كان ما ذكر عن ابن عباس محفوظا
من انه بعث وله اربعمايه سنة وثمانون سنه وانه عاش بعد الطوفان ثلثمايه وخمسين
سنة فيكون قد عاش على هذا التقدير الف سنة وسبعمايه وثمانين سنه واما قبره عليه
السلام فروى ابن جرير والازرقي عن عبد الرحمن بن سابط او غيره من التابعين مرسلا
ان قبر نوح بالمسجد الحرام وهذا اقوى واثبت من الذي يذكره كثير من المتاخرين
من انه ببلدة بالبقاع تعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد بني بسبب ذلك فيما ذكر
والله اعلم ٥ فصل ان قال قايل هل ورد في تعيين قبر نوح عليه السلام شي من الاثار

فالجواب

فالجواب نعم ورد في ذلك حديث مرسل اورده الامام محمد بن جرير الطبري في تفسيره عند
قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقيل ان الارض التي ذكرها الله تعالى في
هذه الاية هي مكة ثنا ابن حميد ثنا جرير عن عطاء عن ابن سابط واسمه عبد الرحمن
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دحيت الارض من مكة وكانت الملائكة تطوف بالبيت
وهي اول من طاف به وهي الارض التي قال الله اني جاعل في الارض خليفة وكان النبي اذا هلك
قومه ونجا هو والصالحون اتاها هو ومن معه يعبدون الله بها حتى يموتوا فان قبر نوح
وهود وصالح وشعيب بين زمزم والركن والمقام ٥ ومن زعم ان هودا عليه السلام
مقبور في الحائط القبلي من جامع دمشق قريبا من المادنة الشرقية فليس بصحيح وقيل ان
قبره بحضرموت ثم رواه البخاري في تاريخه الكبير من حديث ابن اسحق حدثني محمد بن عبد الله
ابن ابي سعيد الخزاعي عن ابي الطفيل سمعت عليا يقول في كلام طويل ذكره
في ترجمة محمد هذا واما نوح فليس بكرك نوح من قرى البقاع مدفون والله اعلم وقد
قيل ان ابرهيم هو اول من بنى المسجد الحرام وفي الصحيح عن ابي ذر رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قال مسجد بيت المقدس
قلت كم بينهما قال اربعون سنة وفي سنن النسائي ان سليمان بن داود بنى مسجد بيت المقدس
وفي حديث ابي ذر ان بينهما اربعين سنة وقد علم كل احد ان بين سليمان وابرهيم اكثر
من ذلك باكثر من الف سنة فشرع ابو حاتم محمد بن حبان البستي يوهن حديث ابي ذر المذكور
فاخذه في تضعيفه فلكن لانه مخرج في الصحيحين باسناد لا شك في صحته والاشكال

قلت ثم اي

الذي ثبت عليه ما سأذكره جملة إن شاء الله تعالى من حديث أبي ذر هذا ما ذكرته لك
وقد أخرج في صحيحه حديثه المطول الذي تفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني الدمشقي
وتكلم فيه الأئمة وكذبه أبو زرعة الرازي وغيره رحمهم الله وفيه ما في الأول وزيادة
فهذا إنما قص والإشكال ليس بالجزم قطعي فإنه ليس في الحديث أن سليمان عليه السلام
هو ابتدأ بناء بيت المقدس بل إنه بناه وقد كان بيت المقدس قبل ذلك كهفاً ومصلى
لبني إسرائيل قبله وقد كانوا بعد خروجهم من التيه وموت هارون ثم موسى عليهما السلام
أووا إلى بيت المقدس ونصبوا على الصخرة قبة العهد التي كان الله أمر موسى عليه السلام
بصنعها فكانوا يصلون إليها في التيه ثم لما نصبت على الصخرة استمروا يصلون إليها
فلما ذهبت استمروا يصلون إلى الصخرة وهذا مضمون ما ذكره غير واحد من أئمة
العلماء وقد رواه أبو داود في كتاب الناسخ والمنسوخ وخروجهم من التيه كان مع يوشع
ابن نون خليفة موسى عليه السلام في النبوة من قبل فهذا دليل على أن البيت المقدس
كان موجوداً قبل نبي الله سليمان عليه السلام والحديث ليس يدل على أنه ابتدأ بناه
قطعاً فهو محمول على أنه جدد معالمه أو بناه بناءً ثانياً على هيئة لم تكن فإن قيل
فمن أول من وضعه فالجواب قد ذكر غير واحد من الأئمة من علماء هذه الأمة أن يعقوب
صلوات الله وسلامه عليه هو الذي بناه أولاً وهذا هو الذي ترجمه أهل الكتاب
وهو الصحيح وقد دل عليه تاريخ الحديث المذكور عن أبي ذر في الصحيحين والخبر
الكتابي إذا اشتهر عن الرسول صحته قبل فإن قيل حديث أبي ذر دل على

أن المسجد الحرام قبل بيت المقدس بأربعين سنة فمن أن إبراهيم هو الذي وضع البيت
الحرام لما تقدم فلم قلت إن يعقوب هو الذي وضع البيت المقدس ألا يجوز أن يكون وضعه
غيره بعد بناء إبراهيم المسجد بأربعين سنة فالجواب دلت قرائن على صدق ذلك وذلك
أن يعقوب عليه السلام ولد في حياة إبراهيم كما قال تعالى فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق
يعقوب وقال تعالى ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة ويعقوب كان مقيماً بأرض
بيت المقدس بعد موت إبراهيم وما كان أحد في ذلك الحين يضع مسجداً لله غيره
وغير أبيه إسحاق لأن الأنبياء لم يكن في ذلك الحين غيرهما ولا يليق أحد على الأنبياء في
استباق الخيرات بل هم أسبق البشر في ذلك ولم ينقل أحد أن الذي وضعه إسحاق
فلزم أن يعقوب عليه السلام وأيضاً فإن هذه المساجد الثلاثة وهي المسجد الحرام والمسجد
الأقصى ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إنما شرفت على سائر مساجد
الأرض لأن كل واحد منها بناه نبي ولهذا لا تشد الرحال بالسفر الطويل إلا إلى مسجد
معين من الأرض يراد التقرب بإعمال المطي إليه إلا إلى هذه المساجد الثلاثة كما ثبت
في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام ومسجد بيت المقدس
ولهذا جاءت في تضعيف ثواب الصلاة في هذه المساجد الثلاثة على غيرها من المساجد
أحاديث في الصحاح وغيرها ولها أحكام تميزت بها عن غيرها من المساجد لو ذكرتها
لطال الفصل والله أعلم

قصة هود عليه السلام

وهو هود بن شالخ

الحرام

أي

ابن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ويقال ان هودا هو عابر بن شالخ بن ارفخشد بن نوح
ويقال هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ذكره ابن جرير
وكان من قبله يقال لهم عاد بن عوص بن سام بن نوح وكانوا عربا يسكنون الاحقاف
وهي جبال الرمل وكانت باليمن من عمان وحضرموت بارض مطلة على البحر يقال لها الشحر
واسم واديهم مغيث وكانوا يسكنون الخيام ذوات الاعمدة كما قال تعالى الم تر كيف فعل
ربك بعاد ارم اي عاد ارم وهم عاد الاولى **واما عاد الثانية** فمتاخرة كما سياتي
بيان ذلك في موضعه واما الاولى فهم عاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في
البلاد اي مثل القبيلة ومن زعم ان ارم مدينة تدور في الارض فتارة في الشام وتارة في
اليمن وتارة في الحجاز وتارة في غيرها فقد ابعد النجعة وقال ما لا دليل عليه ولا برهان يعول
عليه ولا مستند يركن اليه **وفي صحيح** ابن حبان عن ابي ذر في حديثه الطويل في ذكر
كذا ذكر ابن كثير في تاريخه
الانبياء والمرسلين قال فيه منهم اربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا ابا ذر
ويقال ان هودا عليه السلام اول من تكلم بالعربية وزعم وهب بن منبه ان اباه اول
من تكلم بها وقال غيره اول من تكلم بها نوح وقيل آدم وهو الاشبه وقيل غير ذلك والله اعلم
ويقال للعرب الذين كانوا قبل اسمعيل عليه السلام العرب العاربة وهم قبائل
كثيرة منهم عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس واميم ومدين وعملاق وعبيل وجاسم
وقحطان وبنو يقطن وغيرهم واما العرب المستعربة فهم من ولد اسمعيل
ابن ابراهيم الخليل وكان اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اول من تكلم بالعربية الفصيحة

البليغة وكان قد اخذ كلام العرب من جرهم الذين نزلوا عند امه هاجر بالحرم
كما سياتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى ولكن انطقه الله بها في غاية الفصاحة
والبيان وكذلك كان يتلفظ بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم **والمقصود** ان
عادا وهم عاد الاولى كانوا اول من عبد الاصنام بعد الطوفان وكان اصنامهم ثلثة
صدا وصمودا وهرا فبعث الله فيهم اخاهم هودا عليه السلام فدعاهم الى الله تعالى
والى عبادته وتوحيده كما نطق به القرآن الشريف في غير موضع منه فلما عتوا وتجبروا
ولم يمتثلوا ما امروا به اهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ○
قد قدمنا انهم اول الامم عبد الاصنام بعد الطوفان وذلك بين في قوله لهم واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة اي جعلهم اشد اهل زمانهم
في الخلقة والشدة والبطش وقال ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين وهم قوم هود
على الصحيح وزعم آخرون انهم ثمود لقوله فاخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء قالوا
وقوم صالح هم الذين اهلكوا بالصيحة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية وهذا الذي
قالوه لا يمنع من اجتماع الصيحة والريح العاتية كما سياتي في قصة اهل مدين اصحاب الايكة
فانه اجتمع عليهم انواع من العقوبات ثم لا خلاف ان عادا قبل ثمود **والمقصود** ان
عادا كانوا عربا جفاة كافرين عتاة متمردين في عبادة الاصنام فارسل الله فيهم
رجلا منهم يدعوهم الى الله تعالى والى افراده بالعبادة والاخلاص له فكذبوه وخالفوه

وتنقص ما عندهم الله اضعف عوضا متعدد فلما امرهم بعبادة الله ورغبهم في طاعته
واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والاخرة وتوعدهم على مخالفتهم عقوبة الدنيا
والاخرة ○ قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة اي هذا الامر
الذي تدعونا اليه سفه بالنسبة الى ما نحن عليه من عبادة هذه الاصنام التي يرتجى منها النصر
والرزق ومع هذا نظن انك تكذب في دعواك ان الله ارسلك قال يا قوم ليس بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين اي ليس الامر كما تظنون ولا كما تعتقدون ابلغكم رسالات ربي
وانا لكم ناصح امين والبلاغ يستلزم عدم الكذب وعدم الزيادة فيه والنقص منه واداء الرسالة
بعبارة فصيحة وجيزة جامعة مانعة لا لبس فيها ولا اختلاف ولا اضطراب وهو مع هذا
البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقومه والشفقة عليهم والحرص على هدايتهم لا يبتغي
منهم اجرا ولا يطلب منهم جعلا بل هو مخلص لله عز وجل في الدعوة اليه والنصح لخلقه لا يطلب
اجره الا من الذي ارسله فان خير الدنيا والاخرة كله في يديه وامره اليه ولهذا قال يا قوم لا
اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون اي اما لكم عقل تميزون به اني
ادعوكم الى الحق المبين دين الحق الذي بعث الله عز وجل به نوحا واهلك من خالفه من الخلق
وها انا ذا ادعوكم اليه ولا اسالكم عليه اجرا بل ابتغي ذلك عند الله عز وجل وقال
قوم هود له فيما قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك
بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ونحن ما نترك عبادة اصنامنا عن مجرد
قولك بلا دليل اقمته ولا برهان نصبته وما نظن الا انك مجنون فيما تزعمه وعندنا انه

اصابك هذا ان بعض الهتنا غضب عليك فاصابك في عقلك فاعتراك جنون بسبب
ذلك وهو قولهم ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني
بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون وهذا تحد منه لهم وتبري
من الهتهم وتنقص منه لها وبيان انها ما تنفع شيئا ولا تضر وانها جماد حكمها حكمه وفعلها
فعله فان كانت كما تزعمون من انها تنفع وتضر فها انا ذا بريء منها لاعن لها فكيدوني
انتم وهي جميعا بجميع ما يمكنكم ان تصلوا اليه وتقدروا عليه ولا تؤخروني ساعة واحدة
فاني لا ابالي بكم ولا افكر فيكم ولا انظر اليكم اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا
هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم اي انا متوكل على الله واثق بجنابه الذي
لا يضيع من لاذ به فلست ابالي مخلوقا سواه ولست اتوكل الا عليه ولا اعبد الا اياه وهذا
برهان قاطع على ان هودا عبد الله ورسوله وانهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله
لانهم لم يصلوا اليه بسوء ولا نالوا منه مكروها فدل على صدقه فيما جاءهم به وبطلان
ما هم عليه وفساد ما ذهبوا اليه وكان قوم هود استبعدوا ان يبعث الله رسولا
بشرا وهذه الشبهة اولى بها كثير من جهلة الكفرة قديما وحديثا كما قال تعالى
اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وقال تعالى وما منع
الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا ولهذا
قال هود عليه السلام اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم اي ليس هذا
بعجيب فان الله اعلم حيث يجعل رسالاته ○ وقولهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا

وعظاما انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا
وما نحن بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين استبعدوا اللقاء
وانكروا ايام الاحياء بعد ان تصير ترابا وعظاما وقالوا هيهات هيهات اي بعيد بعيد
هذا الوعد ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين اي يموت قوم ويحيى اخرون
وهذا هو اعتقاد الدهرية كما يقول بعض الجهلة من الزنادقة ارحام تدفع وارض
تبلع واما الدورية فهم الذين يعتقدون انهم يعودون الى هذه الدار بعد كل ستة وثلاثين
الف سنة وهذا كله كذب وكفر وجهل وضلال واقوال باطلة وخيال فاسد بلا برهان
ولا دليل يستميل عقل الجهلة الكفرة من بني آدم الذين لا يعقلون ولا يهتدون كما
قال تعالى ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
وقال لهم هود وعظهم به اتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون
يقول لهم اتبنون بكل مكان مرتفع بناء عظيما هائلا كالقصور ونحوها تعبثون ببنائه
لانه لا حاجة لكم فيه وما ذاك الا لانهم كانوا يسكنون الخيام كما قال تعالى الم تر كيف
فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فعاد ارم هي عاد الاولى
الذين كانوا يسكنون الاعمدة التي تحمل الخيام ومن زعم ان ارم مدينة من ذهب وفضة وهي
تنتقل في البلاد فقد غلط واخطأ وقال ما لا دليل عليه ○ وقوله وتتخذون مصانع قيل هي
القصور وقيل بروج الحمام وقيل مآخذ للماء لعلكم تخلدون اي كيما ان تعمروا في هذه الدار
اعمارا طويلة واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون وقالوا له فيما قالوا اجئتنا

٨١

لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
اي جئتنا لنعبد الله وحده ونخالف آباءنا واسلافنا وما كانوا عليه فان كنت
صادقا فيما جئت به فأتنا بما تعدنا من العذاب والنكال فانا لن نؤمن بك ولا نتبعك
ولا نصدقك كما قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الاولين
قال الامام محمد بن اسحق بن يسار فلما ابوا الا الكفر بالله تعالى امسك
عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس اذا جهدهم امر في ذلك
الزمان فطلبوا الفرج منه انما يطلبونه بحرم مكة بيت الله الحرام وكان معروفا عند
اهل ذلك الزمان وبه العماليق مقيمون وهم من سلالة عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وكان سيدهم اذ ذاك رجل يقال له معاوية بن بكر فبعثت عاد وفدا قريبا من
سبعين رجلا ليستسقوا لهم عند الحرم فمروا بمعاوية بن بكر بظاهر مكة فنزلوا عليه
واقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر
وكانوا قد وصلوا اليه في شهر فلما طال مقامهم عنده اخذته الشفقة على قومه فعمل
شعرا يعرض لهم فيه بذكر الاستسقاء وامر القينتين ان تغنيا لهم بذلك فلما سمعوا
الشعر تنبهوا ونهضوا الى الحرم ودعوا لقومهم وكان الداعي لقوم عاد قيل
ابن عنز فانشأ الله عز وجل ثلاث سحابات بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد
من السماء اختر لنفسك ولقومك من هذه السحاب فقال اخترت السحابة السوداء فانها اكثر
ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من عاد احدا لا والدا تترك ولا
ولدا

الا جعلته هذا الاتي اللاذيه المهرا قالوا هم بطن من عاد كانوا مقيمين بمكة
فلم يصبهم ما اصاب قومهم قال واعقاب هذا البطن الذين لهم عاد الاخرة
قال ويا ان الله عز وجل بعث السحابة التي اختارها قيل بن عنز بما فيها من
النقمة والعذاب الى عاد فخرجت عليهم من واد لهم فلما راوها استبشروا وقالوا هذا عارض
ممطرنا وكان اول من راى ما فيها وعرف انها ريح امراة من عاد يقال لها مهدد
فلما تبين لها ما فيها صاحت ثم صعقت فلما افاقت قالوا ما رايت يا مهدد قالت ريحا
فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد احدا الا هلك
قال واعتزل هود عليه السلام بمن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبهم
الا ما تلين عليهم الجلود وتلذ الانفس وانها لتمر على عاد بالظعن وتدمغهم بالحجارة
وذلك تمام القصة وعاد الاولى انما اهلكوا بريح صرصر عاتية وقد قال ابن مسعود
وابن عباس وغير واحد قراءة الى يعني هي الباردة والعاتية الشديدة الهبوب سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي كوامل متتابعات قيل كان اولها الجمعة
وقيل الاربعاء فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية شبههم بالنخل التي لا
رؤس لها وذلك لان الريح كانت تجي الى احدهم فتحمله فترفعه في الهواء ثم تنكسه على ام
راسه فتشدخه فيبقى جثة بلا راس كما قال انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم
نحس مستمر اي في يوم نحس عليهم مستمر عذابه عليهم تنزع الناس كانهم اعجاز

نخل منقعر

ومن قال ان اليوم النحس المستمر هو يوم الاربعاء وتشاءم به لهذا الفهم فقد اخطا
وخالف القران فانه قال في الاية الاخرى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات
ومعلوم انها ثمانية ايام متتابعات فلو كانت نحسات في انفسها لكانت جميع الايام السبعة
المندرجة في الثمانية مشؤومة وهذا لا يقوله احد وانما المراد في ايام نحسات اي عليهم وقال
تعالى وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي لا تنتج خيرا فان الريح المفردة
لا تثير سحابا ولا تلقح شجرا بل هي عقيم لا نتيجة خير لها ولهذا قال ما تذر من شي
الا جعلته كالرميم اي كالشي البالي الذي لا ينتفع به بالكلية وقد ثبت في الصحيحين
من حديث شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه بالاحقاف فالظاهر ان عادا هذه هي عاد الاولى فان سياقها شبيه بسياق قوم
هود الاولى ويحتمل ان يكون المذكورون في هذه القصة هم عاد الثانية ويدل عليه
ما ذكرناه وما سياتي من الحديث عن عايشة رضي الله عنها واما قوله فلما راوه عارضا
مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا فان عادا لما راوا هذا العارض وهو الناشي
في الجو كالسحاب ظنوه سحاب مطر فاذا هو سحاب عذاب اعتقدوه رحمة فاذا
هو نقمة رجوا فيه الخير فنالهم منه غاية الشر قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم
به ريح فيها عذاب اليم يحتمل ان يكون العذاب هو ما اصابهم من الريح الصرصر العاتية
الباردة الشديدة الهبوب التي استمرت عليهم سبع ليال بايامها الثمانية فلم تبق منهم احدا

بل تتبعتهم حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم
البيوت المحكمة والقصور المشيدة فكما تكبروا بشدتهم وقوتهم وقالوا من أشد منا قوة سلط
الله عز وجل الذي هو أشد منهم قوة عليهم ما هو أشد منهم وهو الريح العقيم ويحتمل
أن هذه الريح أثارت في آخر الأمر سحابة ظن من بقي منهم أنها سحابة فيها رحمة بهم
وغياث لمن بقي منهم فأرسلها الله عليهم شررا ونارا كما ذكره غير واحد ويكون هذا
كما أصاب أصحاب الظلة من أهل مدين وجمع لهم من الريح الباردة وعذاب النار وهو
أشد ما يكون من العذاب بالأشياء المختلفة المتضادة مع الصيحة التي ذكرها في سورة قد
أفلح المؤمنون والله أعلم وقد قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا يحيى بن الضريس
ثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح الله
على عاد من الريح التي أهلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء
والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل
البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة قال ثم عتت على خزانها حتى خرجت من خلال الأبواب
قال ابن كثير وغيره خرجت بغير حساب وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها
قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير
ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وقد قدمنا حج
هود عليه السلام مع ذكر حج نوح وأما قبره فقيل إنه باليمن وقيل إنه بجامع دمشق في الحائط القبلي
شرقي المقصورة كما يزعم بعض الناس أنه قبر هود والله أعلم قصة

صالح نبي ثمود عليه السلام

وهم

وهم قبيلة مشهورة يقال لها ثمود باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عابر بن إرم
ابن سام بن نوح وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك وقد مر
به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين وكانوا بعد قوم عاد
وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك فبعث الله فيهم رجلا منهم وهو عبد الله ورسوله
صالح بن عبيد بن ماسخ بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام
فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأن يخلعوا الأصنام والأنداد ولا يشركوا
به أحدا فآمنت به طائفة منهم وكفر جمهورهم ونالوا منه بالمقال والفعال وهموا
بقتله وقتلوا الناقة التي جعلها الله عز وجل له حجة عليهم فأخذهم الله أخذ عزيز
مقتدر كما قال تعالى في سورة الأعراف وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل
في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد
عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء
الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين
استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا
صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين والآيات

في تلك كتب وكثيرًا ما يقرن الله عز وجل في كتابه بين خبر عاد وثمود كما في سورة
ابرهيم والفرقان وسورة ص وسورة ق والنجم والفجر وقال ان هاتين الامتين لا يعرف خبرهم
اهل الكتاب وليس لهم ذكر في كتابهم التورية ولكن في القران ما يدل على ان موسى عليه
السلام اخبرهم عنهما كما قال تعالى في سورة ابرهيم وقال موسى ان تكفروا انتم ومن
في الارض جميعا فان الله غني حميد الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الاية والظاهر ان هذا من تمام كلام موسى
مع قومه ولكن لما كانت هاتان الامتان من العرب لم يضبطوا خبرهما جيدا ولا اعتنوا
بحفظه وان كان خبرهم كان مشهورا في زمن موسى عليه السلام ○ والمقصود الان
ذكر قصتهم وما كان من امرهم وكيف نجا الله نبيه صالحا عليه السلام ومن آمن به
وكيف قطع دابر القوم الظالمين بكفرهم وعتوهم ومخالفتهم رسوله عليه السلام وقد قدمت
انهم كانوا عربا وكانوا بعد عاد ولم يعتبروا بما كان من امرهم ولهذا قال لهم نبيهم عليه السلام اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في
ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد الاية
اي انما جعلكم خلفاء من بعدهم لتعتبروا بما كان من امرهم وتعملوا بخلاف عملهم واباح لكم هذه
الارض تبنون في سهولها القصور وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين اي حاذقين في صنعتها
واتقانها واحكامها فقابلوا نعمة الله بالشكر والعمل الصالح والعبادة له وحده لا شريك
له واياكم ومخالفته والعدول عن طاعته فان عاقبة ذلك وخيمة والله تعالى يستحق العبادة

وحده لا ما سواه فاستغفروه ثم توبوا اليه اي اقلعوا عما انتم فيه واقبلوا على عبادته
فانه يقبل منكم ويتجاوز عنكم ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل
هذا اي قد كنا نرجوا ان يكون عقلك كاملا قبل هذه المقالة وهي دعاؤك ايانا الى
افراد العبادة وترك ما كنا نعبده من الانداد والعدول عن دين الاباء والاجداد ولهذا
قالوا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم
ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني
غير تخسير ○ وهذا تلطف منه لهم في العبارة ولين الجانب لهم اي فما ظنكم ان كان
الامر كما اقول لكم وادعوكم اليه ماذا عذركم عند الله وماذا يخلصكم بين يديه وانتم
تطلبون مني ان اترك دعائكم الى طاعته وانا لا يمكنني هذا لانه واجب علي ولو تركته
لما قدر احد منكم ولا من غيركم ان يجيرني منه ولا ينصرني فانا لا ازال ادعوكم الى الله
وحده لا شريك له حتى يحكم الله بيني وبينكم وقد ذكر المفسرون ان ثمود اجتمعوا يوما
في ناديهم فجاءهم رسول الله صالح عليه السلام فدعاهم الى الله عز وجل وذكرهم وحذرهم
ووعظهم وامرهم فقالوا له ان انت اخرجت لنا من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة
هناك ناقة من صفتها كيت وكيت وذكروا اوصافا سموها ونعتوها وتعنتوا فيها وان
تكون عشراء طويلة من صفتها كذا وكذا فقال لهم النبي صالح عليه السلام ارايتم
ان اجبتكم الى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم اتؤمنون بما جئتكم به وتصدقوني فيما ارسلت
به قالوا نعم فاخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ثم قام الى مصلاه فصلى لله عز وجل ثم دعا

أن يجيبهم إلى ما طلبوا فأمر الله عز وجل تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة كوماء
عشراء على الوجه الذي طلبوا أو على الصفة التي نعتوا فلما عاينوها كذلك وأوا أمرا عظيما
ومنظرا هائلا وقدرة باهرة ودليلا قاطعا وبرهانا ساطعا فآمن كثير منهم واستمر أكثرهم
على كفرهم وضلالهم وعنادهم ولهذا قال فظلموا بها أي جحدوا بها ولم يتبعوا الحق بسببها
أي أكثرهم قال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة الله لكم آية أضافها إليه تعالى
إضافة تشريف وتعظيم كقوله بيت الله وعبد الله لكم آية أي دليلا على صدق ما جئتكم
به فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فاتفق الحال
على أن تبقى هذه الناقة بين أظهرهم ترعى حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوما بعد يوم وكانت
إذا وردت الماء تشرب ماء البئر يومها ذلك فكانوا يرفعون حاجتهم من الماء في يومهم لغدهم ويقال
إنهم كانوا يشربون من لبنها كفايتهم ولهذا قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم
أي أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فلما طال عليهم هذا الحال اجتمع ملأهم واتفق رأيهم
على أن يعقروا هذه الناقة ليستريحوا منها ويتوفر عليهم ماؤهم وزين لهم الشيطان
أعمالهم وسول لهم وأملى لهم قال الله تعالى فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وكان الذي تولى قتلها
منهم رئيسهم قدار بن سالف بن جندع وكان أحمر أزرق أصهب وكان يقال إنه ولد زنية
ولد على فراش سالف وهو من رجل يقال له صيبان وكان فعله ذلك باتفاق جميعهم فلهذا
نسب الفعل إليهم كلهم وانضم إليه رجل يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وانضم إليهما سبعة

آخرون

آخرون فصاروا تسعة وهم المذكورون في قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط
يفسدون في الأرض ولا يصلحون وسعوا في بقية القبيلة وحسنوا لهم عقرها فأجابوهم
إلى ذلك فانطلقوا يرصدون الناقة فلما صدرت من وردها كمن لها مصدع فرماها
بسهم فانتظم عضلة ساقها وجاءت النساء يحرضن الرجال في قتلها وحسرن عن وجوههن
ترغيبا لهم في ذلك فابتدرهم قدار بن سالف فشد عليها بالسيف فكشف عن عرقوبها فخرت
ساقطة إلى الأرض ورغت رغاة واحدة عظيمة تحذر ولدها ثم نحرها وانطلق فصيلها
فصعد جبلا منيعا ورغا ثلاثا وروى عبد الرزاق عن معمر عمن سمع الحسن أنه قال
يا رب أين أمي ثم دخل في صخرة فغاب فيها ويقال بل اتبعوه فعقروه قال الله تعالى
فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابي ونذر وقال تعالى إذ انبعث
أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها أي احذروها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم
ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير
حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز
منيع في رهطه مثل أبي زمعة عارم أي شهم عزيز أي رئيس منيع أي مطاع في
قومه وقال تعالى فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن
كنت من المرسلين وقال تعالى فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب
فلم يعبؤوا بذلك ثم هموا بقتل صالح وأرادوا أن يلحقوه بالناقة قالوا تقاسموا بالله

لنبيتنه واهله اي لنكبسنه في داره مع اهله فلنقتلنه ثم لنجحدن قتله ولننكرن
ذلك ان طالبنا اولياؤه بدمه ولهذا قالوا ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون
قال الله تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان
عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لاية لقوم
يعلمون وذلك ان الله تعالى ارسل على اولئك النفر الذين قصدوا قتل صالح نبي الله
حجارة رضختهم فاهلكهم سلفا وتعجيلا قبل قومهم واصبحت ثمود يوم الخميس وهو اليوم الاول
من ايام النظرة ووجوههم مصفرة كما انذرهم صالح عليه السلام فلما امسوا نادوا باجمعهم الا قد
مضى يوم من الاجل ثم اصبحوا في اليوم الثاني من ايام التاجيل وهو يوم الجمعة ووجوههم محمرة
فلما امسوا نادوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل ثم اصبحوا في اليوم الثالث وهو يوم السبت
ووجوههم مسودة فلما امسوا نادوا الا قد مضى الاجل فلما كان صبيحة يوم الاحد تحنطوا
وتاهبوا وقعدوا ينتظرون ماذا يحل بهم من العذاب والنكال والنقمة لا يدرون كيف يفعل
بهم ولا من اي جهة ياتيهم العذاب فلما اشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة
شديدة من اسفل منهم ففاضت الارواح وزهقت النفوس وسكنت الحركات وخشعت
الاصوات واصبحوا في ديارهم جاثمين جثثا لا ارواح فيها ولا حراك بها قالوا ولم يبق
منهم احد الا جارية كانت مقعدة واسمها كلبة ابنة السلق ويقال لها الذريعة وكانت شديدة
الكفر والعداوة لصالح عليه السلام فلما رات العذاب اطلقت رجلاها فقامت تسعى
كاسرع شيء فاتت حيا من العرب فاخبرتهم بما رات وما حل بقومها واستسقتهم ماء

فلما

٩٦

فلما هلكوا اشتغل صالح عليه السلام الى حرم الله فاقام به حتى مات قال الامام
احمد ثنا وكيع ثنا زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي عسفان حين حج قال يا ابا بكر اي واد
هذا قال وادي عسفان قال لقد مر به هود وصالح عليهما السلام على بكرات خطمهن
الليف ازرهم العباء وارديتهم النمار يلبون يحجون البيت العتيق اسناد حسن وقد تقدم في
قصة نوح عليه السلام من رواية الطبراني وفيه نوح وهود وصالح وابرهيم ذكر مرور
سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي الحجر من ارض ثمود عام تبوك قال
الامام احمد حدثنا عبد الصمد ثنا صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستقى الناس
من الابار التي كانت تشرب منها ثمود فعجنوا منها ونصبوا القدور فامرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاهرقوا القدور وعلفوا العجين الابل ثم ارتحل بهم حتى نزل على البير
التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عذبوا اني اخشى
ان يصيبكم مثل ما اصابهم فلا تدخلوا عليهم وفي رواية للامام احمد ثنا يزيد بن هرون
ابن المسعودي عن اسمعيل بن اوسط عن محمد بن ابي كبشة الانماري عن ابيه
واسمه عمرو بن سعد ويقال عامر بن سعد رضي الله عنه قال لما كان في غزوة
تبوك تسارع الناس الى اهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممسك

الناس

بعنزة وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم تعجب منهم
يا رسول الله قال افلا انبيكم باعجب من ذلك رجل من انفسكم ينبيكم بما كان قبلكم وما هو
كاين بعدكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بعذابكم شيئا وسياتي قوم
لا يدفعون عن انفسهم شيئا ○ اسناده حسن ولم يخرجوه وقد ذكر ان قوم صالح
كانت اعمارهم طويلة فكانوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم
فنحتوا لهم بيوتا في الجبال وذكروا ان صالحا عليه السلام لما سالوه اية فاخرج لهم
الناقة من الصخر امرهم [illegible] وما ولدها الذي كان في جوفها وحذرهم باس الله ان هم نالوها
بسوء واخبرهم انهم سيعقرونها ويكون ذلك سبب هلاكهم وذكر لهم صفة
عاقرها وانه احمر ازرق اصهب فبعثوا القوابل في البلاد متى ولد مولود
بهذه الصفة يقتلنه فكانوا على ذلك دهرا طويلا وانقرض جيل واتى جيل اخر فلما
كانوا في بعض الاعصار تزوج ابن رئيسهم بابنة رئيس اخر فولد بينهما عاقر الناقة وهو
قدار بن سالف فلم تمكن القوابل من قتله لشرف ابويه فنشا فيهم نشاة سريعة
حتى كان من امره ما كان وخرج مطاعا في قومه تسولت له نفسه عقر الناقة
ووافقه ثمانية من اشرافهم وهم التسعة الذين ارادوا قتل صالح عليه السلام فلما وقع
من امرهم ما وقع من عقر الناقة وبلغ ذلك صالحا عليه السلام جاءهم باكيا عليها فتلقوه
يعتذرون اليه ويقولون ان هذا لم يقع من ملاء منا وانما فعل هذا هؤلاء الاحداث
فينا ثم اتاهم عذاب الله ونقمته وهي صيحة فيها صوت كل صاعقة فاخذتهم

واصبحوا

خالدين

واصبحوا في دارهم جاثمين **قال** كعب الاحبار لما اراد الله قبض روح نبيه صالح
بارض فلسطين بعد ان عقروا قومه الناقة فلما كان يوم الاحد اوحى الله عز وجل الى جبريل
ان ثمودا كفروا بي وانكروا نعمتي وجحدوا حجتي وعقروا ناقتي فامر خازن النار
ان يرسل عليهم من تحت اطباق الارض شررا من نار لظى نزاعة للشوى ودمر عليهم
قصورهم فهبط جبريل الى مالك عليهم السلام وامره بما امر الله تعالى به فنشر جبريل عليهم
جناح الغضب وجعل يرمي عليهم بجمرات كامثال الجبال الرواسي حتى اضطربت
والملايكة ترعد من خوف الله تعالى يقولون قدوس قدوس وزجر مالك النار حتى اضطرمت
وامر الزبانية ان تخرج من لظى الشرار التي امرهم الى ثمود فتدكدكت الجبال وتصدعت
الارض وجفت الاشجار وغارت المياه وثمود مع ذلك باركة في جثاياتها فخرجت
لها زفير وشهيق وذهبت تحت الارض حتى خرجت من اوايل بلاد ثمود واخذ جبريل
تخوم ارضهم فتزلزلت قصورهم وبيوتهم وهم يسمعون الزلزلة والهدة والرجفة وهم مع
ذلك لا يومنون ثم صاح بهم جبريل صيحة فانخلعت من ابوابها صغارهم وكبارهم وقصادكم
كما قال الله تعالى فكانوا كهشيم المحتظر ثم بعث الله سحابة سوداء فارتفعت
على بلادهم ورمتهم بوهج النيران سبعة ايام حتى صاروا رمادا فلما كان اليوم الثامن
انقشعت السحابة فطلعت الشمس وسكنت الارض فاقبل صالح والمومنون يطوفون بهم بلاد
ثمود يقول اين تومكم وبطشكم واموالكم وجمعكم واصنامكم التي عبدتم من دون الله
ما اغنت عنكم شيئا من عذاب الله تعالى ثم اخذ صالح واصحابه من الجبال ما قدروا عليه

ثم جمع عظام الناقة وطينها واتخذ لها تابوتا من ذهب ودفنها ثم سار باصحابه الى
ارض فلسطين واقام بها الى ان مات ودفن هناك وانما انتقل صالح من بلاد ثمود لانه
كره المقام بارض انزل الله العذاب على اهلها قال كعب الاحبار
رضي الله عنه لما قبض الله روح نبيه صالح بارض فلسطين ذهب اصحابه الى ارض اليمن
ثم افترقوا فرقتين فنزلت احديهما ارض عدن وهم اهل البير المعطلة والفرقة الاخرى صارت
الى حضرموت وكان القصر المشيد قبل البير المعطلة وكان الذي بناه شداد بن عاد وذلك
انه لما نزل بقوم هود الريح العقيم وبقوم صالح الصيحة عزم على بناء قصر مشيد حتى لا يكون
للريح عليه سلطانا ثم شرع في بنايه وبالغ في تشييده فلما تم تحول اليه وصار معه اليه خلق
كثير وكان له من القوة ما اذا كانت حربه الخيل في جريها يقبضها بيده ويجذب النجم
فيقلعها بعروقها من الارض وياكل من الطعام قدر ما ياكل عشرون رجلا من قومه وكان
مولعا بالنساء حتى انه تزوج زيادة على سبعمائة امراة ورزق من كل واحدة منهن ولدا واثنين
فلما كثروا اولاده طغى وبغى وكان اذا جلس في اعلا القصر لا يمر به احد الا امر بقتله كاين
من كان فبعث الله اليه نبيا يامره بالتوحيد والكف عن قتل الناس فقتله واقام دهرا
طويلا يقتل الناس فامر الله تعالى جبريل عليه السلام فصاح بقومه صيحة فهلكوا عن اخرهم
وبقي القصر خرابا لا يجسر احد ان يدخله لعظم ما حل بساكنه وقيل انه كان فيه حية
عظيمة وقيل انه يسمع فيه من دخله انين كانين المريض فهم اهل القصر يعذبون الى يوم القيمة
واما البير المعطلة فقال كعب الاحبار كانت بارض عدن وكان اهلها

على دين صالح وبقية قومه وكان الغيث ينقطع عنهم حتى يجهدهم العطش فكانوا
يحملون الماء الا ينقلهم من موضع بعيد فاعطاهم الله هذه البير على ان لا يشركوا به
شيا ويعبدونه حق عبادته وكان القوم معجبون بهذه البير وكانوا قد بنوها بالواح
الصخور وبل قبلتها دلو وحبل وكان لهم ملك يدبر امرهم فاتحزنوا عليه حزنا
شديدا فوقف عليهم ابليس واقبل على كبارهم وقال يا بقية ال ثمود مالي اراكم
ممتنعين عن النعيم وقد اعطاكم الله تعالى هذه البير التي لم تكن لاحد قبلكم وانتم في
بحر الحزن فقالوا كيف لا نحزن وقد فقدنا ملكنا مع احسانه الينا فقال لهم
ابليس ان ملككم لم يمت ولكنه احتجب عنكم فلا يكلمكم ولا ياذن لكم ابدا فلو
رايتموه وهو في احسن صورة وهو يكلمكم من وراء الحجاب فاذا رايتموه فاتخذوه
الها واسجدوا له ليرضى عنكم وانما احتجب عنكم لانكم لم تكونوا تسجدوا له ثم خرج
من عندهم واتخذ صنما على صورة الملك لونه وقامته وهياته ونصبه على سرير
الملك ثم اقبل الى القوم وقال هلموا الى ملككم فانه قد استوى على كرسيه
فاسمعوا كلامه فاقبلوا اليه وتعلقوا بالستور ودخل شيطان في جوف الصنم
وكلمهم بلغة الملك فقال يا ال ثمود مالي اراكم تبكون فقالوا لما فقدناك
ايها الملك ونحن عليك في اشد الحزن فقال الشيطان من جوف الصنم كذبتم ولو
انكم تحبوني كما ذكرتم لكنتم تعبدوني ولقد لبثت فيكم اربعين سنة ما فيكم من سجد
لي سجدة وقد علمتم حسن سيرتي فيكم والان فقد البسني الله ثوب الالهية وانا فيكم

لا آكل ولا اشرب ولكن اخبركم بعلم الغيوب فقالوا ايها الملك لو اريتنا وجهك
عبدناك فنحن كذلك فرفع ابليس الحجاب حتى دان فلم ينظروا منه شيئا فخروا له سجودا
وامتنع بعضهم من السجود وقالوا لا نسجد له حتى نتيقن امره فلما طالت المدة ورأوه لا
يأكل ولا يشرب ولا ينام وهو يأمرهم وينهاهم مالوا اليه بأسرهم واتخذوه إلها من دون
الله عز وجل لا اله الا الله وحده لا شريك له الا رجل واحد من بقية قوم صالح
فانه لما رأى القوم وما هم عليه خرج هاربا منهم حتى اتى الحرم فاقام يعبد الله حينا
وكان اسمه حنظلة فبينما هو ذات ليلة نائم قريب من الصفا اذ اتاه آت في منامه وقال
له ان ربك يأمرك ان تمضي الى قومك تحذرهم عذابه وتنهاهم عن عبادة الاصنام فان لم
يؤمنوا غارت بيرهم وماتوا عطشا فنهض من ساعته واتى القوم بارض عدن فلما وقف
عليهم قال يا قوم ان هذا الذي تعبدونه صنم لا يضر ولا ينفع وان الذي يكلمكم من
جوفه شيطان فلا تهلكوا انفسكم فقد هلك من كان قبلكم عاد وثمود لما بلغهم انبياهم
رسالة ربهم فكذبوهم وهموا بقتلهم فاخذهم العذاب وهم ينظرون فكذبوه وهموا
بقتله فوعظهم فلم يرجعوا عن كفرهم ثم قتلوه بعد ذلك فغطى الله عنهم البير
فذهبوا الى الصنم وشكوا اليه العطش فلم يكلمهم لانه عاين ملايكة الغضب
ثم صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا جميعا وقيل ان الشياطين مصفدة في البحر
حبسهم سليمان بن داود عليهما السلام والله تعالى اعلم ۞

قصة اصحاب الرس

قال كعب الاحبار ان اصحاب الرس كانوا يعبدون

وهم خلق كثير وبنوا لهم مدينة طولها اربعين ميلا وعرضها مثل ذلك
واحتفروا لها قنوات تحت الارض وسموها الرس لان ملكهم كان اسمه الرس
واقاموا دهرا طويلا يعبدون الله تعالى حق العبادة فاتاهم ابليس ومعه صنم وقال
ان الله تعالى غني عن عبادتكم فعليكم بعبادة الاصنام فانها تقربكم الى الله زلفى
فارتدوا واخذوا في عبادة الاصنام ونكحوا الغلمان والنسوان في ادبارهن
فكان هذا يبعث امراته الى هذا وهذا يبعث امراته الى هذا ولا غيرة لهم حتى شق
ذلك على النسوان فبينما هن مجتمعات اذ اقبل اليهن ابليس لعنه الله تعالى
في صورة امراة جميلة فقلن لها من انت فقال اللعين انا من قرية كذا وكذا
وكانت لي خليلة اجتمع انا واياها على السحق فسالوها عن ذلك فعلمهن الملعون
السحق فاستغنين عن الرجال بعضهم ببعض وكثرت القبايح فيهم فبعث الله تعالى
اليهم رسولا يقال له صفوان فدعاهم الى طاعة الله تعالى ونهاهم عن معصيته
فلم يرجعوا وكذبوه فلبث فيهم دهرا طويلا ثم ضربهم الله تعالى بالقحط وسلب ماءهم
وبينهم نبيهم يحذرهم العذاب ثم وثبوا عليه فقتلوه واحرقوه بالنار فامر الله تعالى
جبريل فصاح بهم صيحة فهلكوا جميعا وصارت حجارة سودا ويقال ان مدينتهم
منذ خسف بها لم يرها الا ذو القرنين فانه لما سار الى بلاد اليمن كان يتبع
ما فيها من العجايب فراى من آثار الفراعنة والجبابرة ما تعجب منه فانه رأى بلدا سودا
مظلمة كانها مطلية بقار فنزل عندها وامر بمساحتها فاذا هي اربعين ميلا في عرض مثله

حنظلة بن ؟

فدخلها فاول ما راى الملك منكس على راسه في سريره والوزرا والحجابة والخدم قيام بالاعمدة على اكتافهم عن يمينه وشماله ثم دخل السوق فراى منهم من هو قابض على ميزانه واخر قابض على كيله ومنهم من هو ناشر ثوبه والطباخ على مطبخه والجبار على مخبزه وكذلك اهل اللهو والات ملتصقات بعضهن ببعض وتداخلهم العذاب بغتة ثم نظر ذو القرنين الى لوح عظيم مكتوب فيه نحن اصحاب الرس كنا ملوكا في ارغد عيش ولم نكن نؤمن برب ولا نرجع عن المعاصي فبعث الله الينا نبيا فكذبناه وقتلناه واحرقناه بالنار فمسخنا الله عز وجل حجارة فاستعبر ذو القرنين وبكى هو ومن معه وبقي متحيرا وقال ليت شعري من بنى هذه المدينة فسمع هاتفا لا يرى شخصه يقول ايها العبد الصالح ان اول من اتى هذه المدينة حواب بن ودلع ثم شداد بن عاد ثم غيره من ملوك بعده كلهم كفروا بالله تعالى فكانوا من الهالكين قال الله تعالى في سورة الفرقان وعادا وثمودا واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا وقال تعالى في سورة ق كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد وهذا السياق والذي قبله يدل على انهم اهلكوا ودمروا وتبروا وهو الهلاك وهذا يرد اختيار ابن جرير من انهم اصحاب الاخدود الذين ذكروا في سورة البروج لان اولئك عند ابن اسحق وجماعة كانوا بعد المسيح عليه السلام وفيه نظر ايضا وروي

ابن جرير قال قال ابن عباس رضي الله عنهما اصحاب الرس اهل قرية من قرى ثمود ○

قصة ابرهيم الخليل عليه السلام هو ابرهيم بن تارح بن ناحور بن ساروغ بن راغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ونص القران يدل على ان اسم ابيه آزر والظاهر ان هذين الاسمين احدهما اسم له والاخر علم قال اهل القصص ابو مرود لعنه الله تعالى قال وهب بن منبه كان نجارا وكان يقال له لوج وله اخ يقال له راغوا وكانا نجارين عظيمين وكان كوج اشد قوة من اخيه وكان اسمر اللون ازرق العينين عظيم الخلق له اظفار كمخاليب السباع وطاف بعساكره شرقا وغربا يقاتل من زنا دعه ويسبي ذريته حتى بلغ مكانا يقال له كوثا ربا من ارض العراق وهي ارض ذات اشجار فاعجبته فنزل بها وعزم ان يسكنها فاحضر المنجمين وقال لهم اني نزلت هذا المكان فاعجبني وقد احببت ان اسكنه فهل يوافقني ذلك فقالوا امهلنا ثلثة ايام فامهلهم فاتوه في اليوم الرابع فقالوا انا وجدنا هذا المكان يسكنه رجل يملك الشرق والغرب فاعجبه ذلك وامر بالبنيان فبنوا هناك قصورا رفيعة ومجالس مزخرفة وقصورا عجيبة ومناظر مشرفة كل لون منها على غير اللون الاخر وفرشت بانواع الرخام وغرس بساتين كثيرة حتى ابتنى موضعا لم ير اكبر منه ثم ولد له مولود فسماه كنعان وكان له ولد اخر اسمه آص وكان كنعان شديد البطش حتى انه كان مولعا بالصيد جبارا عنيدا حتى انه

قوما اخرين من ولد سام وحام ويافث وكانت النبوة في ولد سام وكانت الملوك في ولد يافث

كان اذا صاح على السباع والوحوش تنشق مرايرهم وتسقط على وجوهها
فمات كوج وصار الملك الى ولده آص وكنعان مشتغل بالصيد فبينما
كنعان ذات يوم في صيده اذ نظر الى امراة ترعى بقرا فاعجبه حسنها وجمالها
فاراد ان يفتضحها فامتنعت فلاطفها فقالت ان زوجي ان راى ذلك فعل بك منه ان
يقتلك فغضب كنعان وقال لها ويلك الم تعلمي انه ما على وجه الارض من يطاولني
وانا كنعان بن كوج بن عام فضحكت المستهزية به وقالت له لا تولد الملوك
انما انت رجل صياد واقبل زوجها فراه يكلمها فغضب ولطم وجه كنعان فوقع
على قفاه ثم برك على صدره ليذبحه فخدعه كنعان واعتذر اليه فقام عن صدره فاخذ
كنعان وجلد به الارض فقتله ثم اقبل على المراة وكان اسمها سلمى فتدبرت اليها
فقالت له انك تزعم انك من اولاد الملوك فما حاجتك الا مثلي وانا فقيرة فلم يلتفت
الى كلامها فواقعها وحملها الى المنزل قال ثم وقعت الحروب بين اولاد اقشويين آص
فاقتتلوا قتالا شديدا فغلبهم آص وملك امورهم ثم بعث كنعان الى الحجير بن ترميل (؟)
ابن يافث يخطب ابنته فابا عليه وقال له ما انت من اولاد الملوك انما انت رجل صياد
فشق ذلك على كنعان ودخل على اخيه آص وقال له انت تعلم اني قد سلمت اليك
الملك ولم انازعك فيه وهذا الحجير قد قال لي كذا وكذا وانا اريد منك ان
تساعدني عليه بعسكرك فغضب آص وقال صدق الحجير في قوله انك صياد فغضب
كنعان من كلام اخيه آص فبادر اليه واخذ برجله وضرب به الارض فقتله ٥

96

واحتوى على الملك واطاعته الملوك فسار الى الحجير فقتله واخذ ابنته قهرا وكان
الحجير قد جمع جموعا كثيرة واقبل الى كنعان فاقتتلوا فهزم كنعان وقتل خلقا
كثيرا من عسكره وارسل كنعان الى عوج بن عنق يستنجده فسار الى كنعان
ومعه سبعون من الجبابرة والتقى هو وكنعان بسلخ فقتله كنعان واخذ امواله وا
له الملك بلا منازع بينما هو ذات ليلة نائم اذ راى في منامه امرا هاله فانتبه
مرعوبا واستدعى المنجمين وقال لهم اني رايت كانما [illegible] بطلا نفر عني ودق
عنقي وقال لي يا ميشوم اهل الارض انه لم يبق من اجلك الا بعد ما اخرج من
ظلمتي الى نور الدنيا فقالوا امهلنا في نظرنا منه ايام ثم عادوا اليه فقالوا ان
عثرنا ان ذلك مولود يولد يكون هلاكك على يديه وقد حملت به امه فبان له
انه الحمل الذي مع سلمى الراعية وكانت سلمى تسمع له في بطنها صوتا عجيبا فقال
لها كنعان ان هذا الولد الذي معك شيطان لعين بادي وهم ان يدوس
بطنها ليقتله فسمع هاتفا يقول مهلا يا كنعان فليس لك عليه سبيل
فلما وضعته واذا هو اسود افطس احول واذا لحية رقيقة قد خطت في طيوره
ففزعت سلمى واعلمت كنعان بذلك فقال لها اقتليه فانه ميشوم فقالت لا
يطيب قلبي بذلك ثم خرجت به الى البرية ورمته هناك ووجهت نحو تل راعي
غنم فقالت هل لك ان تربي هذا المولود يكون لك عبدا فاخذه الراعي
فوضعه في وسط غنمه وبقره فنفرت منه فتعجب الراعي في جمع مواشيه واقبلت

لها
وعادت به الى البقر

امراة الراعي فذكر لها حديثه فقالت هذا ولد مشوم فاقتله فابى فاخذته
امراته واقبلت به الى نهر فالقته هناك ليغرق فقذفه الما الى الشط وجات
بقرة لتشرب فراته فارضعته وامراة الراعي تنظر اليه فعادت الى المدينة واخبرت
الناس فتعجبوا وخرجوا ينظرون فلما راو البقرة ترضعه اخذوه وربوه وسموه
نمرود فلما بلغ جعل يقطع الطريق ويغير على القرى فانضم اليه خلق كثير فبلغ
ملك كنعان وهو لا يعلم انه ابنه فبعث اليه بقايد فقتله فارسل اليه آخر
فقتله حتى بلغ سبعة فخرج اليه كنعان بنفسه فقتله نمرود وصار الملك
اليه فجعل يغزو الملوك شرقا وغربا حتى ملك البلاد ثم سار في عسكر
عظيم الى ملك العرب فقتله واحتوى على ملكه ثم رجع الى ملك الروم فقتله
ثم سار الى ملك اليمن فقتله واحتوى على بلاده ولم يزل كذلك حتى قتل عشرة
ملوك آخرهم ملك الهند ولم يزل كذلك حتى ملك الارض كلها شرقا وغربا
ثم رجع الى كوثا فاحضر وزراه وكبار دولته وقال لهم اني اريد ابني
بنيانا عجيبا لم يسبقني احد الى مثله فاشاروا عليه ان يستعين على ذلك بآزر
ابن ناحور فانه عارف بالنجارة والبنا حاذق فيهما فحضر فسجد آزر له فلما
رفع راسه قال له اني اريد ان تبني لي قصرا لم يسبقني احد الى مثله وارفعه
وتكون فيه سائر الصور والعجايب ولتكن في كل مجلس من مجالسه صورتي مصورة
حتى ان كل من دخل اليه ورأى صورتي يسجد لها وهذه خزائني بين يديك

خذ منها ما تحتاج اليه فخرج آزر وبنى له قصرا رفيعا طوله الف ذراع وعرضه كذلك
وجعل حيطانه من جوهر العواميد وارضه من المرمر وجعل فيه مجالس على الوان
شتى وجعل سقفه من الصندل والعود وابوابه من العاج والابنوس ومسامير من الذهب
والفضة واجرى فيه انهارا من لبن وعسل وخمر وغرس على حافاتها اشجارا من
ذهب وفضة وجعل فيها جواهر ملونة وجعل عليها طيورا من ذهب وفضة
وجعل في كل مجلس سريرا على لون المجلس وصور صورا عجيبة وفي وسطه صورة
النمرود وعلق عليها من الستور الديباج كلها فلما تم بنيانه ارسل الى نمرود يخبره
بذلك فحضر اليه واجلسه في مجلس الوزارة فاخذ نمرود يتجبر ويتكبر وادعى
الالهية وولع بعلم النجوم قال كعب الاحبار كان الله تعالى قد اعطى
ادريس عليه السلام علم النجوم فلم يزل يعمل به حتى رفعه الله تعالى ثم صار علم النجوم
بعد ادريس الى هرمز وهو من قوم ادريس وكان ادريس قد اوصاه ان لا يعلمه
كافرا فلم يزل المومنون يعملون به الى زمن نمرود فبينما نمرود في بعض متنزهاته
اذ مر به قوم عباد عليهم لباس الصوف والشعر فقال لهم نمرود من انتم فقالوا نحن
بقايا قوم ادريس وانا لما راينا الناس قد اشتغلوا بعبادة الاصنام اعتزلناهم
الى هذه الجبال نحن نعبد الله الذي لا اله الا هو فوكل بهم فامر بهم الى القصر
ثم دعاهم وقال لهم اختاروا واحدة من اثنتين اما ان تدخلوا في ديني واما ان
تعلموني علم النجوم فقالوا نعلمك ولا ندخل في دينك ثم علموه علم النجوم وانصرفوا

ثم تصور له اللعين ابليس في صورة شيخ ثم سجد له فلما رفع راسه قال له ايها الملك
انك تعلمت علم النجوم وغيري اعلم بالحسن منه فقال له وما هو قال السحر والكهانة وان
الملوك الذين كانوا قبلك كانت لهم الهة يعبدونها واشتهي عليك ان تتخذ لنفسك
صنما وتدعوا الناس الى عبادته ففعل ذلك وامر نمرود ازر ان يتخذ له صنما يعبده ولقومه
اصناما يعبدونها وانهمك نمرود وقومه على عبادة الاصنام ثم راى نمرود ايات مترادفات
ولم يزداد الا كفرا وعتوا فبينما نمرود نايم على سريره اذ جاءه ملك فوقف بين يديه
وقال له الى كم ترى الايات في نومك وفي يقظتك ولا تؤمن بالله تعالى ثم ذهب
عنه فراى بعد ذلك رويا مزعجه وهو ان راى نورا ساطعا انور من الشمس والقمر
واقواما يطلعون وينزلون في ذلك النور من السما الى الارض ومن الارض الى السما وراى
رجلا احسن الناس وجها واقف في النور والقوم يقولون له نصرك الله بك تحيي
الارض بعد موتها قال له المعبرون اجلنا يوما فاطلقهم فخرجوا فوجدوا ازر جالس
على باب نمرود فقالوا له ايها الوزير ان الملك راى رويا تدل على مولود يولد لاقرب
الناس اليه يزيل نعمته في ملكه ويرثه من بعده ويبلغ ذكره المشرق والمغرب
ويرتفع ذكره الى السما غير انا لا نقدر نعبر ذلك فانهض معنا وساعدنا على هذا
الامر فدخل عليه وشفع لهم في تعبير الرويا فقالوا ايها الملك ان رويا لك تدل
على عز ولد لم يولد بعد وانه ياتيك ليس معه سلاح ولا جند فقال نمرود
سلهم فمن يكون هذا المولود او من اقرب الناس اليك فقال ان اقرب الناس

اليك

اليه ولدي وانت يا ازر فاخذ يفكر في ذلك ثم امر بضرب عنق ولده وامر ان يوكل
بكل امراة حامل فان ولدت غلاما قتلوه ولم يزل دابه ذلك سبع سنين حتى ذبح
مايه الف طفل ثم سال المنجمين هل قتل عدوي فقالوا ان امه لم تحمل به بعد فكف عن
الذبح حينا ثم عاد اليه ولم يزل يذبح حتى ضجت الخلق والملائكة الى الله تعالى
فبشرهم الله تعالى بمولد ابرهيم عليه السلام فارتجت الاصنام وقالت جا الحق وزهق
الباطل وفي هذا الغرور فدخل ازر على زوجته والفرح يرى بها فقالت يا ازر اضحك
بما هو اعجب من ذلك قال لها وما هو قالت اني منذ سنين كثيرة ايست من الحيض واني حضت
في يومي هذا فقال لها اكتمي ذلك فلما طهرت سمع ازر هاتفا يقول له قم الى امراتك
وواقعها ليخرج من ظهرك هذا النور الساطع فلما سمع ذلك خرج ودخل عليها فلقيه
ملك فزوله وقال له الى اين تهرب يا ازر ارجع واد الامانة التي في ظهرك فرجع الى امراته
والنور يسطع من وجهه فقالت له الا ترى هذا النور الذي في وجهي فقالت له الا ترى
كيف رجع الى الشباب وكان ازر هو الذي يقدم الطعام والشراب للاصنام فاتى
الشياطين كله فلما دخلن اليوم قربلها الطعام على عادته فحجبت الشياطين
كله ووجدت الملائكة هناك فانصرفت ازر فوجد الطعام على حاله فبقي
متحيرا وابطا عن زوجته فاقبلت اليه لتنظر خبره فلما راها القى الله عز وجل عليه الشهوة
فاراد مواقعتها فقالت له الا تستحي من الملك فلم يلتفت الى كلامها وواقعها فحملت
من ساعتها بابراهيم وكانت ليلة الجمعة قال وانطق الله تعالى الكعبة تلك الليلة فقالت لا اله

الا الله

ابرهيم خليل الله وخرت الاصنام منكسة وضربت السباع باذنابها لما رات الملائكة
يبشرون اهل الارض ومن عليها بولادة ابرهيم عليه السلام قال وطلع نجم ابراهيم عليه السلام لقطرها
طرف المشرق وطرف المغرب وله ضو مثل ضو الشمس والقمر فتعجب الناس منه ولما راه نمرود
فزع وقال للمنجمين ما هذا النجم فقالوا هو نجم المولود الذي نخشى عليك منه وسمع نمرود هاتفا
يقول يا عدو الله هذا المولود الذي يهلك على يديه فلما سمع ذلك عاد الى قتل الولدان
حتى قتل خلق عظيما وابرهيم عليه السلام يزداد نموه في بطن امه والله تعالى يخفيه فلما اخذ
امه الطلق اتاها ملك وقال لها لا تخافي واذهبي معي الى المكان الذي فيه وانت امنة على نفسك
وولدك فذهبت معه فادخلها الغار الذي دفنه ادريس ونوح عليهما السلام واسمه
في التورية غار النور فرات فيه فرشا وقناديل واله الولادة وسمعت اصوات الملائكة
فخافت فقالوا لها لا تخافي نحن ملائكة ربك قد هيئنا لك ذلك لان هذا المولود الذي
في بطنك وخفف الله عليها الطلق وكانت ليلة الجمعة عشية عاشورا فوضعته فلما صار
الى الارض استوى قائما وقال لا اله الا الله له الملك وله الحمد فبلغ صوته المشرق
والمغرب وارتفعت اصوات الحيوانات بالبشارة وقطع جبريل سرته واذن في اذنيه
وقدسه وبارك عليه وعممه في انوار الرضوان وكساه ثوبا من الجنة ثم وضعه
في حجر امه فنودت ثديها عليه في الحال بين عسل وكان فيه اصابعه الجنة
فقد له الابهام عسلا والسبابة خمرا والوسطى لبن والخنصر والبنصر ماء فلما رات
امه ذلك عجبت منه فقال لها الملك توفي الى منزلك قبل ان يعلم بولادته احد

فقامت

٩٤

فقامت خيفته فانهم لم يلد والملك بين يديها حتى دخلت منزلها فلما دخل عليها
ازر قالت له اعلمت ان الذي كان في بطني ريحا ولم يكن ولدا ففرح بذلك والهى الله
تعالى على نمرود النسيان فنسي امر ابراهيم وكانت امه تذهب اليه كل اسبوع مرة فلما تم
له حولين اتاه جبريل بطعام من الجنة وشراب فاطعمه وسقاه واقبل ابليس الى الغار
فراى اعلام الملائكة منصوبة ولم يكن معه بولادته علم فبقي متحيرا وصاحت به الملائكة
اذهب يا ملعون فان الله تعالى لم يجعل لك عليه سبيلا هذا ابراهيم خليل الله فخر ابليس
مغشيا عليه من هول الصوت ثم انصرف خائبا قال ثم دخل ابليس على نمرود وقال له
ان المولود الذي تخافه في كذا وكان نمرود قد ذكره في نومه وسال وزراه عنه فلم يعرفوه
فلما اخبره ابليس ركب في اهل مملكته وابليس بين يديه حتى قرب من الغار فاعماه الله تعالى
عنه فقال له نمرود اين باب الغار فقال ها هنا فلم ير شيئا فقال ابليس ان هذا المولود ربي
يحفظه منك ومني فقال له نمرود الان علمت انك كاذب فلما رجع نمرود الى القصر نودي
من جوانب القصر يا نمرود ان ابراهيم ليس لك عليه سبيل فبقي نمرود مغموما وابرهيم في
الكرامة حتى تم له اربع سنين فاتاه جبريل بكسوة من الجنة وسقاه شربة التوحيد
كي لا يشرك بالله شيئا وقال له اخرج من الغار منصورا فخرج ابرهيم من الغار وبيده قضيب
فذهب به [illegible] عند غروب الشمس فجعل ينظر الى النجوم قال الله تعالى وكذلك
نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا
قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل

غار ح

نمرود ح

قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال
هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وجعل إبراهيم يقول تعالى لمن
يحول ويزول ويظهر ويغيب ثم جعل يردد كلمة الإخلاص على الجبهة ويلبيه لا إله إلا
الله وحده لا شريك له وأمر الله تعالى الريح فحملت آذان الخلائق كلمة إبراهيم وأهبط الله تعالى
ملكا إلى إبراهيم فقال له قم إلى أمك وأبيك ولا تخف فإني معك واذكرني بقلبك
قال كعب الأحبار رضي الله عنه ولما تم لإبراهيم أربعون سنة أتاه جبريل عليه السلام
فقال له إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إني بعثتك إلى نمرود فجاهده ولا تخش
فإني ناصرك عليه فأقبل إبراهيم حتى وقف على باب نمرود ونادى بأعلى صوته يا قوم قولوا معي
لا إله إلا الله وإني إبراهيم رسول الله فانتشر صوته حتى سمعه الكبير والصغير وفزع
نمرود من ذلك ولا زال إبراهيم صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه يدعوهم إلى التوحيد لله
والطاعة وكان أول دعوته لأبيه وكان أبوه ممن يعبد الأصنام لأنه أحق الناس
بإخلاص النصيحة له كما قال تعالى واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا
نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يا أبت إني قد
جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان إن
الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني

للالهية ولأن تعبد من دون الله تعالى لأنها حادثة مربوبة مصنوعة تطلع تارة وتأفل أخرى فتغيب عن هذا العالم
والرب تعالى لا يغيب عنه شيء ولا يخفى عليه خافية بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله إلا هو ولا رب سواه فبين لهم أولا عدم صلاحيته

٩٥

مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا واعتزلكم
وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا فذكر
تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاورة والمجادلة وكيف دعا أباه إلى الحق بألطف
عبارة وأحسن إشارة بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأصنام التي لا تسمع
دعاء عابدها ولا تبصر مكانه فكيف تغني عنه شيئا أو تفعل به خيرا من رزق أو نصر
ثم قال له منبها على ما أعطاه الله من الهدى والعلم النافع وإن كان أصغر
سنا من أبيه يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا ٥
أي مستقيما واضحا سهلا حنيفا يفضي بك إلى الخير في دنياك وأخراك فلما عرض هذا
الرشد عليه وأهدى هذه النصيحة إليه لم يقبلها منه ولا أخذ عنه بل تهدده وتوعده
قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك قيل بالمقال وقيل بالفعال
واهجرني مليا أي واقطعني وأطل هجري أي غضب فقال له إبراهيم سلام عليك أي لا
يصلك مني مكروه ولا ينالك مني أذى بل أنت سالم من ناحيتي وزاده خيرا فقال
سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا وقد استغفر له إبراهيم عليه السلام كما وعده في
أدعيته فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما قال وما كان استغفار إبراهيم لأبيه
إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم
وقال تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذ قال لأبيه وقومه
ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم

لعله أبيه

أنتم وآباؤكم في ضلال مبين ﴿ يخبر تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام انه انكر على قومه
عبادة الاصنام وحقرها وصغرها فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون اي معتكفون
عندها وخاضعون لها قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ما كان حجتهم الا صنيع الآباء والاجداد
وما كانوا عليه من عبادة الانداد قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين سلوا
لها انها لا تسمع دعاءكم ولا تنفع ولا تضر وانما الحامل لهم على عبادتها الاقتداء باسلافهم ومن
هو مثلهم في الضلال من الآباء الجهال وقوله وتالله لأكيدن اصنامكم بعد ان تولوا
مدبرين اقسم ليكيدن هذه الاصنام التي يعبدونها بعد ان تولوا مدبرين الى عيدهم وكان
لهم عيد يذهبون اليه في كل عام مرة الى ظاهر البلد فدعاه ابوه ليحضر عيدهم فقال اني سقيم
كما قال تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم عرض لهم في الكلام حتى توصل
الى مقصوده من اهانة اصنامهم ونصرة دين الله الحق في بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام
التي تستحق ان تكسر وان تهان غاية الاهانة فلما خرجوا الى عيدهم واستقر هو في
بلدهم ذهب الى بيت آلهتهم فإذا هي في بهو عظيم وقد وضعوا بين ايديها انواعا
من الاطعمة قربانا اليها فقال لها على سبيل التهكم والازدراء ألا تأكلون
ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين لانها اقوى وابطش واسرع واقهر
فكسرها بقدوم في يده كما قال تعالى فجعلهم جذاذا اي حطاما الا كبيرا لهم لعلهم اليه
يرجعون قيل انه وضع القدوم في يد الكبير اشارة الى انه غار من ان تعبد معه
هذه الصغار فلما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حل بمعبودهم قالوا من فعل هذا بآلهتنا

انه لمن الظالمين وهذا فيه دليل ظاهر لهم لو كانوا يعقلون وهو ما حل بآلهتهم التي
يعبدون فلو كانت آلهة لدفعت عن انفسها من ارادها بسوء لكنهم قالوا من جهلهم
وقلة عقلهم وكثرة ضلالهم وخبالهم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابراهيم اي يذكرها بالعيب والتنقص لها والازدراء بها فهو
المقيم عليها والكاسر لها وعلى قول ابن مسعود يذكرهم بقوله وتالله لأكيدن
اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون اي في
الملأ الاكبر على رؤوس الاشهاد لعلهم يشهدون مقالته ويسمعون كلامه ويعاينون
ما يحل به من الاقتصاص منه وكان هذا من اكبر مقاصد الخليل عليه السلام ان
يجتمع الناس كلهم فيقيم على جميع عباد الاصنام الحجة على بطلان ما هم عليه
فلما اجتمعوا وجاءوا به قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون وانما اراد بقوله هذا ان يبادروا الى
القول بان هذه لا تنطق فيعترفوا بانها جماد كسائر الجمادات فرجعوا الى
انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي فعادوا على انفسهم بالملامة فقالوا انكم انتم الظالمون
في تركها لا حافظ لها ولا حارس عندها ثم نكسوا على رؤوسهم قال السدي اي ثم رجعوا
الى الفتنة فعلى هذا يكون قولهم انكم انتم الظالمون اي في عبادتها وقال قتادة ادركت
القوم حيرة سوء فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون اي لقد علمت يا ابراهيم ان هذه
لا تنطق فكيف تأمرنا بسؤالها فعند ذلك قال لهم الخليل عليه السلام أفتعبدون

من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون
فأقبلوا اليه يزفون اي يسرعون قال اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون اي
كيف تعبدون اصناما انتم تنحتونها من الحجارة والخشب وتصورونها وتشكلونها كما تريدون
وهي مخلوقة مصنوعة فكيف يعبد مخلوق لمخلوق مثله وليست العبادة تصلح ولا تجب
الا للخالق وحده لا شريك له قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فارادوا به
كيدا فجعلناهم الاسفلين عدلوا عن الجدال والمناظرة لما انقطعوا وغلبوا ولم يبق
لهم حجة ولا شبهة الى استعمال قوتهم وسلطانهم لينصروا ما هم عليه من سفههم وطغيانهم
فكادهم الرب جل جلاله واعلا كلمته ودينه وبرهانه كما قال تعالى قالوا
حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على
ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وذلك انهم شرعوا يجمعون حطبا من
جميع ما يمكنهم من الاماكن فمكثوا مدة يجمعون له حتى ان المراة منهم كانت اذا مرضت تنذر
لئن عوفيت ان تحمل حطبا لحريق ابرهيم ثم عمدوا الى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب
واطلقوا فيه النار فاضطرمت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط ثم وضعوا
ابرهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الاكراد يقال له هيزن وكان اول
من صنع المجانيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم اخذوا يقيدونه ويكتفونه
وهو يقول لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ولما وضع الخليل
عليه السلام في كفة المنجنيق مقيدا مكتوفا ثم القوه منه الى النار قال حسبنا الله ونعم الوكيل

كما روى البخاري عن ابن عباس انه قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابرهيم حين
القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قيل له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم
سوء الاية وقال ابو يعلى ثنا ابو هشام الرفاعي ثنا اسحق بن سليمان عن ابي جعفر
الرازي عن عاصم بن ابي النجود عن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما القي ابرهيم في النار قال اللهم انك في السما واحد
وانا في الارض واحد اعبدك وذكر ان جبريل عرض له في الهوا فقال الك
حاجة فقال اما اليك فلا ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير رضي الله عنهم انهما قالا
جعل ملك المطر يقول متى اومر فارسل المطر فكان امر الله اسرع قلنا يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم ولولا ان الله تعالى قال وسلاما على ابرهيم لاذى ابرهيم بردها
ولم يحترق من ابرهيم سوى وثاقه وكان جبريل معه يمسح العرق عن وجهه لم يصبه
منها شي غيره وكان معه ايضا ملك الظل ذكره السدي وصار ابرهيم عليه السلام
مثل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضرا والناس ينظرون اليه ولا يقدرون الى
الوصول اليه ولا هو يخرج اليهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال احسن كلمة
قالها ابو ابرهيم لما راى ذلك على تلك الحال نعم الرب ربك يا ابرهيم وروى
ابن عساكر عن عكرمة ان ام ابرهيم نظرت الى ابنها عليه السلام فنادته يا بني اني اريد
ان اجي اليك فادع الله ان ينجيني من حر النار حولك فقال نعم فاقبلت اليه لا يمسها

فلما وصلت اليه اعتنقته وقبلته ثم عادت وعن المنهال بن عمرو انه قال اخبرت
ان ابرهيم مكث هناك اما اربعين واما خمسين يوما وانه قال ما كنت اياما وليالي اطيب
عيشا اذ كنت فيها وددت ان عيشي وحياتي كلها مثل اذ كنت فيها
صلوات الله وسلامه عليه فارادوا ان ينتصروا فخذلوا وارادوا ان يرتفعوا فاتضعوا
وارادوا ان يغلبوا فغلبوا قال الله تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين
وفي الاية الاخرى الاسفلين ففازوا بالخسارة والسفالة هذا في الدنيا واما في الاخرة
فان نارهم لا تكون عليهم بردا ولا سلاما بل هي كما قال تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما
وقال الامام احمد ثنا محمد بن بكر ثنا ابن جريج اخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي امية ان
نافعا مولى ابن عمر اخبره ان عائشة رضي الله عنها اخبرته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اقتلوا الوزغ فانه كان ينفخ على ابرهيم النار قال فكانت عائشة تقتلهن وقال
الامام احمد ثنا اسمعيل ثنا ايوب عن نافع ان امراة دخلت على عائشة فاذا رمح منصوب
فقالت ما هذا الرمح فقالت نقتل به الاوزاغ ثم حدثت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابرهيم لما القي في النار جعلت الدواب كلها تطفي النار عنه الا الوزغ
فانه جعل ينفخها عليه تفرد به احمد من هذين الوجهين ومن حديث آخر
ان امراة دخلت على عائشة فرات في بيتها رمحا موضوعا فقالت يا ام المؤمنين ما تصنعين
بهذا الرمح قالت هذا لهذه الاوزاغ نقتلهن به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا
ان ابرهيم حين القي في النار لم تكن في الارض دابة الا تطفي النار عنه غير الوزغ

كان ينفخ عليه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله

ذكر مناظرة ابرهيم الخليل مع من اراد ان ينازع العظيم الجليل

في ازار العظمة ورداء الكبرياء فادعى
الربوبية وهو احد العبيد الضعفاء قال الله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم
في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال
ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا
يهدي القوم الظالمين يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذا الملك الجبار المتمرد الذي
ادعى لنفسه الربوبية فابطل الخليل عليه السلام دليله وبين كثرة جهله وقلة عقله
والجمه الحجة واوضح له طريق المحجة قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب
والاخبار هذا الملك هو ملك بابل واسمه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام
ابن نوح قاله مجاهد وقال غيره نمرود بن فالح بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام
ابن نوح قال مجاهد وغيره وكان احد ملوك الدنيا فانه قد ملك الدنيا فيما ذكروا
اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان والكافران النمرود وبختنصر
وذكروا ان نمرود هذا استمر في ملكه اربعمائة سنة وكان قد طغى وبغى وتجبر
وعتا واثر الحياة الدنيا ولما دعاه الخليل عليه السلام الى عبادة الله وحده لا شريك له
حمله الجهل والضلال وطول الآمال على انكار الصانع فحاج الخليل في ذلك
وادعى الربوبية فلما قال الخليل ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال
قتادة والسدي ومحمد بن اسحق يعني انه اذا اتي بالرجلين قد تحتم قتلهما فاذا امر بقتل احدهما

فكأنه قد أحيا هذا وأمات الآخر وهذا ليس بمعارضة للخليل بل هو كلام خارجي
عن مقام المناظرة فإن الخليل استدل على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات من
إحياء الحيوانات وموتها على وجود فاعل ذلك الذي لا بد من استنادها إلى وجوده
ضرورة عدم قيامها بنفسها ولا بد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها
وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد
مشاهدة ثم إماتتها ولهذا قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقول هذا الملك الجاهل
أنا أحيي وأميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وإن عنى ما
ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل ولما كان انقطاع
مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلا آخر بين وجود
الصانع وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة قال فإن الله يأتي بالشمس من
المشرق فأت بها من المغرب أي هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها
ومسيرها وقاهرها وهو الله لا إله إلا هو خالق كل شيء فإن كنت كما زعمت من أنك
الذي يحيي ويميت فأت بهذه الشمس من المغرب فإن الذي يحيي ويميت هو يفعل ما يشاء ولا
يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء فإن كنت كما تزعم فافعل هذا فإن لم
تفعله فلست كما زعمت وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل
من أن تخلق بعوضة فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه ولم يبق له كلام
يجيب الخليل به بل انقطع وسكت ولهذا قال فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين

آخر

وقد ذكر السدي أن هذه المناظرة كانت بين إبراهيم وبين النمرود يوم
خروجه من النار ولم يكن اجتمع به إلا يومئذ فكانت بينهما هذه المناظرة وقال زيد بن أسلم
إن الله أرسل ذبابا من البعوض على نمرود وجنوده بحيث لم يروا عين الشمس وسلطها
الله تعالى عليهم فأكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما بادية ودخلت واحدة منها
في منخري الملك فمكثت في منخريه أربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها فكان يضرب
رأسه بالمرازب في هذه المدة كلها حتى أهلكه الله عز وجل بها والله أعلم ذكر
هجرة الخليل عليه السلام إلى بلاد الشام ودخوله الديار المصرية واستقراره بالأرض
المقدسة قال الله تعالى فآمن له لوط وقال إني ذاهب إلى ربي إنه هو العزيز
الحكيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في
الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين وقال تعالى ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا
فيها للعالمين ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين وجعلناهم أئمة يهدون
بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين لما
هجر قومه في الله تعالى وهاجر من بين أظهرهم وكانت امرأته عاقرا لا يولد لها ولم يكن له من الولد
أحد بل معه ابن أخيه لوط بن هاران بن آزر وهبه الله تعالى بعد ذلك الأولاد الصالحين وجعل
في ذريته النبوة والكتاب فكل نبي بعث بعده فهو من ذريته وكل كتاب نزل من السماء على
نبي من الأنبياء من بعده فعلى أحد نسله وعقبه خلعة من الله تعالى وكرامة له حين ترك
بلاده وأهله وأقرباءه وهاجر إلى بلد يتمكن فيه من عبادة ربه عز وجل ودعوة الخلق إليه

بالمرازب

التي تصوغ بالمهجم ارض الشام وهي التي قال الله عز وجل الى الارض التي باركنا فيها
للعالمين قاله ابي بن كعب وابو العالية وقتادة وغيرهم ۞ وروى العوفي عن ابن عباس
قوله الى الارض التي باركنا فيها للعالمين مكة الم تسمع الى قوله ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم وزعم
اهل الكتاب بانه خرج من ارض بابل هو وابن اخيه لوط واخوه ناحور وامراة ابرهيم
سارة وامراة اخيه ملكا فنزلوا حران فمات تارح ابو ابرهيم بها وقال السدي
انطلق ابرهيم ولوط قبل الشام فلقي ابرهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على
قومها في دينهم فتزوجها على ان لا يغيرها رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور انها ابنة عمه
هاران الذي تنسب اليه حران ومن زعم انها ابنة اخيه هاران اخت لوط كما
حكاه السهيلي عن القتيبي والنقاش فقد ابعد النجعة وقال بلا علم وادعى ان تزويج بنت
الاخ كان اذ ذاك مشروعا فليس له على ذلك دليل ولو فرض ان هذا كان مشروعا
في وقت كما هو منقول عن الربانيين من اليهود فان الانبيا لا تتعاطاه والله اعلم والمشهور
ان ابرهيم عليه السلام لما هاجر من بابل خرج بسارة مهاجرا من بلاده كما تقدم والله اعلم ۞
وذكر اهل الكتاب انه لما قدم الشام اوحى الله تعالى اليه اني جاعل هذه الارض
لخلفك من بعدك فابتنى ابرهيم مذبحا لله تعالى شكرا على هذه النعمة وضرب قبته شرقي
بيت المقدس ثم ارتحل الى مصر وذكروا قصة سارة مع ملكها وان ابرهيم قال لها قولي له
انا اخته وذكروا اخدام الملك لها هاجر ثم اخرجهم منها فرجعوا الى بلاد التيمن يعني

وهو آزر

لاصح

ارض بيت المقدس وما والاها ومعه دواب وعبيد واموال وقد قال البخاري
ثنا محمد بن محبوب ثنا حماد بن زيد عن ايوب عن محمد عن ابي هريرة قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث
كذبات ثنتان منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقال
بينا هو ذات يوم وسارة اذ اتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان ههنا رجلا معه امراة من
احسن الناس فارسل اليه فسأله عنها فقال من هذه قال اختي فاتى سارة فقال لها يا سارة ليس
على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سالني فاخبرته انك اختي فلا تكذبيني
فارسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فاخذ فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت
الله تعالى فاطلق ثم تناولها الثانية فاخذ مثلها او اشد فقال ادعي الله لي ولا اضرك فدعت
الله فاطلق فدعا بعض حجبته فقال انكم لم تاتوني بانسان انما اتيتموني بشيطان فاخدمها هاجر
فاتته وهو قائم يصلي فاومى بيده مهيم فقالت رد الله كيد الكافر او الفاجر في نحره
واخدم هاجر قال ابو هريرة فتلك امكم يا بني ماء السماء تفرد به من هذا الوجه موقوفا وقد رواه
الحافظ ابو بكر البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن عبد الوهاب الثقفي عن هشام بن حسان
عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ابرهيم لم يكذب قط الا ثلث
كذبات كلهن في ذات الله تعالى قوله اني سقيم ۞ وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
عن سارة انها اخته للملك الجبار كما تقدم ولما دخلت على ذلك الجبار وقام اليها قامت تصلي
وتقول اللهم ان كنت تعلم اني آمنت بك وبرسولك واحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط
على هذا الكافر قال فغط حتى ركض برجله قال ابو الزناد قال ابو سلمة بن عبد الرحمن

معنى
مهيم ما الخبر

انها قالت اللهم ان يمت يقل هي قتلته قال فارسل قال ثم قام اليها فقالت مثل ما قالت
وانتقل ما انتقل وقالت مثل ما قالت فارسل فعل ذلك ثلاث مرات فقال في الثالثة او في
الرابعة ما ارسلتم الي الا شيطانا ارجعوها الى ابرهيم واعطوها هاجر فرجعت اليه وهو قائم
فانظر كيف عصمها الله تعالى من هذا الجابر ببركة خليله ابرهيم عليه السلام ودعائه عقيب الصلاة وبصلاة
ابرهيم ولهذا قال الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة **وقد ذهب** بعض العلماء الى نبوة ثلاث
نسوة سارة وام موسى ومريم عليهن السلام والذي عليه الجمهور انهن صديقات رضي الله عنهن
ورأيت في بعض الاثار ان الله تعالى كشف الحجاب فيما بين ابرهيم عليه السلام وبين سارة فلم
يزل يراها منذ خرجت من عنده الى ان عادت اليه وكان يشاهدها وهي عند الملك وكيف
عصمها الله تعالى منه ليكون ذلك اطيب لقلبه واقر لعينه فانه كان يحبها حبا شديدا
لدينها وقرابتها منه وحسنها الباهر وقد قيل انه لم تكن امراة بعد حواء الى زمانها احسن منها
رضي الله عنها **وذكر** بعض اهل التاريخ ان هذا الملك كان فرعون مصر وكان اخا الضحاك
الملك المشهور بالظلم وكان عاملا لاخيه على مصر ويقال كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد
ابن عوج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح **وذكر** ابن هشام في التيجان ان الذي ارادها
عمرو بن امرئ القيس بن مايلون بن سبأ وكان على مصر نقله السهيلي والله اعلم ثم ان الخليل
عليه السلام رجع من بلاد مصر الى ارض التيمن وهي ارض بيت المقدس التي كان فيها ومعه انعام
وعبيد ومال جزيل وصحبتهم هاجر القبطية المصرية وكان اليبس [illegible] الى القحط والغلا
الشديد **ثم ان لوطا** عليه السلام نزح بماله من الاموال بامر الخليل له من ذلك الى ارض

الغور المعروف بزغر فنزل بمدينة سدوم وهي ام تلك البلاد في ذلك الزمان وكان
اهلها اشرارا كفارا فجارا ثم ان طائفة من الجبارين تسلطوا على لوط عليه السلام
فاسروه واخذوا امواله واستاقوا انعامه فلما بلغ الخليل عليه السلام ذلك سار اليهم
في ثلثمائة وثمانية عشر رجلا فاستنقذ لوطا واسترجع امواله وقتل من اعداء الله ورسوله
خلقا كثيرا وهزمهم وسار في اثارهم حتى وصل الى شمالي دمشق وعسكر بظاهرها عند برزة
واظن مقام ابرهيم انما سمي بذلك لانه كان موضع موقف جيش الخليل عليه السلام ثم رجع
مؤيدا منصورا الى بلاده وتلقاه ملوك بيت المقدس معظمين له مكرمين خاضعين واستقر
ببلاده صلوات الله وسلامه عليه **ذكر مولد اسمعيل عليه السلام** [illegible] قال
اهل الكتاب ان ابرهيم عليه السلام سأل الله ذرية طيبة وان الله بشره بذلك
وانه لما كان ببلاد بيت المقدس اقام عشرين سنة قالت له سارة ان الله قد حرمني الولد
فادخل على امتي هذه لعل الله ان يرزقني منها ولدا فلما وهبتها له دخل بها ابرهيم عليه السلام
فحين دخل بها حملت منه فلما حملت ارتفعت نفسها وتعاظمت على سيدتها سارة فغارت منها
وشكت ذلك الى ابرهيم ثم ان هاجر وضعت اسمعيل وكان له من العمر ست وثمانون سنة
قبل مولد اسحق بثلاث عشرة سنة ولما ولد اسمعيل اوحى الله الى ابرهيم يبشره باسحق من سارة
فخر لله ساجدا ولما ولد اسمعيل اشتدت غيرة سارة منها وطلبت من الخليل ان يغيب وجهها
عنها فذهب بها وبولدها وسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم وكان اسمعيل رضيعا فلما
تركهما هناك وولى بظهره عنهما قامت اليه هاجر فتعلقت بثيابه وقالت يا ابرهيم اين تذهب

وتدعنا ههنا وليس معنا ما يكفينا فلم يجبها فلما الحت عليه وهو لا يجيبها قالت له الله
امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا والموضع الذي تركهما فيه عند البيت
عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما ووضع عندها
جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم ذهب الخليل عليه السلام وتركها وجعل لا يلتفت اليهما وانطلق
ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولا الدعوات
ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا
الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون وجعلت
ام اسمعيل ترضع ولدها وتشرب من ذلك الما حتى نفد ما في السقا فعطشت وعطش ابنها
وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا
اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فهبطت
من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود
حتى اذا جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم تر احدا
ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما
فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت
قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه
او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما في
سقايها وهي تفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام

اسمعيل

لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا فشربت وارضعت
ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه
وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول
فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم فنزلوا في اسفل
مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما
فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فاقبلوا فوجدوا ام اسمعيل على الما فقالوا اتاذنين لنا
ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم وكانت ام اسمعيل تحب الانس
فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا بها اهل ابيات منهم وشب الغلام
وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم يقال لها حوا بنت سعد
ذكره السهيلي ثم ماتت ام اسمعيل فجا ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل فلم يجد اسمعيل فسال
امراته فقالت خرج يبتغي لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت
اليه قال فاذا جا زوجك اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جا اسمعيل كانه
انس شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ من صفته كذا وكذا فسالنا عنك فاخبرته
وسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشي قالت نعم امرني ان اقرا
عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج
منهم اخرى ولبث عنهم ابرهيم ما شا الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته واسمها سامة
بنت مهلهل وقيل عاتكة فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا وقال الصيف ثم سالها عن عيشهم

وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله تعالى فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم
قالت الماء فقال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت
عتبة بابه فلما جاء اسمعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت
عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء
قالت نعم هو يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وامرني ان
امسكك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم
فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني
بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله عز وجل امرني ان
ابني ههنا بيتا واشار الى اكمة مرتفعة قال فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسمعيل
ياتي بالحجارة وابرهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني
واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعن ابن عباس
رضي الله عنهما وكانه تلقاه من الاسرائيليات وهو ان اسمعيل كان رضيعا اذ ذاك يعني
لما ذهب به ابوه الى مكة وعند اهل التورية ان ابراهيم امره الله تعالى ان يختن ولده اسمعيل
وكل من عنده من العبيد وغيرهم فختنهم وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره فيكون
عمر اسمعيل يومئذ ثلث عشرة سنة وهذا امتثال لامر الله تعالى في اهله فيدل على
انه فعله للوجوب ولهذا كان الصحيح من اقوال العلماء انه واجب على الرجال كما هو معروف
في موضعه وقد ثبت في الحديث الذي رواه البخاري ثنا قتيبة بن سعيد ثنا مغيرة بن عبد الرحمن

القرشي

القرشي عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختتن ابرهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم تابعه عبد الرحمن بن اسحق
عن ابي الزناد وتابعه عجلان عن ابي هريرة ورواه محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة
وهكذا رواه مسلم عن قتيبة وفي بعض الالفاظ اختتن ابرهيم بعدما اتت عليه ثمانون
سنة واختتن بالقدوم والقدوم هو الالة وقيل موضع وهذا اللفظ لا ينافي الزيادة على
الثمانين والله اعلم كما سياتي من الحديث عند ذكر وفاته عن ابي هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال اختتن ابرهيم وهو ابن عشرين ومائة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة ○

قصة الذبيح

قال الله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي
من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك
فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما اسلما وتله
للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو
البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الاخرين سلام على ابرهيم كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى
اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين يذكر تعالى عن خليله ابرهيم انه لما هاجر
من بلاد قومه سال ربه ان يهب له ولدا صالحا فبشره الله بغلام حليم وهو اسمعيل عليه السلام
لانه اول من ولد له على راس ست وثمانين من عمر الخليل وهذا ما لا خلاف فيه بين اهل الملل
انه اول ولده وبكره وقوله فلما بلغ معه السعي اي شب وصار يسعى في مصالحه

اُري ابرهيم في المنام انه يؤمر بذبح ولده هذا ورؤيا الانبيا وحي فاجاب بامر ربه وامتثله
وسارع الى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون اطيب لقلبه واهون عليه من ان ياخذه
قسرا ويذبحه قهرا قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى فبادر الغلام
الحليم سر والده الخليل ابرهيم فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شا الله من الصابرين وهذا الجوا
في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى فلما اسلما وتله للجبين
اي استسلما لامر الله وعزما على ذلك والمعنى تله للجبين اي القاه على وجهه واراد ان
يذبحه من قفاه لئلا يشاهده في حال ذبحه وقيل بل اضجعه كما تضجع الذبائح وبقي طرف
جبينه لاصقا بالارض واسلما اي سمى ابرهيم وكبر وتشهد الولد للموت قال السدي
وغيره امرّ السكين على حلقه فلم تقطع شيا ويقال جعل بينها وبين حلقه صفيحة من نحاس
والله اعلم فعند ذلك نودي من الله عز وجل ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا اي قد حصل
المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك الى امر ربك وبذلك ولدك للقربان
كما سمحت ببدنك للنيران وكما مالك مبذول للضيفان ولهذا قال الله تعالى ان هذا
لهو البلا المبين اي الاختبار الظاهر البين وفديناه بذبح عظيم والمشهور عند الجمهور
انه كبش ابيض اعين اقرن راه مربوطا بسمرة في ثبير وكان قد رعى في الجنة اربعين خريفا
وقال سعيد بن جبير كان يرتع في الجنة حتى تشقق عنه ثبير وعن ابن عباس هبط عليه
من ثبير كبش اعين اقرن له ثغا فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن ادم فتقبل منه رواه
ابن ابي حاتم فذبحه بمنى وقيل بالمقام فاما ما روي عن ابن عباس انه كان وعلا وعن الحسن

انه كان تيسا من الاروى واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما ثم غالب ما هاهنا من الاثار
ماخوذ من الاسرائيليات وفي القران كفاية عما جرى من الامر العظيم وانه فدي بذبح عظيم
وقد ورد في الحديث انه كان قرنا الكبش قال سفيان لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق
البيت فاحترقا وهكذا روي عن ابن عباس ان راس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة
قد يبس وهذا وحده دليل على ان الذبيح اسمعيل لانه كان هو المقيم بمكة واسحق
لا يعلم انه قدمها في حال الصغر والله اعلم وهذا هو الظاهر من القران بل كانه نص على
ان الذبيح هو اسمعيل لانه ذكر قصة الذبيح ثم قال بعده وبشرناه باسحق نبيا من الصا
وقد قال بانه اسحق طائفة كثيرة من السلف وغيرهم وانما اخذوه والله اعلم من
كعب الاحبار من صحف اهل الكتاب وليس في ذلك حديث صحيح عن المعصوم نترك
لاجله ظاهر الكتاب العزيز ولا يفهم هذا من القران بل المفهوم بل المنطوق
بل النص عند التامل على انه اسمعيل وما احسن ما استدل محمد بن كعب القرظي
على انه اسمعيل وليس باسحق من قوله فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق يعقوب
قال فكيف تقع البشارة باسحق وانه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق
وهو صغير قبل ان يولد له هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة
والله اعلم وقد روي غير واحد عن ابن عباس ان الذبيح اسمعيل وقال ابن جرير
حدثني يونس انا ابن وهب اخبرني عمرو بن قيس عن عطا بن ابي رباح عن ابن عباس
انه قال المفدي اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود قال ابن ابي

وروي عن علي وابن عمر وابي هريرة وابي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب وابي جعفر محمد بن علي وابي صالح انهم قالوا الذبيح هو اسمعيل عليه السلام وحكاه البغوي ايضا عن الربيع بن انس والكلبي وابي عمرو بن العلاء قال ابن كثير رحمه الله تعالى وروي عن معاوية رضي الله عنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم واليه ذهب عمر بن عبد العزيز ومحمد بن اسحق بن يسار وكان الحسن البصري يقول لا اشك في هذا وقال محمد بن اسحق عن بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمي عن محمد بن كعب انه حدثهم انه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر ان هذا الشي ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى رجل كان عنده بالشام وكان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك قال محمد بن كعب وانا عند عمر بن عبد العزيز اي ابني ابراهيم امر بذبحه فقال اسمعيل والله يا امير المؤمنين وان يهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون اباكم الذي امر به والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما امر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم ذكر مولد اسحق عليه السلام قال الله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقد كانت البشارة من الملائكة لابراهيم وسارة لما عبروا عليهم مجتازين ذاهبين الى مداين قوم لوط ليدمروا عليهم لكفرهم وفجورهم كما سياتي بيانه في موضعه ان شاء الله تعالى قال الله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم

واوجس

واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامراته قايمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد يذكر تعالى ان الملايكة قالوا وكانوا ثلثة جبريل وميكايل واسرافيل لما وردوا على الخليل حسبهم اولا اضيافا فعاملهم معاملة الضيوف شوى لهم عجلا سمينا من خيار بقره فلما قربه اليهم وعرض عليهم لم ير لهم همة الى الاكل البتة وذلك لان الملايكة ليس لهم حاجة الى الطعام فنكرهم ابرهيم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط اي لندمر عليهم فاستبشرت عند ذلك سارة غضبا منها عليهم وكانت قايمة على رؤس الاضياف كما جرت به عادة الناس من العرب وغيرهم فلما ضحكت استبشارا بذلك قال الله تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب اي بشرتها الملايكة بذلك فاقبلت امراته في صرة فصكت وجهها اي كما تفعل النسا عند التعجب وقالت يا ويلتى االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا اي كيف يلد مثلي وانا كبيرة وعقيم ايضا وهذا بعلي اي زوجي شيخا تعجبت من وجود ولد والحالة هذه ولهذا قالت ان هذا لشي عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد وكذلك تعجب ابرهيم عليه السلام قال ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين اكدوا الخبر بهذه البشارة وقرروه معه فبشروهما بغلام عليم وهو اسحق اخو اسمعيل غلام حليم مناسب لمقامه وصبره وهكذا وصفه ربه بصدق الوعد والصبر فدل على ان

١١٥

الذبيح هو اسماعيل وان اسحق لا يجوز ان يؤمر بذبحه بعد ان وقعت البشارة بوجوده وجود
ولده يعقوب **وعند اهل الكتاب** انه احضر مع العجل الحنيذ وهو المشوي رغيف
من ملة فيه ثلثه اكيال بسمن ولبن وعندهم انهم اكلوا وهذا غلط محض **وعندهم** ان الله
تعالى قال لابرهيم اما سارة امراتك فلا يدعى اسمها سارا ولكن اسمها سارة وابارك عليها
واعطيك منها ابنا واباركه ويكون للشعوب وملوك الشعوب منه فخر ابرهيم ساجدا
وضحك قائلا في نفسه ابعد مائة سنة يولد لي غلام او سارة تلد ذلك غلاما وقد دعوا اسمه اسحق
الى مثل هذا الحين من قابل واثبته ميثاقي الى الدهر ولخلقه من بعده وقد استجبت لك
في اسماعيل وباركت عليه وكثرته ونميته جدا كثيرا ويولد له اثنا عشر عظيما واجعله رئيسا
لشعب عظيم **فقوله تعالى** فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب دليل على انها ستمتع بوجود
ولده اسحق ثم من بعده بولد ولده يعقوب اي يولد في حياتهما لتقر اعينهما به كما قرت بوالده ولو لم
يرد هذا لم يكن لذكر يعقوب وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل اسحق فائدة ولما
عين بالذكر دل على انهما يتمتعان به وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
وهذا ظاهر قوي ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابرهيم
ابن يزيد التيمي عن ابيه عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي المسجد وضع اول قال المسجد الحرام
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة قلت ثم اي قال حيث
ادركتك الصلاة فصل فكلها مسجد ○ وعند اهل الكتاب ان يعقوب عليه السلام هو الذي
اسس المسجد الاقصى وهو مسجد ايليا وهو مسجد بيت المقدس شرفه الله وهذا متجه وتشهد له

ما ذكرناه من الحديث فعلى هذا يكون بناء يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام بعد بناء الخليل
وابنه اسمعيل المسجد الحرام باربعين سنة سواء وقد كان بناؤهما ذلك بعد وجود اسحق
لان ابرهيم عليه السلام لما دعا قال في دعائه كما قال تعالى الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء **وما في** الحديث من ان سليمان بن داود
عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله خلالا ثلثا كما ذكرنا عند قوله رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وكما سنورده في قصته فالمراد من ذلك انه
جدد بناءه لما تقدم من ان بينهما اربعون سنة ولم يقل احد ان بين سليمان وابرهيم اربعين
سنة سوى ابن حبان في تقاسيمه وانواعه وهذا القول لم يوافق عليه ولا سبق اليه
ذكر بناء البيت العتيق قال تعالى واذ بوأنا لابرهيم مكان البيت ان لا تشرك
بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس بالحج يأتوك
رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق والآيات في معنى كثيرة جدا يذكر تعالى
عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد الانبياء ابرهيم عليه افضل الصلوة والسلام
انه بنى البيت العتيق الذي هو اول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه وبوأه الله
مكانه اي ارشده اليه ودله عليه **وقد روينا** عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب وغيره انه
ارشد اليه بوحي من الله عز وجل وقدمنا في صفة خلق السموات ان الكعبة تحت البيت المعمور
بحيث انه لو سقط لسقط عليها وكذلك معابد السموات السبع **كما قال بعض السلف**
ان في كل سماء بيتا يعبد الله تعالى فيه اهل كل سماء وهو فيها كالكعبة لاهل الارض فامر

ونحن على عظيم جزائه العظيم
للمصطفى رب الرحمة
وعلى آله وصحبه
نفير مجاهد الانبياء عليهم السلام

ابرهيم عليه السلام ان يبني له بيتا يكون لاهل الارض كتلك المعابد لملائكة السموات
وارشده الى مكان البيت المعين لذلك منذ خلق السموات والارض كما ثبت في الصحيح ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة ولم يثبت ان
البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك في هذا بقوله مكان البيت فليس بناهض
ولا ظاهر لان المراد مكانه المقدر في علم الله المقدر في قدرته المعظم عند الانبياء موضعه
من لدن ادم الى زمان ابرهيم وقد ذكر ان ادم نصب عليه قبة وان الملائكة قالوا له قد
طفنا قبلك بهذا البيت وان السفينة طافت به اربعين يوما او نحو ذلك وكل هذه اخبار
عن بني اسرائيل وقد قررنا انها لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها فاما ان رده الحق فهو مردود
وقال الله تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين اي اول
بيت وضع لعموم الناس للبركة والهدى البيت الذي ببكة قيل مكة وقيل محلة الكعبة فيه
ايات بينات اي على انه بناه الخليل والد الانبياء وامام الحنفاء الذين يقتدون به ويتمسكون بسنته
ولهذا قال مقام ابرهيم اي الحجر الذي كان يقف عليه قائما لما ارتفع البناء عن قامته وضع له
ولده هذا الحجر المشهور ليرتفع عليه لما تعالى البناء وعظم الفنا كما ورد في حديث ابن عباس
الطويل وقد كان هذا الحجر ملصقا بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان الى
ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخره عن البيت قليلا لئلا يشغل المصلون عنده الطائفين
بالبيت واتبع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الاية وقد وافقه ربه عز وجل في اشياء منها
في قوله لرسوله صلى الله عليه وسلم لو اتخذنا من مقام ابرهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من

مقام ابرهيم مصلى وقد كانت اثار قدم الخليل باقية في الصخرة الى اول الاسلام ۞
والمقصود ان الخليل بنى اشرف المساجد في افضل البقاع في واد غير ذي زرع ودعا لاهله
بالبركة وان يرزقوا من الثمرات مع قلة المياه وقلة الاشجار والزروع والثمار وان يجعله
حرما محرما وامنا محتما فاستجاب الله وله الحمد له مسالته ولبى دعوته واعطاه طلبته
فقال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقال تعالى اولم نمكن
لهم حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ۞ وسال الله تعالى ان يبعث
فيهم رسولا منهم اي من جنسهم وعلى لغتهم الفصيحة البليغة وقد استجاب الله له
وبعث فيهم رسولا واي رسول ختم به انبياءه ورسله واكمل له من الدين ما لم يؤت
احدا قبله وعمم بدعوته اهل الارض على اختلاف اجناسهم ولغاتهم وصفاتهم في
سائر الاقطار والامصار والاعصار الى يوم القيمة وكان هذا من خصايصه من
بين سائر الانبياء لشرفه في نفسه وكمال ما ارسل به وشرف بقعته وفصاحة لغته
وكمال شفقته على امته ولطفه ورحمته وكريم محتده وعظيم مولده وطيب مصدره
ومورده ولهذا استحق ابرهيم الخليل عليه السلام اذ كان باني كعبة اهل الارض
ان يكون منصبه ومحله وموضعه في منازل السموات ورفيع الدرجات عند البيت المعمور
الذي هو كعبة اهل السماء السابعة المبارك المبرور الذي يدخله كل يوم سبعون الفا
من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة قال السدي
لما امر الله ابرهيم واسماعيل ببناء البيت لم يدريا اين مكانه حتى بعث الله ريحا يقال لها

الحجيج لها فجاءا ودراس في صورة حية فكشفت لهما ما حول الكعبة عن اساس البيت
الاول فحفراه بالمعاول ووضع الاساس فلما بلغ القواعد بنى الركن قال ابرهيم
لولده اسمعيل يا بني اطلب لي حجرا حسنا اضعه ههنا قال يا ابه اني كسلان لغب قال
علي ذلك فانطلق وجاءه جبريل بالحجر الاسود من الهند وكان ابيض ياقوته بيضاء مثل الثغامة
وكان آدم قد هبط به من الجنة فاسود من خطايا الناس فجاء اسمعيل بحجر فوجده
عند الركن فقال يا ابه من جاءك بهذا قال جاء به من هو انشط منك فبنيا وهما يقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وذكر ابن ابي حاتم انه بناه من خمسة اجبل وان
ذا القرنين وكان يملك الارض اذ ذاك مر بهما وهما يبنيانه فقال من امركما
بهذا فقال ابرهيم الله امرنا به فقال وما يدريني بما تقول فشهدت خمسة اكبش
انه امره بذلك فآمن وصدق وذكر الازرقي انه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت
وتمكث على بناء الخليل مدة طويلة ثم بعد ذلك بنتها قريش فتقصرت بها عن قواعد
ابرهيم من جهة الشمال مما يلي الشام على ما هي عليه اليوم وفي الصحيحين من حديث مالك
عن ابن شهاب عن سالم ان عبد الله بن محمد بن ابي بكر اخبر ابن عمر عن عائشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تري ان قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا
عن قواعد ابرهيم فقلت يا رسول الله الا تردها على قواعد ابرهيم فقال لولا ان قومك
حديث عهد بجاهلية او قال بكفر لانفقت كنز الكعبة ولجعلت بابها بالارض
ولادخلت فيها الحجر وقد بناه ابن الزبير رحمه الله تعالى في ايامه على ما اشار اليه رسول
صلى الله عليه وسلم

حسب ما اخبرته خالته عائشة ام المؤمنين عنه فلما قتله الحجاج في سنة ثلث وسبعين
كتب الى عبد الملك بن مروان الخليفة اذ ذاك فاعتقدوا ان ابن الزبير انما صنع ذلك
من تلقاء نفسه فامر برده الى ما كان عليه فنقضوا الحائط الشامي واخرجوا منه الحجر ثم
سدوا الحائط وردموا الاحجار في جوف الكعبة فارتفع بابها الشرقي وسدوا الغربي
بالكلية كما هو اليوم ثم لما بلغهم ان ابن الزبير انما فعل هذا لما اخبرته عائشة ام المؤمنين
ندموا على ما فعلوا وتأسفوا ان لو كانوا تركوه ثم لما كان في زمن المهدي بن المنصور
استشار الامام مالك بن انس في رده على الصفة التي بناه ابن الزبير فقال له اخشى ان تتخذه
الملوك لعبة يعني كلما جاء ملك بناه على الصفة التي يريد فاستقر الامر على ما هي عليه اليوم
ومكة زادها الله شرفا في بطن واد بين جبال واودية وجبالها العظام ابو قبيس
والمحصب وثبير وهي كانت دار آدم عليه السلام ولم تزل سائر الامم تعظمها حتى جاء الطوفان
ثم امر الله عز وجل ابرهيم عليه السلام ببنائها كما قدمناه وآخر من زاد فيها محمد المهدي سنة ستين
ومائة وطول المسجد اربعمائة ذراع وعرضه ثلثمائة ذراع وصفته فيه من الرخام
اربعمائة اربعة وثمانون رخامة وله ثلثة وعشرون بابا وبين الصفا والمروة اربعمائة اربعة
وخمسون ذراعا وارتفاع البيت الشريف ثمانية وعشرون ذراعا وهو القبلة لجميع البلدان
قال الله عز وجل ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره فقبلة اهل الكوفة وبغداد وما كان معها على خط واحد الركن
الذي بين الباب والحجر وقبلة اهل البصرة وما جاورها من البلدان باب الكعبة

وقد ذكر في بيان الكعبة
للحنفية رضي الله عنهم

وقبلة اهل اليمن الركن اليماني وقبلة اهل السند والهند والصين الحجر الاسود
وقبلة اهل الغرب كذلك الا انه انحرف قليلا الى الركن الشامي ولما
ذكرنا بيت المقدس وهي مدينة ايليا وذكرنا البيت العتيق بمكة وجب ان نذكر
مدينة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهي التي هاجر اليها وبها دفن صلى الله عليه وسلم
واسمها طيبة ويثرب وانما سميت طيبة لان من توجه اليها يجد في طيبة من ساير
جهاتها على مسافة اميال كثيرة وهي في مستوي من الارض عذبة تربة جليلة ولها
جبلان جبل احد والاخر عير واهلها من المهاجرين والانصار ومن العرب وقبائل العرب رحمهم الله
ولها اربعة اودية ياتي ماؤها في وقت الامطار واعظمها وادي العقيق واكثر
اموالها النخيل وفيه معايش اهلها والبحر العظيم منها على مسافة ثلاثة ايام وملجة مدينة
الجار وفيه ترسوا المراكب بحر القلزم وبها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنبره وقبره الشريف والمسجد كبير سري البنيان طوله ثلاثمائة ذراع عرضه مايتي
ذراع عدد اساطينه ثلاثماية اسطوانة وله اربعة وعشرون بابا واما القبر الشريف
تولى فيه معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه ست مراقي وجعل له جانبين وبين المنبر
والقبر الشريف اربعة وعشرون ذراعا وهي الروضة التي من رياض الجنة والقبر الشريف مبني
عليها صلى الله على ساكنه وسلم ذكر نبي الله ورسوله الكريم على عبد الله وخليله ابرهيم
قال الله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن
ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين حاشاه من ان يامره به ربه من التكاليف العظيمة جعله للناس

اماما

الشريف

تعالى

يتوارثون ويأتون بعده وسال ان تكون هذه الامامة متصلة بسببه وباقية في نسبه
وخالدة في عقبه فاجيب الى ما سال ورام وسلمت اليه الامامة بزمام واستثنى من ذلك
الظالمون واختص بها من ذريته العلماء العاملون كما قال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل
من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن اباءهم وذرياتهم
واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم فكل كتاب انزل من السما على نبي من
الانبيا بعد ابرهيم الخليل من ذريته وشيعته ومن طلعة شجرته وذلك انه ولد له لصلبه
ولدان ذكران عظيمان اسمعيل من هاجر ثم اسحق من سارة وولد لهذا يعقوب وهو اسرائيل
الذي تنتسب اليه اسباطهم فكانت فيهم النبوة وكثروا وانتشروا حتى لا يعلم عددهم
الا الذي بعثهم واختصهم بالرسالة والنبوة حتى ختموا بعيسى بن مريم ومن نسل اسمعيل
عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبايلها كما سنبينه فيما بعد ان شا الله تعالى ولم يوجد
من سلالته من الانبيا سوى خاتمهم على الاطلاق وسيدهم وفخر بني آدم في الدنيا والاخرة
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي المكي ثم المدني صلوات الله وسلامه عليه فلم يوجد
من هذا الفرع الشريف والغصن المنيف سوى هذه الجوهرة الباهرة والدرة الزاهرة
وواسطة العقد الفاخر وهو السيد الذي تفتخر به اهل الجمع وتغبطه الاولون والاخرون

وقد ثبت في الصحيح انه قال سأقوم مقاما يرغب الي الخلق كلهم حتى ابرهيم فمدح ابرهيم
اباه منقبة عظيمة في هذا السياق ودل كلامه على انه افضل الخلائق بعده عند
الخلائق في عرصة القيمة الذي يوم يكشف عن ساق ونزهه الله تعالى عن ان يكون
يهوديا ولا نصرانيا وبين انه انما كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين فقال تعالى
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين
ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين ٥ ينكر
تعالى على اهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين كون الخليل على ملتهم
وطريقتهم وبراه الله تعالى منهم وبين كثرة جهلهم وقلة عقلهم في قوله وما انزلت التورية
والانجيل الا من بعده اي فكيف تكونون على دينه وانتم انما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة
ولهذا قال افلا تعقلون وبين انه كان على دين الله الحنيف وهو القصد الى الاخلاص
والانحراف عمدا عن الباطل الى الحق الذي هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية
ودين الخليل هو دين الاسلام فان الله شرع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم الدين الحنيف الذي شرعه
للخليل وكمله الله تعالى له واعطاه ما لم يعط نبيا ولا رسولا قبله كما قال تعالى قل انني
هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين فانه كان
على الدين القويم والصراط المستقيم فقال تعالى في حقه وابرهيم الذي وفى ولهذا اتخذه الله
خليلا والخلة هي غاية المحبة كما قال بعضهم ٥

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

وكذا نالها بهذه المنزلة خاتم الانبيا وسيد الاصفيا محمد صلوات الله وسلامه عليه
ثبت عنه في الصحيح وغيره من حديث جندب البجلي وعبد الله بن عمرو وابن مسعود عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايها الناس ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا
وقال ايضا في اخر خطبة خطبها ايها الناس لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا
لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله اخرجاه من حديث ابي سعيد وقال
ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا خلد بن محمود السلمي ثنا الوليد عن اسحق بن يسار قال لما اتخذ الله ابرهيم
خليلا القى في قلبه الوجل حتى كان خفقان قلبه ليسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير
في الهوا وقال عبيد بن عمير كان ابرهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج ذات يوم يلتمس انسانا
يضيفه فلم يجد احدا يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها رجلا قائما فقال يا عبد الله ما ادخلك
داري بغير اذني قال دخلتها باذن ربها قال ومن انت قال انا ملك الموت ارسلني ربي الى عبد
من عباده ابشره بان الله قد اتخذه خليلا قال من هو فوالله ان اخبرتني به ثم كان باقصى البلاد
لاتينه ثم لا ابرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد انت قال انا قال نعم قال فبم اتخذني
ربي خليلا قال بانك تعطي الناس ولا تسألهم رواه ابن ابي حاتم وقد ذكره الله تعالى
في القران كثيرا في غير ما موضع بالثناء عليه والمدح له فيقال انه مذكور في خمسة وثلاثين
موضعا منها خمسة عشر في البقرة وحدها وهو احد اولي العزم الخمسة المنصوص على اسمائهم تخصيصا
من بين سائر الانبيا في ايتي الاحزاب والشورى وهو اشرف اولي العزم بعد محمد صلى الله عليه وسلم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس حفاة عراة غرلا فاول من يكسى ابرهيم عليه السلام وقد كان

ابرهيم عليه السلام افضل الرسل واولوا العزم بعد محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين
امر المصلي ان يقول في تشهده ما ثبت في الصحيحين من حديث كعب بن عجرة وغيره قال قلنا
يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابرهيم وآل ابرهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابرهيم وآل ابرهيم انك حميد مجيد وقال تعالى وابرهيم الذي وفى
قالوا وفى جميع ما امر به وقام بجميع خصال الايمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الامر
الجليل عن القيام بمصلحة الامر القليل وعن ابن عباس واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن
قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الراس وخمس في الجسد فاما التي في الراس قص الشارب
والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس والتي في الجسد تقليم الاظفار وحلق
العانة والختان ونتف الابط وغسل اثر الغائط والبول بالماء والمقصود انه عليه السلام
كان لا يشغله القيام بالاخلاص لله عز وجل وخشوع العبادة العظيمة عن مراعاة مصلحة
بدنه واعطاء كل عضو ما يستحقه من الاخلاص والتحسين وازالة ما له شين من زيادة
شعر او ظفر او وجود قلح او وسخ فهذا من جملة قوله تعالى في حقه من المدح العظيم وابرهيم
الذي وفى **ذكر صفة ابرهيم عليه السلام** قال احمد ثنا اسود بن عامر ثنا اسرائيل
عن عثمان يعني ابن المغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت عيسى بن مريم وموسى وابرهيم فاما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر واما موسى فادم
جسيم قالوا له فابرهيم قال انظروا الى صاحبكم يعني نفسه **ذكر وفاة ابرهيم
عليه السلام**

ذكر ابن جرير في تاريخه ان مولده كان في زمن النمرود بن كنعان جادوناه
في اول القصة وهو فيما قيل الضحاك الملك المشهور الذي يقال انه ملك الف سنة
وكان في غاية الغشم والظلم وذكر بعضهم انه من بني راسب الذين بعث اليهم
نوح عليه السلام وانه كان اذ ذاك ملك الدنيا وكان مولده بالسوس وقيل ببابل
وقيل بالسواد من ناحية كوثى وتقدم عن ابن عباس انه ولد ببرزة شمالي دمشق فلما اهلك
الله النمرود على يديه وهاجر الى حران ثم الى ارض الشام واقام ببلاد ايليا كما ذكرنا
وولد له اسمعيل واسحق ومات سارة قبله بقرية حبرون وكان لها من العمر مائة وسبع وعشرون
سنة فيما ذكر اهل الكتاب فحزن عليها ابرهيم عليه السلام واشترى من رجل من بني حث
يقال له عفرون بن صخر مغارة باربعمائة مثقال فضة ودفن فيها سارة هنالك قالوا
ثم خطب ابرهيم على ابنه اسحق فزوجه رفقا بنت بتوئيل بن ناحور بن تارح وبعث مولاه
فحملها من بلادها ومعها جواريها على الابل ثم تزوج ابرهيم قنطورا فولدت له
زمران ويقشان ومادان ومدين وشياق وشوح **وقد ذكر ابن عساكر** عن غير
واحد من السلف عن اخبار اهل الكتاب في صفة مجي ملك الموت الى ابرهيم عليه السلام
اخبارا كثيرة الله اعلم بصحتها وقد قيل انه مات فجاة وكذا داود وسليمان والذي
ذكره اهل الكتاب وغيرهم خلاف ذلك **قالوا ثم مرض** ابرهيم عليه السلام ومات عن
مائة وخمس وسبعين وقيل وتسعين سنة ودفن في المغارة المذكورة التي بحبرون
عند امراته سارة التي في مزرعة عفرون الحيثي وتولى دفنه اسمعيل واسحق صلوات

وعن أبي هريرة قال كان إبراهيم أول من تسرول وأول من فرق وأول من اختتن
بالقدوم وهو ابن عشرين ومائة وعاش بعد ذلك ثمانين وأول من أضاف الضيف وأول من قص
الظفر والشارب وحلق العانة وأول من شاب فقال يا رب ما هذا فقال وقار فقال
يا رب زدني وقارا **فقبره** وقبر ولده إسحق وولد ولده يعقوب في المربعة التي بناها سليمان
ابن داود عليهما السلام ببلد حبرون وهو البلد المعروف بالخليل اليوم وهذا متلقى بالتواتر
أمة عن أمة وجيل عن جيل من زمن بني إسرائيل وإلى زماننا هذا أن قبره في المربعة تحقيقا
فأما تعيينه منها فليس فيه خبر صحيح عن معصوم فينبغي أن تراعى تلك المحلة وأن تحترم
احترام مثلها وأن تبجل ولا تداس في أرجائها خشية أن يكون قبر الخليل أو أحد من أولاده
الأنبياء عليهم السلام تحتها **ذكر أولاد الخليل عليه السلام** أول من ولد له إسمعيل من
هاجر القبطية المصرية ثم ولد له إسحق من سارة بنت عمه ثم تزوج بعدها قنطورا بنت يقطن
الكنعانية فولدت له ستة مدين وزمران وسرج ويقشان ونشق ولم يسم السادس
ثم تزوج بعدها حجون بنت أمين فولدت له خمسة كيسان وسورج وأميم ولوطان
ونافس هكذا ذكره أبو القسم السهيلي في كتاب التعريف والإعلام **ومما**
وقع في حياة إبراهيم الخليل من الأمور العظيمة **قصة لوط عليه السلام** وما
حل بهم من النقمة العميمة وذلك أن لوط بن هاران بن تارح وهو آزر كما تقدم
ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل فإبراهيم وهاران وناحور إخوة كما قدمنا ويقال إن هاران
هذا هو الذي بنى حران وهذا ضعيف لمخالفته ما بأيدي أهل الكتاب والله أعلم **وكان**

لوط قد نزح عن محلة عمه الخليل بأمره له فنزل بمدينة سدوم من غور زغر وكانت أم
تلك البلاد ولها أراض ومعتملات وقرى مضافة إليها ولها أهل من أفجر الناس وأكفرهم
يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ولا يتناهون عن منكر فعلوه ابتدعوا فاحشة لم
يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهي إتيان الذكران من العالمين وترك ما خلق الله من النسوان
الحسان فدعاهم لوط إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطي هذه المحرمات والفواحش
والمنكرات فتمادوا على ضلالهم وطغيانهم واستمروا على فجورهم وكفرانهم فأحل الله بهم من
البأس الذي لا يرد ما لم يكن في حسبانهم وجعلهم مثلة في العالمين ولهذا ذكر الله قصتهم
في غير ما موضع من كتابه المبين وخلاصة الأمر **أن لوطا عليه السلام** لما دعاهم إلى عبادة
الله تعالى وحده لا شريك له وترك تعاطي ما كانوا يفعلون من الفواحش فلم يستجيبوا له ولم يؤمنوا به
حتى ولا رجل واحد منهم ولم يتركوا ما نهوا عنه بل استمروا على حالهم وعتوا في ضلالهم وهموا
بإخراج رسولهم من بين ظهرانيهم وما كان جوابهم إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم
أناس يتطهرون فطهره الله وأهله إلا امرأته وأخرجهم منها أحسن إخراج وتركهم في محلتهم
خالدين لكن بعدما صيرها عليهم بحرة منتنة ذات أمواج لكنها عليهم في الحقيقة نار تأجج وحر
يتوهج وماؤها ملح أجاج وما كان هذا جوابهم إلا لأنهم على ارتكاب الطامة العظمى والفاحشة
الكبرى التي لم يسبقهم إليها أحد من أهل الدنيا ولهذا صاروا مثلة فيها وعبرة لمن عليها وكانوا
مع هذا يقطعون الطريق ويأتون في ناديهم المنكر من الأقوال والأفعال على اختلاف
أصنافه حتى قيل إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم ولا يستحيون ويقع منهم الفعلة

في المحافل ولا يستنكفون وكانوا في ذلك وغيره كالانعام بل هم اضل سبيلا ولم يقلعوا عما كانوا عليه
فاخذهم الله اخذا وبيلا وقالوا له فيما قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فعند ذلك دعا
عليهم نبيهم الكريم فغار الله لغيرته وغضب لغضبه واستجاب لدعوته وبعث رسله الكرام والملائكة
العظام فمروا على الخليل ابرهيم وبشروه بالغلام العليم واخبروه بما جاؤوا له من الامر الجسيم والخطب
العظيم وكان يرجوا ان ينيبوا او يسلموا ويقلعوا او يرجعوا فلهذا قال تعالى ان ابرهيم لحليم اواه
منيب يا ابرهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم اتيهم عذاب غير مردود اي اعرض
عن هذا وتكلم في غيره فانه قد حتم امرهم ووجب عذابهم وتدميرهم ولما فصلت الملائكة
من عند ابرهيم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل اقبلوا حتى اتوا ارض سدوم في صور شباب
حسان اختبارا من الله تعالى لقوم لوط واقامة للحجة عليهم فاستضافوا لوطا عليه السلام
وذلك عند غروب الشمس وكانوا قد اشترطوا عليه ان لا يضيف احدا ولكن راى من لا يمكن
المحيد عنه وذكرنا انهم وردوا عليه وهو في ارض له يعمل فيها فتضيفوه فاستحيا منهم
وانطلق امامهم وجعل يعرض لهم في الكلام بخبث قومه لعلهم ينصرفوا عن هذه القرية وينزلوا
في غيرها فقال لهم فيما قال والله يا هؤلاء ما اعلم على وجه الارض اهل بلد اخبث من هؤلاء ثم مشي
قليلا ثم اعاد عليهم حتى كرره اربع مرات وكانوا الملائكة قد امروا ان لا يهلكوهم حتى
يشهد عليهم نبيهم بذلك وقال السدي اتت الملائكة الى قوم لوط نصف النهار
فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لاهلها وكانت له ابنتان اسم الكبرى
اريثا والصغرى رعوثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل فقالت لهم مكانكم لا تدخلوا

حتى

حتى اتيكم وخافت عليهم من قومها فاتت اباها فقالت يا ابتاه ارادك فتيان
على باب القرية ما رايت وجوه قوم قط هي احسن منهم لا ياخذهم قومك فيفضحوهم
وقد كان قومه نهوه ان يضيف رجلا فجاء بهم فلم يعلم بهم احد الا اهل بيته
فخرجت امراته فاخبرت قومها فقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم
قط فجاءه قومه يهرعون اليه قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم يرشدهم الى
غشيان نسائهم وهي بناته شرعا لان النبي للامة بمنزلة الوالد كما ورد في الحديث
وكما قال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم وفي قراءة بعض
السلف وهو اب لهم وهذا كقوله اتاتون الذكران من العالمين وتذرون ما
خلق لكم ربكم من ازواجكم وهذا هو الذي نص عليه مجاهد وسعيد بن جبير والربيع بن
انس وقتادة والسدي ومحمد بن اسحق وهو الصواب والقول الاخر خطا ماخوذ
من اهل الكتاب وقد تصحف عليهم كما اخطاوا في قولهم ان الملائكة كانوا اثنين
وانهم تعشوا عنده وقد خبط اهل الكتاب في هذه القصة تخبيطا عظيما
وقوله فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد نهي لهم عن
تعاطي ما لا يليق من الفاحشة وشهادة عليهم بانه ليس فيهم رجل فيه خير بل الجميع
سفهاء فجرة وكان هذا من جملة ما اراد الملائكة ان يسمعوه منه من قبل ان يسالوه
عنه فقال قومه عليهم لعنة الله لقد علمت يا لوط انه لا ارب لنا في نسائنا وانك
لتعلم مرادنا وغرضنا واجهروا بهذا الكلام القبيح رسولهم الكريم ولم يخافوا العذاب

لاهم

الصحابة

الآية

ولهذا قال عليه السلام لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد وود ان لو كان
له بهم قوة ليحل بهم ما يستحقونه من العذاب على هذا الخطاب وقال تعالى وجاء اهل المدينة
يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن
العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين فامرهم باتيان نسائهم وحذرهم الاستمرار
على طريقتهم وهم لا ينتهون ولقد قصدهم تحصيل هؤلاء الضيفان ولم يعلموا انهم صائرون اليه صبيحة
ليلتهم ولهذا قال تعالى مقسما بحياة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
ذكر المفسرون عنهم ان لوطا عليه السلام جعل يمانع قومه الدخول عليهم ويدافعهم والباب
مغلوق وهم يرومون فتحه وهو يعظهم من وراء الباب فلما ضاق الامر وقال لو ان لي
بكم قوة او آوي الى ركن شديد يعني لاحللت بكم النكال قالت الملائكة يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك وذكروا ان جبريل عليه السلام خرج عليهم فضرب وجوههم
خفقة بطرف جناحه فطمست اعينهم بالكلية فلم يبق لها محل ولا عين فرجعوا يتحسسون
مع الحيطان ويتوعدون رسول الرحمن ويقولون اذا كان الغد كان لنا وله شان قال
الله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فذوقوا عذابي ونذر ولقد صبحهم
بكرة عذاب مستقر وذلك ان الملائكة تقدمت الى لوط آمرين له بان يسري
هو واهله من آخر الليل ولا يلتفت منكم احد يعني عند سماع صوت العذاب اذا حل بقومه
وامروه ان يكون سيره في آخرهم كالسائق لهم وقوله الا امراتك على قراءة النصب
يحتمل ان يكون مستثنى من قوله فاسر باهلك كانه يقول الا امراتك فلا تسر

ويحتمل

ويحتمل ان يكون من قوله ولا يلتفت منكم احد الا امراتك اي فانها ستلتفت فيصيبها
ما اصابهم ويقوي هذا الاحتمال قراءة الرفع ولكن الاول اظهر في المعنى والله اعلم قال
السهيلي واسم امراة لوط والهة واسم امراة نوح والغة ٥ وقالوا له مبشرين بهلاك قومهم
ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط عليه السلام باهله وهم ابنتاه ولم
يتبعه منهم رجل واحد ويقال ان امراته خرجت معهم فالله اعلم فلما خلصوا من بلادهم
وطلعت عليهم الشمس فكان عند شروقها جاءهم من امر الله ما لا يرد ومن الباس الشديد
ما لا يمكن ان يصد وعند اهل الكتاب ان الملائكة امروه ان يصعد الى راس الجبل
الذي هناك فاستبعده وسالهم ان يذهب الى قرية قريبة منهم فقيل اذهب الى القرية
صغر التي يقول الناس غور زغر فلما اشرقت الشمس نزل بهم العذاب قال
الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسومة
عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ثم ان جبريل عليه السلام اقتلعهن بطرف جناحه
من قرارهن وكن سبع مدن بمن فيهن من الامم فيقال انهم كانوا اربعمائة الف
نسمة وقيل اربعة آلاف نسمة وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الاراضي
والاماكن والمعتملات فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة
اصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وامطر عليها حجارة من
سجيل اي طين شديد قوي منضود اي يتبع بعضها بعضا في نزولها عليهم من السماء مسومة
اي معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يهبط عليه فيدمغه كما قال

مسومة عند ربك للمسرفين فسقط على كل حجر على صاحبه من الحاضرين منهم في بلدهم والغائبين
عنها من النازحين والمسافرين والشاذين منها وقيل ان امراة لوط مكثت مع قومها
وقيل انها خرجت مع زوجها وبنتيها ولكنها لما سمعت الصيحة التفتت الى قومها وخالفت
امر ربها قديماً وحديثاً وقالت وا قوماه فسقط عليها حجر فدمغها والحقها بقومها اذ كانت
على دينهم وكانت عيناً لهم على من يكون عند لوط من الضيفان كما قال تعالى ضرب الله مثلاً
للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما
فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين اي خانتاهما في الدين فلم
يتبعاهما فيه وليس المراد انهما كانتا على فاحشة حاشا وكلا فان الله لا يقدر على
نبيه ان تبغي امراته كما قال ابن عباس وغيره من ائمة السلف والخلف ما بغت امراة نبي
قط ومن قال خلاف هذا فقد اخطأ خطأ كبيراً اه تقدم قوله وما هي من الظالمين ببعيد اي
وما هذه العقوبة ببعيدة ممن اشبههم في فعلهم ولهذا ذهب من ذهب من العلماء الى ان
اللائط يرجم سواء كان محصناً او لا نص عليه الشافعي واحمد بن حنبل وطائفة كثيرة من الائمة
واحتجوا بما رواه الامام احمد واهل السنن من حديث عمرو بن ابي عمرو عن عكرمة عن
ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل
والمفعول به وذهب ابو حنيفة الى ان اللائط يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم
لوط وجعل الله عز وجل مكان تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بما حولها من الاراضي
المتاخمة لفنائها ولانها سمكة ولا سرطان ولا طيور وانما هي ملح وفيها عبرة ومثلة وعظة

وآية

وآية على قدرة الله تعالى في انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله ان في ذلك لآيات للمتوسمين
اي من نظر بعين الفراسة كيف غير الله تلك البلاد واهلها وكيف جعلها بعد ما كانت
آهلة عامرة هالكة غامرة كما روى الترمذي مرفوعاً اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لآيات للمتوسمين اي تركناها لهم عبرة
وعظة لمن خاف عذاب الآخرة وانزجر عن محارم الله وترك معاصيه وخاف ان يشابه
قوم لوط ومن تشبه بقوم فهو منهم وان لم يكن من كل وجه فمن بعض الوجوه كما قال بعضهم

فان لم تكونوا قوم لوط بعينهم ... فما قوم لوط منكم ببعيد

فالعاقل اللبيب الخائف من ربه يمتثل ما امره به ربه عز وجل ويقبل ما ارشده اليه رسول
الله من اتيان ما خلق له من الزوجات الحلال والجواري من السراري ذوات الجمال
واياه ان يتبع كل شيطان مريد فيحق عليه الوعيد ويدخل في قوله تعالى وما هي من الظالمين
ببعيد **قصة مدين قوم شعيب عليه السلام** قال
الله تعالى في سورة الاعراف بعد قصة قوم لوط والى مدين اخاهم شعيباً قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم
ان كنتم مؤمنين والآيات في هذا المعنى كثيرة وكان اهل مدين قوماً عرباً
يسكنون مدينتهم مدين التي هي بالقرب من ارض معان من اطراف الشام مما يلي ناحية
الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط وكانوا بعدهم بمدة قريبة ومدين قبيلة عرفت بهم

وهم من بني مدين بن مديان بن ابرهيم الخليل وشعيب نبيهم وهو ابن ميكيل بن يشجن
ذكره ابن اسحق قال ويقال له بالسريانية يثرون وفي هذا نظر ويقال شعيب بن يشجر
ابن لاوي بن يعقوب ويقال شعيب بن نويب بن عيفا بن مدين بن ابرهيم ويقال شعيب
ابن صفور بن عيفا بن ثابت بن مدين بن ابرهيم وقيل غير ذلك في نسبه ويقال جدته او امه
بنت لوط وكان ممن آمن بابرهيم وهاجر معه ودخل معه دمشق وعن وهب ابن
منبه انه قال شعيب وبلعم ممن آمن بابرهيم يوم احترق بالنار وهاجرا معه الى الشام
فزوجهما بنتي لوط عليه السلام ذكره ابن قتيبة وفي هذا كله نظر ايضا والله اعلم
وكان اهل مدين كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة ويعبدون الايكة
وهي شجرة من الايك حولها غيضة ملتفة بها وكانوا من اسوأ الناس معاملة يبخسون
المكيال والميزان ويطففون فيهما ياخذون بالزايد ويدفعون بالناقص فبعث الله تعالى
فيهم رجلا منهم وهو رسول الله شعيب عليه السلام فدعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك
له ونهاهم عن تعاطي هذه الافاعيل القبيحة من بخس الناس اشياءهم واخافتهم لهم في سبلهم
وطرقهم فآمن به بعضهم وكفر اكثرهم حتى احل الله بهم الباس الشديد قال
تعالى والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم اي دلالة وحجة واضحة وبرهان قاطع على صدق ما جئتكم به وانه ارسلني وهو ما
اجرى الله على يديه من المعجزات التي لم تنقل الينا تفصيلا وان كان هذا اللفظ قد دل
عليها اجمالا فاوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا

في الارض بعد اصلاحها امرهم بالعدل ونهاهم عن الظلم وتوعدهم على خلاف
ذلك فقال ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين ولا تقعدوا بكل صراط اي طريق
توعدون اي توعدون الناس باخذ اموالهم من مكوس وغير ذلك وتخيفون
السبل قال السدي في تفسيره عن الصحابة ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
انهم كانوا ياخذون العشور من اموال المارة وقال اسحق بن بشر عن جويبر
عن الضحاك عن ابن عباس قال كانوا قوما بغاة طغاة يجلسون على الطريق يبخسون
الناس يعني يعشرونهم وكانوا اول من سن ذلك وتصدون عن سبيل الله من آمن به
وتبغونها عوجا فنهاهم عن قطع الطريق الحسية الدنيوية والمعنوية الدينية واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ذكرهم بنعمة الله عليهم
في تكثيرهم بعد القلة وحذرهم نقمة الله بهم ان خالفوا ما ارشدهم اليه ودلهم عليه
كما قال لهم في القصة الاخرى ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني
اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي لا تركبوا ما انتم عليه وتستمروا فيه فيمحق الله بركة
ما في ايديكم ويفقركم ويذهب ما به يغنيكم وهذا مضاف الى عذاب الآخرة ومن جمع له هذا وهذا
فقد فاز بالصفقة الخاسرة فنهاهم اولا عن تعاطي ما لا يليق من التطفيف وحذرهم سلب
نعمة الله عليه في دنياه وعذابه الاليم في آخرته وعنفهم اشد التعنيف ثم قال لهم
آمرا زاجرا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مومنين وما انا عليكم بحفيظ

انه ربحهم في الحلال وانتبارك فيه وان قل والحرام لا يجدي وان كثر وقوله اما
بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ وشرع شعيب عليه السلام يتلطف
لهم في العبارة ويدعوهم الى الحق وهم لا يرعون الى قوله ويشير اليهم بقوله ارايتم ان كنت
على بينة من ربي اي على امر بين من الله تعالى انه ارسلني اليكم ورزقني منه رزقا حسنا
يعني النبوة والرسالة وعمي عليكم معرفتها فاي حيلة لي بكم وهذا كما تقدم عن نوح
عليه السلام انه قال لقومه سوا وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه
اي لست امركم بالامر الا وانا اول فاعل له واذا نهيتكم عن الشي فانا اول تارك له
وهذه هي الصفة المحمودة العظيمة وضدها هي المردودة الذميمة كما تلبس بها علماء بني اسرائيل
في اخر زمانهم اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون
وذكرنا عندهم في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يوتى بالرجل فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه اي تخرج امعاه من بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه
فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك اما كنت تامر بالمعروف وتنهى عن
المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه ○ فهذه
صفة مخالفي الانبياء من الفجار والاشقياء فاما السادة من النجباء والاولياء من العلماء الذين
يخشون ربهم بالغيب فحالهم كما قال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد
الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب اي عليه التوكل في
سائر الامور وهذا مقام ترغيب ثم انتقل الى نوع من الترهيب فقال ويا قوم لا يجرمنكم

شقاقي

شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط
منكم ببعيد قيل معناه في الزمان اي ما بالعهد من قدم مما قد بلغكم ما احل الله بهم
على كفرهم وعتوهم وقيل معناه وما هم منكم ببعيد في المحلة والمكان وقيل في الصفات
والافعال الردية من قطع الطريق واخذ اموال الناس جهرة وخفية بانواع الحيل
والشبهات والجمع بين هذه الاقوال ممكن فانهم لم يكونوا ببعيدين منهم لا زمانا ولا
مكانا ولا صفات ثم مزج الترهيب بالترغيب فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه
ان ربي رحيم ودود اي اقلعوا عما انتم فيه وتوبوا الى ربكم الرحيم الودود فانه من
تاب اليه تاب عليه فانه رحيم بعباده ارحم بهم من الوالدة بولدها ودود وهو الحبيب
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنريك فينا ضعيفا ● روي عن ابن عباس
وسعيد بن جبير والثوري انهم قالوا كان ضرير البصر ● ولولا رهطك لرجمناك
وما انت علينا بعزيز وهذا من كفرهم البليغ وعنادهم الشنيع حيث قالوا ما نفقه
كثيرا مما تقول اي ما نفهمه ولا نعقله ولا نحبه ولا نريده وليس لنا همة اليه ولا اقبال عليه
وهو كما قال كفار قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون ولولا رهطك اي
قبيلتك وعشيرتك فينا لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
اي تخافون عشيرتي وقبيلتي وتراعوني بسببهم ولا تخافون جنبة الله ولا تراعوني لي
رسول الله فصار رهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا اي جعلتم جانب

الله وذا اطهر لكم ان ربي بما تعملون محيط اي هو عالم بما تعملونه محيط به كله وسيجزيكم
عليه يوم ترجعون اليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب
يخزيه اي في هذه الحيوة الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم اي في الاخرى ومن هو كاذب
اي مني ومنكم في اخباره وبشره وتحذيره وارتقبوا اني معكم رقيب ونظيره كقوله وان
كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين واراد واخراج شعيب ومن امن معه من بلادهم او يعودوا الى دينهم
فرد عليهم والله عز وجل لا يرد كيد رسله اذا استنصروه على الذين جحدوهم واستمروا على
عنادهم وطغيانهم وكفرهم ○ وقال الملا الذين كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا انكم
اذا لخاسرون قال الله تعالى فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين ذكر
في سورة الاعراف انهم اخذتهم رجفة اي رجفت بهم ارضهم وزلزلت زلزالا شديدا ازهقت
ارواحهم من اجسادها وصيرت حيوانات ارضهم كجمادها واصبحت جثتهم جاثمة
لا ارواح بها ولا حراك ولا حواس لها وقد جمع الله عز وجل عليهم انواعا من العقوبات
وصنوفا من المثلات سلط عليهم رجفة شديدة اسكنت الحركات وصيحة عظيمة اخمدت
الاصوات وظلة ارسل عليهم منها شرر النار من سائر ارجائها والجهات ذكر انه
اخذهم عذاب يوم الظلة وكان ذلك اجابة لما طلبوا وتقريبا الى ما اليه رغبوا فانهم
قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفا
من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون وهو السميع العليم فكذبوه

فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وقد زعم من المفسرين
كقتادة وغيره ان اصحاب الايكة امة اخرى غير اهل مدين فقوله ضعيف
وانما عمدتهم شيئان احدهما انه قال كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال
لهم شعيب ولم يقل اخوهم كما قال والى مدين اخاهم شعيبا ○ والثاني انه ذكر عذابهم
بيوم الظلة وذكر في اولئك الرجفة والصيحة والجواب عن الاول انه لم
يذكر الاخوة بعد قوله كذب اصحاب الايكة المرسلين لانه وصفهم بعبادة
الايكة فلم يناسب ذكر الاخوة ههنا ولما نسبهم الى القبيلة شاع ذكر
شعيب بانه اخوهم وهذا الفرق من النفائس اللطيفة العزيزة الشريفة ○ واما
احتجاجهم بيوم الظلة فان كان دليلا بمجرده على انهم امة اخرى فليكن
تعداد الانتقام بالرجفة والصيحة دليلا على انهما امتان اخريان ثم ذكر
الله عز وجل عن اهل الايكة من المذمة ما ذكره عن اهل مدين من التطفيف في
المكيال والميزان فدل على انهم امة واحدة اهلكوا بانواع من العذاب وذكر
في كل موضع ما يناسب ذلك الخطاب وقوله فاخذهم عذاب يوم الظلة انه
كان عذاب يوم عظيم ذكروا انهم اصابهم حر شديد واسكن الله هبوب
الهواء عنهم سبعة ايام فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ولا دخولهم في
الاسراب فهربوا من محلتهم الى البرية فاظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها ليستظلوا
بظلها فلما تكاملوا تحتها ارسلها الله عليهم بشرر ولهب ورجفت بهم الارض

وجاتهم صيحة من السما فازهقت الارواح فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين ○ ونجى الله شعيبا ومن معه من المومنين كما قال ولما جا
امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا
في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وقد حرص واجتهد
على هدايتهم بكل ما قدر عليه فلم ينفعهم ذلك لان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين
وعن ابن عباس ان شعيبا عليه السلام كان بعد يوسف عليه السلام وعن وهب بن منبه ان
شعيبا مات بمكة ومن معه من المومنين وقبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني
سهم وقيل كان ضريرا كما تقدم وقد روي في حديث مرفوع انه بكى من حب الله حتى
عمي فرد الله عليه بصره وقال يا شعيب اتبكي خوفا من النار او من شوقك الى
الجنة فقال بل محبتك فاذا نظرت اليك فلا ابالي ماذا تصنع بي فاوحى الله عز وجل
اليه هنيا لك يا شعيب لقائي فلذلك اخدمتك موسى بن عمران كليمي رواه الواحدي
عن ابي الفتح محمد بن علي الكوفي عن علي بن الحسن بن بندار عن ابي عبد الله محمد بن اسحق الرملي عن
هشام بن عمار عن اسمعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن شداد بن اوس عن النبي صلى الله
عليه وسلم بنحوه وهو غريب جدا وقد ضعفه الخطيب البغدادي ○

باب

ذكر ذرية ابرهيم عليه وعلى نبينا الصلوة والتسليم

قد قدمنا قصته
مع قومه وما كان من امرهم وما آل اليه امره عليه السلام وذكرنا ما وقع في زمانه
من قصة لوط واتبعنا ذلك بقصة مدين قوم شعيب لانها قرينتها في كتاب الله عز

في مواضع متعددة فذكر الله تعالى بعد قصة قوم لوط قصة مدين وهم اصحاب
الايكة على الصحيح كما قدمنا فذكرناها تبعا لها اقتدا بالقران العظيم ثم نشرع
الآن في الكلام على تفصيل ذرية ابرهيم عليه السلام لان الله جعل في ذريته النبوة
والكتاب فكل نبي ارسل بعده فمن ولده

ذكر اسمعيل عليه السلام

وقد
كان للخليل عليه السلام بنون كما ذكرنا ولكن اشهرهم الاخوان العظيمان النبيان
الرسولان اسنهما واجلهما الذي هو الذبيح على الصحيح اسمعيل بكر ابرهيم الخليل
من هاجر القبطية المصرية ومن قال ان الذبيح هو اسحق فانما تلقاه من نقلة بني
اسرائيل الذين بدلوا وحرفوا واولوا التورية والانجيل وخالفوا ما بايديهم في هذا من
التنزيل فان ابرهيم امر بذبح ولده البكر وفي رواية الوحيد وهو اسمعيل بنص
الدليل ففي نص كتابهم ان اسمعيل ولد لابرهيم من العمر ست وثمانون سنة
وانما ولد اسحق بعد مضي ماية سنة من عمر الخليل فاسمعيل هو البكر لا محالة وهو
الوحيد صورة ومعنى على كل حال اما في الصورة فلانه كان وحده ولده ازيد
من ثلث عشرة سنة واما انه وحيد في المعنى فانه هو الذي هاجر به ابوه ومعه
امه هاجر وكان صغيرا رضيعا فيما قيل فوضعهما في وهاد جبال فاران وهي
الجبال التي حول مكة نعم المقيل وتركهما هنالك ليس معهما من الزاد والما
الا القليل وذلك ثقة بالله وتوكلا عليه فصار هو الولد الوحيد في الصورة
ولكن اين من يتفطن لهذا السر وقد اثنى الله تعالى عليه ووصفه بالحلم والصبر

وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والامر بها لاهله ليقيهم العذاب مما كان يرجوا
اليوم من ثواب رب الارباب قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي
قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين فطاوع اباه الى ما اليه دعاه ووعد بان سيصبر فوفى بذلك وصبر
قال الله تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان
يامر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا وقال تعالى واذكر اسمعيل واليسع
وذا الكفل وكل من الاخيار وقال تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من
الصابرين والآيات في معنى ذلك كثيرة فذكره الله تعالى بكل صفة جميلة وجعله
نبيه ورسوله وذكر علما النسب وايام الناس انه اول من ركب الخيل وكانت قبل
ذلك وحوشا فانسها وركبها وقد قال سعيد بن يحيى الاموي في مغازيه حدثنا شيخ
من قريش عن عبد الملك بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتخذوا الخيل واعتبقوها فانها ميراث ابيكم اسمعيل وكانت هذه العراب وحشا فدعا
لها بدعوته التي كان اعطي فاجابته وانه اول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة
وكان قد تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا عندهم بمكة من جرهم والعماليق واهل
اليمن من الامم الماضين من العرب قبل الخليل قال الاموي حدثني علي بن
المغيرة ثنا ابو عبيدة ثنا مسمع بن مالك عن محمد بن علي بن الحسين عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اول من فتق لسانه بالعربية البينة اسمعيل وهو ابن اربع عشرة سنة فقال له

يونس صدقت يا ابا ثابت وهكذا ابو جري حدثني وقد زعموا انه لما شب تزوج
امراة من العماليق من جرهم وان اباه امره بفراقها ففارقها قال الاموي وهي عمارة بنت
سعد بن اسامة بن اكيل العماليقي ثم نكح غيرها فامره ان يستمر بها فاستمر بها وهي
السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وقيل هي ثالثة فولدت له اثنا عشر ولدا ذكرا
وقد سماهم محمد بن اسحق رحمه الله وهم نابت وقيذار واربل وميشا ومسمع
وماشي ودما وآذر وطيطور ونبش وطما وقيدما وهكذا ذكرهم
اهل الكتاب في كتابهم وعندهم انهم الاثنا عشر عظيما المبشر بهم المتقدم ذكرهم
ولدوا في تأويلهم ذلك وكان اسمعيل رسولا الى اهل تلك الناحية وما
والاها من قبايل جرهم والعماليق واهل اليمن ولما حضرته الوفاة اوصى الى
اخيه اسحق وزوج ابنته نسمة من ابن اخيه العيص الاشبان قيل منهم ايضا
وتوفي ابن جرير رحمه الله ودفن نبي الله اسمعيل بالحجر مع امه هاجر وكان
عمره يوم مات سبعا وثلثين سنة وروي عن عمر بن عبد العزيز انه قال شكا اسمعيل
عليه السلام الى ربه عز وجل حر مكة فاوحى الله تعالى اليه اني سأفتح لك بابا الى الجنة
الى الموضع الذي تدفن فيه يجري عليك روحها الى يوم القيمة وعرب الحجاز
كلهم ينتسبون الى ولديه نابت وقيذار وسنتكلم على احياء العرب بطونها وعمايرها
وقبايلها وعشايرها من لدن اسمعيل عليه السلام الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذلك اذا انتهينا الى ايامه الشريفة وسيرته المنيفة بعد الفراغ من انبيا بني اسرائيل

الى زمان عيسى بن مريم خاتم انبيايهم ثم نذكر ملوكا في زمان بني اسرايل ثم ما وقع
الى ايام الجاهلية ثم ننتهي الكلام الى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب
والعجم وساير صنوف بني آدم من الامم ان شا الله وبه المستعان وعليه التكلان

وبعثته ح

ذكر اسحق بن ابرهيم عليه الصلوة والتسليم

قد قدمنا انه ولد ولابيه
مائة سنة بعد اخيه اسمعيل باربع عشرة سنة وكان عمر امه سارة حين بشرت به
تسعين سنة قال الله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى
اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين وقد ذكره الله تعالى بالثنا عليه في
غير ما اية من كتابه العزيز وقد قدمنا في حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وذكر
اهل الكتاب ان اسحق لما تزوج ربقا بنت بتوايل في حياة ابيه كان عمره اربعين سنة
ولنها كانت عاقرا فدعا الله لها فحملت وولدت غلامين توامين اولهما سموه عيصو
وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم الثانيه والثاني خرج وهو اخذ
بعقب يعقوب وهو اسرايل الذي ينتسب اليه بنو اسرايل قالوا وكان اسحق يحب العيص

اخيه فسموه ح

اكثر من يعقوب لانه بكره وكانت امهما تحب يعقوب اكثر لانه الاصغر والله اعلم

ذكر يعقوب وهو اسرايل عليه السلام

قالوا فلما كبر اسحق وضعف
بصره اشتهى على ابنه العيص طعاما وامره ان يذهب فيصطاد له صيدا ويطبخه له
ليبارك عليه ويدعو له وكان العيص صاحب صيد فذهب يبتغي ذلك فامرت ربقا

ابنه يعقوب ان يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع لهما طعاما كما اشتهاه ابوه ويأتي
اليه به قبل اخيه ليدعو له فقامت فالبسته ثياب اخيه وجعلت على ذراعيه من جلد
الجديين لان العيص كان اشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك فلما جاه به وقربه اليه
قال من انت قال ولدك فضمه اليه وجعل يقول اما الصوت فصوت يعقوب
واما الجسد والثياب فالعيص فلما اكل وفرغ دعا له ان يكون اكثر اخوته قدرا
وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وان يكثر رزقه وولده فلما خرج من عنده جا
اخوه العيص بما امره به والده فقربه اليه فقال له ما هذا يا بني قال هذا الطعام
الذي اشتهيته فقال اما جيتني به قبل الساعة واكلت منه ودعوت لك فقال لا
والله وعرف ان اخاه قد سبقه الى ذلك فوجد في نفسه عليه وتواعده بالقتل اذا مات
ابوهما وسال اباه فدعا له بدعوة اخرى وان يجعل لذريته غليظ الارض وان
يكثر ارزاقهم وثمارهم فلما سمعت امهما ما تواعد به العيص اخاه يعقوب امرت ابنها
يعقوب ان يذهب الى اخيها لابان الذي بارض حران وان يكون عنده الى حين
يسكن غضب اخيه عليه وان يتزوج من بناته وقالت لزوجها اسحق ان يامره
بذلك ويوصيه ويدعو له ففعل فخرج يعقوب عليه السلام من عندهم من آخر ذلك
اليوم فادركه المسا في موضع فنام فيه واخذ حجرا فوضعه تحت راسه ونام
فراى في نومه ذلك معراجا منصوبا من السما الى الارض واذا الملايكة يصعدون
فيه وينزلون والرب تبارك وتعالى يخاطبه ويقول اني سابارك عليك واكثر

ذريتك واجعل لك هذه الارض ولعقبك من بعدك فلما هب من نومه فرح بما راى
ونذر لله لئن رجع الى اهله سالما ليبنين في هذا الموضع لله عز وجل معبدا وان جميع
ما يرزقه من شي ليؤدين لله عشره ثم عمد الى ذلك الحجر فجعل عليه دهنا ليعرفه به و
وسمى ذلك الموضع بيت ايل اي بيت الله وهو موضع بيت المقدس اليوم الذي بناه
يعقوب بعد ذلك كما سياتي ثم قدم يعقوب على خاله بارض حران وكان له ابنتان اسم
الكبرى ليا واسم الصغرى راحيل فخطب اليه راحيل وكانت احسنهما فاجابه الى ذلك
بشرط ان يرعى على غنمه سبع سنين فلما مضت المدة عمل خاله لابان طعاما وجمع الناس
عليه وزف اليه ابنته الكبرى ليا وكانت ضعيفة العينين قبيحة المنظر فلما اصبح
يعقوب اذا هي ليا فقال لخاله لم غدرت بي وانت انما خطبت اليك راحيل فقال انه ليس من
سنتنا ان نزوج الصغرى قبل الكبرى فان احببت اختها فاعمل سبع سنين اخرى
وازوجكها فعمل سبع سنين وادخلها عليه مع اختها وكان ذلك سائغا في ملتهم ثم نسخ
في شريعة التورية ووهب لابان لكل واحدة من ابنتيه جارية فوهب لليا جارية اسمها ز لفا
ووهب لراحيل جارية اسمها بلها وجبر الله تعالى ضعف ليا بان وهب لها اولادا فكان
اول من ولدت ليعقوب روبيل ثم شمعون ثم لاوي ثم يهوذا فغارت عند ذلك راحيل
فوهبت ليعقوب جاريتها بلها فوطيها فولدت له غلاما سمته دان وحملت وولدت
غلاما اخر سمته نفتالي فعمدت عند ذلك ليا فوهبت جاريتها زلفا من يعقوب عليه
السلام فولدت له جاد واشير غلامين ذكرين ثم حملت ليا ايضا فولدت غلاما

سمته ايساخر ثم حملت وولدت غلاما سادسا سمته زابلون ثم حملت وولدت بنتا
سمتها دينا فصار لها ستة من يعقوب ثم دعت راحيل الله تعالى ان
يهب لها غلاما من يعقوب فسمع الله نداها واجاب دعاها فحملت من نبي الله يعقوب
فولدت له غلاما عظيما شريفا حسنا جميلا سمته يوسف كل هذا وهم مقيمون بارض
حران وهو يرعى غنم خاله بعد دخوله على البنتين ست سنين اخرى فصار مدة
مقامه عشرين سنة فطلب يعقوب من خاله لابان ان يسرحه ليمر الى اهله فقال له
خاله اني قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئت فاعطاه اغناما كثيرة وعبيدا و
وجمالا وابقارا وتغير له وجه خاله وبنيه وكانهم انحصروا منه واوحى الله تعالى الى
يعقوب ان يرجع الى بلاد ابيه وقومه ووعده بان يكون معه فعرض ذلك على
اهله فاجابوه مبادرين الى طاعته فتحمل باهله وماله وسرقت راحيل اصنام ابيها
فلما جاوزوا وتحيزوا عن بلادهم لحقهم لابان وقومه فلما اجتمع لابان بيعقوب عاتبه
في خروجه بغير علمه وهلا اعلمه فيخرجهم في فرح ومزامير وطبول وحتى يودع بناته
واولادهن ولم اخذوا اصنامه معهم ولم يكن عند يعقوب علم من اصنامه فانكر
ان يكونوا اخذوا له اصناما فدخل على بناته وامائهن يفتش فلم يجد شيا وكانت
راحيل قد جعلتهن في برذعة الجمل وهي تحتها فلم تقم واعتذرت بانها طامث فلم يقدر
عليهن فعند ذلك تواثقوا على رابية هناك يقال لها جلعاد على انه لا يهين بناته
ولا يتزوج عليهن وتوادعوا وتفارقوا فلما اقترب يعقوب من ارض ساعير تلقته الملائكة

يبشرونه بالقدوم وبعث يعقوب البرد الى اخيه العيص يترفق له ويتواضع
له ورجع البرد واخبرت يعقوب بان العيص قد ركب اليك في اربعمائة رجل
فخشي يعقوب من ذلك ودعا الله عز وجل وصلى له وتضرع اليه وساله ان يكف
عنه شر اخيه العيص واعد لاخيه هدية عظيمة وهي مايتا شاه وعشرون تيس
ومايتا نعجة وعشرون كبش وثلثون لقحة واربعون بقرة وعشرة من الثيران وعشرون
اتان وعشرة من الجحوش وامر عبيده ان يتقدموا كلا من هذه الاصناف وحده ويكن
بين كل قطيع وقطيع مسافة فاذا لقيهم العيص فقال للاول من انت ولمن هذه
معك فليقل لعبدك يعقوب اهداها لسيدي العيص وليقل الذي بعده كذلك
وكذا الذي بعده وكذا الذي بعده ويقول كل منهم وهو جاي بعدنا وتاخر
يعقوب بزوجته وامائه وبنيه الاحد عشر بعد الجل ليلتين وجعل يسير ليلا
ويكمن نهارا فلما كانت الجزء من الليلة الثانية بدا له ملك من الملايكة
في صورة رجل فظنه يعقوب رجلا من الناس فاتاه ليصارعه ويغالبه فظهر
عليه يعقوب فما برح الى ان الملك اصاب فخذه فخرج يعقوب من اجل الفخذ
قال له الملك ما اسمك قال يعقوب قال لا ينبغي ان تدعى بعد اليوم الا اسرايل
فقال له يعقوب ومن انت وما اسمك فذهب عنه فعلم انه ملك من الملايكة
واصبح يعقوب وهو يعرج من رجله فلذلك لا ياكل بنو اسرايل عرق النسا ورفع
يعقوب عينيه فاذا اخوه العيص قد اقبل في اربعماية راجل فتقدم امام اهله

فلما راه اخاه العيص سجد له سبع مرات وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان
وكان مشروعا لهم كما سجدوا الملايكة لادم تحية له وكما سجد اخوة يوسف
وابواه له كما سياتي وتقدم اليه واعتنقه وقبله وبكيا ورفع العيص بعد ذلك عينيه
ونظر الى النسا والصبيان فقال من اين لك هولا فقال هولا الذين وهب الله
لعبدك ودنا منه زوجاته واماه واولاده فسجدوا للعيص وعرض عليه قبول هديته
فقبلها ورجع العيص فتقدم امام يعقوب ولحقه يعقوب باهله وما معه من الانعام
والمواشي والعبيد قاصدين جبال ساعير فلما مر بساحور ابتنى له بيتا ولدوابه ظلالا
ثم مر على ساليم قرية شخيم فنزل قبل القرية واشترى مزرعة بني حمور ابي شخيم
بماية نعجة فضرب هنالك فسطاطه وابتنى مذبحا فسماه ايل اله اسرايل وامره
الله ببنايه وهو بيت المقدس اليوم الذي جدده سليمان بن داود عليهما السلام وهو كان
الصخرة التي وضع عليها الدهن قبل ذلك كما ذكرناه اولا ثم حملت راحيل فولدت له
وهو بنيامين الا انها جهدت في طلقها جهدا شديدا وماتت عقيبه فدفنها يعقوب في
افراثا وهي بيت لحم ووضع يعقوب على قبرها حجرا وهي الحجارة المعروفة بقبر راحيل الى اليوم
وكان اولاد يعقوب الذكور اثني عشر رجلا من ليا روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا
وايشاخر وزابلون ومن راحيل يوسف وبنيامين ومن امة راحيل دان
ونفتالي ومن امة ليا جاد واشير عليهم السلام وجا يعقوب الى ابيه اسحق فاقام
عنده بقرية جبرون التي هي بلد الخليل اليوم ثم مرض اسحق فمات عن ماية وثمانين سنة

ودفنه ابناه العيص ويعقوب مع ابيه ابرهيم الخليل في المغارة التي بحبرون حا
قصة يوسف الصديق عليه السلام هو ابن يعقوب وامه راحيل وقد
انزل الله تعالى في شانه وما كان من امره سورة من القران العظيم ليتدبر
ما فيه من الحكم والمواعظ والاداب والامور الحكيمة قال الله عز وجل في معنى قصته
نحن نقص عليك احسن القصص **قوله تعالى** اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني
رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين
قد قدمنا ان يعقوب كان له من البنين اثنا عشر ولدا ذكرا وسميناهم واليهم
ينتسب اسباط بني اسرائيل وكان اشرفهم واجلهم واعظمهم يوسف عليه السلام
وقد ذهب بعض العلما الى انه لم يكن فيهم نبي غيره وما في اخوته لم يوح اليهم وظاهر
ما ذكر من فعالهم ومقالهم في هذه القصة يدل على هذا القول ومن استدل على
نبوتهم بقوله قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وزعم ان هولاء هم الاسباط فليس استدلاله بقوي لان المراد
بالاسباط شعوب بني اسرائيل وما كان يوجد فيهم من الانبيا الذين ينزل عليهم الوحي من
السما والله اعلم **وقد** اختار هذا القول الزمخشري وحكاه فخر الدين عن طايفة
وعليه يدل كلام القاضي عياض بن موسى السبتي في كتابه الشفا قال واما قصة
يوسف واخوته فليس على يوسف فيها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم

الكلام

الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القران عند ذكر الانبيا قال المفسرون
يريد من نبي من ابنا الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار
الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله معنا غدا نرتع ونلعب
قال المفسرون وغيرهم راى يوسف عليه السلام وهو صغير قبل ان يحتلم
كان احد عشر كوكبا وهم اشارة الى بقية اخوته والشمس والقمر وهما عبارة عن ابويه
قد سجدوا له فهاله ذلك فلما استيقظ قصها على ابيه فعرف ابوه انه سينال منزلة
عالية بحيث يخضع له ابواه واخوته فيها فامره بكتمانها وان لا يقصها على اخوته لئلا
يحسدوه ويبغوا له الغوايل ويكيدوه بانواع الحيل والمكر وهذا يدل على ما ذكرناه
ولهذا جا في بعض الاثار استعينوا على قضا حوايجكم بكتمانها فان كل ذي نعمة محسود
وعند اهل الكتاب انه قصها على ابيه واخوته معا وهو غلط منهم قال الله تعالى
لقد كان في يوسف واخوته ايات للسايلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه
ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قايل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة
الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين **ينبه تعالى** على ما في هذه القصة
من الايات والحكم والدلالات والمواعظ والبينات ثم ذكر حسد اخوة يوسف
له على محبة ابيه له ولاخيه شقيقه بنيامين اكثر منهم وهم عصبة اي جماعة يقولون
كنا نحن احق بالمحبة من هذين ان ابانا لفي ضلال مبين اي في تقديمه حبهما علينا ثم

اشتوروا بينهم في قتل يوسف او ابعاده الى الارض لا يرجع منها ليخلو لهم وجه
ابيهم اي ليخلص محبته لهم واضمروا التوبة بعد ذلك فلما اتفقوا على ذلك قال قايل
منهم قال مجاهد هو شمعون وقال السدي يهوذا وقال قتادة ومحمد بن اسحق هو اكبرهم
روبيل لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة اي المارة من
المسافرين ان كنتم فاعلين فاجمعوا اباهم على هذا فعند ذلك قالوا يا ابانا ما لك
لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون
قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون طلبوا من ابيهم ان يرسل معهم اخاهم
يوسف واظهروا له انهم يريدون ان يرعى معهم وان يلعب وقد اضمروا له ما الله به
عليم فاجابهم الى ذلك يعقوب عليه السلام وارسله معهم وعند اهل الكتاب انه ارسله
وراهم يتبعهم فضل عن الطريق حتى ارشده رجل اليهم وهذا ايضا من غلطهم فان يعقوب
عليه السلام كان احرص عليه من ان يبعثه معهم فكيف يبعثه وحده فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون
وجاءوا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا
فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب
قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فلما غابوا
به عن اعين ابيهم جعلوا يشتمونه ويهينونه بالفعال والمقال واجمعوا على القائه في الجب

بجه

اي على الصخرة التي تكون في وسطه فلما القوه فيه اوحى الله اليه انه لا بد لك من فرج
ومخرج من هذه الشدة التي انت فيها ولتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا في حال انت فيها عزيز
وهم محتاجون اليك خايفون منك وهم لا يشعرون قال مجاهد وقتادة وهم لا يشعرون
بايحاء الله اليه ذلك فلما وضعوه فيه ورجعوا اخذوا قميصه فلطخوه بشي من دم ورجعوا
الى ابيهم عشاء وهم يبكون اي على اخيهم قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف
عند متاعنا اي ثيابنا فاكله الذئب اي في غيبتنا عنه في استباقنا وما انت بمؤمن لنا
ولو كنا صادقين ولما وضعوا على قميصه الدم ليوهموا انه اكله الذئب نسوا ان
يخرقوه وآفة الكذب النسيان ولما ظهرت عليهم علايم الريبة لم يدخل صنيعهم على ابيهم
فانه كان يعلم عداوتهم له وحسدهم اياه على محبته من بينهم اكثر منهم لما كان يتوسم
فيه من الجلالة والمهابة التي كانت عليه في صغره لما يريد الله ان يخصه به من نبوته
ولما ارادوا لطخه فنحروا دما اخذوه اعدوه وغيبوه عن عينه وعند اهل الكتاب
اهل الكتاب انه روبيل اشار بوضعه في الجب ليأخذه من حيث لا يشعرون و
يرده الى ابيه فغافلوه وباعوه لتلك القافلة فلما جاء روبيل من آخر النهار ليخرجه
لم يجده فصاح وشق ثيابه فلما عادوا الى يعقوب عليه السلام نزع ثيابه ولبس مئزرا
وحزن على ابنه اياما كثيرة ولما وضع يوسف عليه السلام في الجب جلس ينتظر فرج الله
ولطفه به فجاءت سيارة اي مسافرون قال اهل الكتاب كانت بضايعهم من
الفستق والصنوبر والبطم قاصدين ديار مصر فارسلوا بعضهم ليستقوا من ذلك البير

فلما ادلى احدهم دلوه تعلق فيه يوسف فلما راه ذلك الرجل قال يا بشراي اي يا
بشارتي هذا غلام واسروه بضاعة اي اخفوه انه معهم غلام من جملة متجرهم والله
عليم بما يعملون ومع هذا لا يغير لما له في ذلك من الحكمة العظيمة والقدر السابق
والرحمة باهل مصر فيما يجري الله على يدي هذا الغلام الذي يدخلها في صورة اسير رقيق
ثم بعد ذلك يملكه ازمة الامور وينفعهم الله به في دنياهم واخراهم ولما استشعر
اخوة يوسف باخذ السيارة له لحقوهم وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم بثمن
بخس اي قليل نزر دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين قال ابن مسعود وابن
عباس ونوف البكالي والسدي وقتادة وعطية العوفي باعوه بعشرين درهما اقتسموها درهمين
درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة ومحمد بن اسحق اربعون درهما فالله اعلم
وقال الذي اشتراه من مصر لامراته اكرمي مثواه اي احسني اليه عسى ان ينفعنا او
نتخذه ولدا وهذا من لطف الله به ورحمته واحسانه اليه بما يريد ان يعطيه من خير الدنيا
والاخرة وكان الذي اشتراه من مصر عزيزها وهو الوزير بها الذي الخزاين مسلمة اليه وكان
ملك مصر يوميذ الريان بن الوليد رجل من العماليق واسم امراة العزيز راعيل وقيل كان اسمها
زليخا والظاهر انه لقبها وكان الذي باعه بمصر يعني الذي جلبه اليها مالك بن ذعر بن بويب
ابن عنقا بن مديان بن ابراهيم فالله اعلم وقيل انه اشتراه بعشرين دينارا وقيل بوزنه
ووزنه حريرا ووزنه ورقا فالله اعلم ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين
فدل على ان هذا كله كان وهو قبل بلوغ الاشد وهو حد الاربعين الذي يوحي الله فيه

الى

الى النبيين بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة ۝ وراودته التي
هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي
احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه
كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت
قميصه من دبر والفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان
يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه
قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين
فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض
عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين يذكر تعالى ما كان من مراودة
امراة العزيز ليوسف عليه السلام عن نفسه وطلبها منه ما لا يليق بحاله ومقامه وهي
في غاية الجمال والمال والمنصب والشباب وكيف غلقت الابواب عليها وعليه وتهيات
له وتصنعت ولبست افخر لباسها وثيابها وهي مع هذا كله امراة الوزير وبنت اخت
الملك الريان بن الوليد صاحب مصر وهذا كله مع ان يوسف عليه السلام بديع الجمال
والبهاء الا انه كان نبيا من سلالة الانبيا فعصمه ربه عن الفحشاء وحماه عن مكر النساء
انها دعته اليها وحرصت على ذلك اشد الحرص فقال معاذ الله انه ربي يعني زوجها سيدي
احسن مثواي اي احسن الي واكرم مقامي عنده انه لا يفلح الظالمون واستبقا الباب
اي هرب منها طالبا الى الباب ليخرج منه فرارا منها فاتبعته في اثره والفيا سيدها اي

لدى الباب فبدرته بالكلام وحرضته عليه فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان
يسجن او عذاب اليم اتهمته وبرأت عرضها فلهذا قال يوسف عليه السلام هي راودتني
عن نفسي احتاج الى ان يقول الحق عند الحاجة وشهد شاهد من اهلها قيل كان صغيرا
في المهد قاله ابن عباس ثم اضرب بعلها عن ذلك صفحا فقال يوسف اعرض عن هذا اي
لا تذكره لاحد لان كتمان مثل هذه الامور هو اللائق والاحسن وامرها بالاستغفار
لذنبها الذي صدر منها والتوبة الى ربها فان العبد اذا تاب الى الله تعالى تاب الله تعالى عليه
واهل مصر وان كانوا يعبدون الاصنام الا انهم يعلمون ان الذي يغفر الذنوب ويواخذ
بها هو الله وحده لا شريك له في ذلك ٥ وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها
عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت
لهن متكأ واتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن
وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم **يذكر تعالى** ما كان من امر
نسا الامرا وبنات الكبرا في الطعن على امراة العزيز والتشنيع عليها في مراودتها فتاها
وحبها الشديد له وهو لا يساوي هذا لانه مولى من الموالي وليس مثله اهلا لهذا ولهذا
قلن انا لنراها في ضلال مبين اي في وضعها الشي في غير محله فلما سمعت بمكرهن وقالهن

عنها

عنها بالعيب حب مولاها وعشق فتاها وما الطعن من القوم وهي معذورة في نفس
الامر فلهذا احبت ان تبسط عذرها عندهن وتبين ان هذا الفتى ليس كما
حسبن فارسلت اليهن فجمعتهن في منزلها وصنعت لهن ضيافة مثلهن واحضرت
في جملة ذلك ما يقطع بالسكاكين كالاترج ونحوه واتت كل واحدة منهن سكينا
وكانت قد هيأت يوسف عليه السلام والبسته احسن الثياب وهو في غاية
طراوة الشباب وامرته بالخروج عليهن في هذه الحالة فخرج وهو احسن من
البدر في ليلة تمه فلما رأينه اكبرنه اي اعظمنه واجللنه وما ظنن ان يكون
مثل هذا في بني ادم وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن انفسهن وجعلن يحززن
في ايديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن الجراح وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا
الا ملك كريم **وقد جاء في حديث** الاسرا فمررت بيوسف واذا هو قد اعطي شطر
الحسن قال السهيلي وغيره من الائمة معناه انه كان على النصف من حسن ادم عليه السلام
لان الله تعالى خلق ادم بيده ونفخ فيه من روحه فكان في غاية نهايات الحسن البشري
وكان نصيب يوسف [?] واذا اتته امراة لحاجة غطى وجهه وهو في الغالب
مبرقع ولهذا اتهم عذر امراة العزيز في محبتها لهذا المعنى وجرى للنسوة ما جرى
من تقطيع ايديهن بالسكاكين وما ركبهن من المهابة عند رؤيته ومعاينته قالت فذلكن
الذي لمتنني فيه ثم مدحته بالعفة التامة فقالت ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم اي امتنع ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين

قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن
وأكن من الجاهلين يعني ان دخلني الى السجن فليس لي الا الصبر ولا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ما شاء الله فانا ضعيف الا ما قويتني وعصمتني بحولك وقوتك قال الله
تعالى فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ۝ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات
ليسجننه حتى حين ۝ ودخل معه السجن فتيان الى قوله فيه تستفتيان
يذكر تعالى عن العزيز وامرأته انهم بدا لهم اي ظهر لهم من الرأي بعدما علموا براءة يوسف
ان يسجنوه الى وقت ليكون ذلك اقل لكلام الناس في تلك القضية وليظهروا انه راودها
عن نفسها فسجن بسبب ذلك فسجن ظلما وعدوانا وكان هذا مما قدر الله له قال الله تعالى
ودخل معه السجن فتيان قيل كان احدهما ساقي الملك والآخر جاشنكيره الذي يلي امر
طعام الملك وكان الملك قد اتهمهما في امر فسجنهما فلما رأيا يوسف في السجن اعجبهما
سمته وطريقته وقوله وفعله وكثرة عبادته لربه ورأى كل واحد منهما رؤيا تناسبه
قال اهل التفسير رأيا في ليلة واحدة اما الساقي فرأى كأن ثلاثة قضبان
من حبلة قد اورقت واينعت عناقيد العنب فاخذها فاعتصرها في كاس الملك وسقاه
واما الجاشنكير فرأى كأن على رأسه ثلاث سلال من خبز وضواري الطيور
تأكل من السل الاعلى فقصاها عليه وطلبا منه ان يعبرها لهما وقالا انا نراك من المحسنين
فاخبرهما انه عليم بتعبيرها خبير بامرها وانه من تعليم الله اياه لانه مؤمن به موحد له متبع
ملة آبائه الكرام ابراهيم الخليل واسحق ويعقوب ثم دعاهم الى التوحيد وذم عبادة ما

سوى الله عز وجل فقال يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا
لله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا اي المولى وهو
الساقي واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي
وقع هذا لا محالة ووجب كونه على كل حالة وقد روي عن ابن مسعود ومجاهد وعبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم انهما قالا لم نر شيئا فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال
للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في
السجن بضع سنين يخبر تعالى ان يوسف عليه السلام قال للذي ظنه ناجيا منهما
وهو الساقي اذكرني عند ربك يعني اذكر امري وما انا فيه من السجن بغير جرم عند
الملك وفي هذا دليل على جواز السعي في الاسباب ولا ينافي ذلك التوكل على رب الارباب
وقوله فانساه الشيطان ذكر ربه اي فانسى الناجي منهما الشيطان ان يذكر ما وصاه
يوسف عليه السلام فلبث يوسف في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلث الى التسع
وقيل الى السبع وقيل الى الخمس وقيل ما دون العشر حكاه الثعلبي ويقال بضع نسوة وبضعة
رجال قال الفراء ويقال بضعة عشر وبضعة وعشرين الى التسعين ولا يقال بضع
ومائة وبضع والف وخالف الجوهري فيما زاد على بضعة عشر فمنع ان يقال بضعة وعشرون
الى تسعين وفي الصحيح الايمان بضع وستون وفي رواية وسبعون شعبة اعلاها قول
لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ۝ وقال الملك اني ارى

قالوا اما الخباز جاشنكير ٩

سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها
الملا افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتاويل
الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون
يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دابا
فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن
ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون
هذا كان من جملة اسباب خروج يوسف عليه السلام من السجن على وجه الاكرام
والاحترام وذلك ان ملك مصر الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشه بن فاران بن عمرو
ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح راى هذه الرويا **قال اهل الكتاب** راى كانه على
حافة نهر وكانه قد خرج منه سبع بقرات سمان فجعلن يرتعن في روضة هناك فخرجت
سبع مهازيل ضعاف من ذلك النهر فرتعن معهن ثم ملن عليهن فاكلهن فاستيقظ مذعورا
فلما قصها على ملايه وقومه لم يكن فيهم من يحسن يعبرها بل قالوا اضغاث احلام لعلها
لا تعبير لها ومع هذا فلا خبرة لنا بذلك ولهذا قالوا وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
فعند ذلك تذكر الناجي منهما الذي وصاه يوسف ان يذكره عند ربه فنسي الى
حينه هذا وذلك عن تقدير الله تعالى وله الحكمة في ذلك فلما سمع رؤيا الملك وراى عجز
الناس عن تعبيرها تذكر امر يوسف **وعند** اهل الكتاب ان الملك لما ذكره له

الساقي استدعاه الى حضرته وقص عليه ما راه ففسره له وهذا غلط والصواب ما قصه
الله في كتابه العزيز لا ما عربه هولا الجهلة فبذل يوسف ما عنده من العلم بلا تاخر
ولا شرط ولا طلب للخروج سريعا بل اجابهم الى ما سالوا وعبر لهم ما كان من منام الملك
الدال على وقوع سبع سنين من الخصب ويعقبها سبع جدب ثم ياتي بعد ذلك عام فيه
يغاث الناس يعني ياتيهم الغيث والخصب والرفاهية وفيه يعصرون يعني ما كانوا يعصرونه
من الاقصاب والاعناب والزيتون والسمسم وغيرها فعبر لهم وعلى الخير دلهم وارشدهم
الى ما يعتمدونه في حالتي خصبهم وجدبهم وما يفعلونه من ادخار حبوب سني الخصب
من السبع الاول في سنبله الا ما يرصد بسبب الاكل ومن تقليل البذر في سني الجدب في
السبع الثانية اذ الغالب على الظن انه لا يرد البذر من الحقل وهذا يدل على كمال العلم
وكمال الراي والفهم وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول [illegible] ان لا
يخرج حتى يتبين لكل احد انه حبس ظلما وعدوانا وانه بري الساحة مما نسبوه اليه بهتانا
قال ارجع الى ربك يعني الملك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن
عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت
امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين لما احاط الملك علما بكمال علم يوسف
وتمام عقله ورايه السديد امر باحضاره الى حضرته ليكون من جملة خاصته فلما جاءه
جا فقدم وبرى نفسه مما نسب اليه اي من النسوة تبين انه امتنع عند مراودتهن اياه

وجثهن على الامر الذي ليس برشيد فلما سيلن عن ذلك اعترفن بما وقع من الامر وقلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء نحو ذلك قالت امراة العزيز وهي زليخا الان حصحص الحق اي ظهر وتبين انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين اي فيما يقوله وانه بري ولم يراودني واتحبس ظلما فعدوانا وزورا وبهتانا ذلك ليعلم اي ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين ٥ وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اي حفيظ عليم لما ظهر للملك براءته عرضه ما نال لظهور واعته قال ايتوني به استخلصه لنفسي اي اجعله من خاصتي ومن اهل مشورتي واعيان حاشيتي فلما كلمه وسمع مقالته وتبين حاله قال انك اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة وامانة قال اجعلني على خزائن الارض اي حفيظ عليم طلب ان توليه النظر على الاهراء لما يتوقع من حصول الخلل فيها بعد مضي سبع سني الخصب لينظر فيها بما يرضي الله في خلقه ولخبر الملك انه حفيظ اي قوي على حفظ ما لديه امين عليه عليم بضبط الاشيا ومصالح الامر **وفي** هذا دليل على جواز طلب الولاية لمن علم من نفسه الامانة والكفاية **وعند اهل الكتاب** انهم يزعمون عظم يوسف عليه السلام جدا وسلطه على جميع ارض مصر والبسه خاتمه والبسه الحرير وطوقه الذهب وحمله على مركبه الثاني ونودي بين يديه انت رب ومسلط وقال له لست اعظم منك الا بالكرسي قالوا وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة وزوجه امراة عظيمة الشان **وحكى** الثعلبي انه عزل قطفير عن وظيفته وولاها يوسف وقيل انه لما مات زوجها امراته زليخا فوجدها عذرا لان زوجها كان لا ياتي النسا فولدت ليوسف غلامين

افرائيم وميشا واستوسق ليوسف ملك مصر وعمل فيهم بالعدل واحبه الرجال والنسا **وحكى** ان يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلثين سنة وان الملك خاطبه بسبعين لغة وكل ذلك يجاوبه بكل لغة منها فاعجبه ذلك مع حداثة سنه واستمر كان الوزير بعد موته وتزوج امراته زليخا كما قدمنا ه **وذكر** محمد بن اسحق ان صاحب مصر اسلم على يدي يوسف في الله تعالى وجا اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون فلما جهزهم بجهازهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيته اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون **يخبر تعالى** عن قدوم اخوته عليه الى الديار المصرية يمتارون طعاما وذلك في سني الجدب وكان يوسف اذ ذاك الحاكم في امور الديار المصرية دينا ودنيا فلما دخلوا عليه عرفهم ولم يعرفوه لانهم لم يخطر ببالهم ما صار اليه يوسف من الجلالة والعظمة فلهذا عرفهم وهم له منكرون **وعند** اهل الكتاب انهم لما قدموا عليه سجدوا له فعرفهم واراد ان لا يعرفوه فاغلظ لهم في القول وقال انتم جواسيس جيتم لتاخذوا اخبار بلادي فقالوا معاذ الله انما جينا نمتار لقومنا من الجهد والجوع الذي اصابنا ونحن بنو اب واحد من كنعان ونحن اثنا عشر رجلا ذهب منا واحد وصغيرنا عند ابينا فقال لا بد ان استعلم امركم وعندهم انه حبسهم ثلثة ايام ثم اخرجهم واحتبس شمعون عنده ليأتوه بالاخ وفي هذا نظر قال الله تعالى فلما جهزهم بجهازهم قال ايتوني باخ لكم من ابيكم وكان قد سالهم عن حالهم وكم هم فقالوا كنا اثني عشر رجلا فذهب منا

ولحلة بني شقيقه عند ابيه فقال اذا قدمتم من العام المقبل فاتوني به فعلم الا ترون
اني اوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا
سنراود عنه اباه اي نجتهد في مجيه معنا وانا نه اليك بجهدنا وانا لفاعلون اي وانا
لقادرون على تحصيله ثم امر فتيانه ان يضعوا بضاعتهم وهو ما جاوا به يتعوضون به
عن الميرة في امتعتهم من حيث لا يشعرون بها لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم
يرجعون خشي ان لا يكون عندهم ما يرجعون به مرة ثانية وقد اختلف المفسرون في
بضاعتهم على اقوال سياتي ذكرها وعند اهل الكتاب انها صرر من ورق فهو اشبه والله
اعلم ۞ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون
قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت
الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم
حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد الى قوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يذكر تعالى
ما كان من امرهم بعد رجوعهم الى ابيهم وما قالوا له منع منا الكيل ووجود بضاعتهم في رحالهم
وحفظ اخيهم اذا رجعوا به اليه يعني يوسف ونزداد كيل بعير قال الله تعالى ذلك كيل يسير
اي في مقابلة ذهاب ولده الاخر وكان يعقوب عليه السلام اضن شي بولده بنيامين لانه
كان يشم فيه رايحة اخيه يوسف ويتسلى به عنه فلهذا قال لن ارسله معكم حتى تؤتي

موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا كلكم على الاتيان به
فلما اتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل اكد المواثيق وقرر العهود واحتاط
لنفسه في ولده ولن يغني حذر من قدر ولولا حاجته وحاجة قومه الى الميرة لما بعث الولد
العزيز ولكن الاقدار لها احكام والرب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ثم امرهم ان لا يدخلوا
المدينة من باب واحد ولكن ليدخلوا من ابواب متفرقة قيل اراد انه لا يصيبهم احد
بالعين لانهم كانوا اشكالا حسنة وصورا بديعة قاله ابن عباس وغيره فلما
دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك وامره بكتم ذلك عنهم وسلاه
عما كان منهم من الاساءة اليه ثم احتال على اخذه منهم فامر فتيانه بوضع سقايته وهي
التي يشرب بها ويكيل بها للناس الطعام من عزته في متاع بنيامين ثم اعلمهم بانهم
قد سرقوا صواع الملك ووعدهم جعالة على رده حمل بعير قالوا تالله لقد علمتم ما
جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا
جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين وهذه كانت شريعتهم
في السارق فلهذا قالوا كذلك نجزي الظالمين قال الله تعالى فبدأ باوعيتهم
قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه ليكون ذلك ابعد للتهمة وابلغ في الحيلة
قال الله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي
لولا اعترافهم بان جزاء من وجد في رحله فهو جزاؤه لما كان يقدر يوسف على اخذ
اخيه الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء اي في العلم وذلك لان يوسف

كان اعلم منهم وانهم دانا وانوي عزما وحزما وانما فعل ذلك عن امر الله لما في ذلك لانه يترتب علي هذا الامر مصلحة عظيمة بعد ذلك من قدوم ابيه وقومه عليه ووفودهم اليه

فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل كان قد سرق صنما من ذهب اي لابيه كان يعبده فكسره وقيل كان ياخذ الطعام من البيت فيطعمه للفقرا فلهذا قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استياسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا الي قوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون

يخبر تعالي عنهم انهم لما استياسوا من اخيهم خلصوا اي انفردوا يتناجون فيما بينهم قال كبيرهم وهو روبيل الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله وقد اخلفتم وعده وخالفتموه وفرطتم فيه كما فرطتم في اخيه يوسف من قبله فلم يبق لي وجه القاه به فلن ابرح الارض اي لا ازال مقيما هنا حتي ياذن لي ابي في القدوم عليه او يحكم الله لي بان يقدرني علي رد اخي الي ابي وهو خير الحاكمين ارجعوا الي ابيكم واعرفوه صورة الحال فقال عند ذلك فصبر جميل عسي الله ان ياتيني بهم جميعا يعني يوسف وبنيامين وروبيل انه هو العليم الحكيم وتولي عنهم وقال يا اسفي علي يوسف ذكره حزنه الجديد بالحزن القديم وحرك ما كان كامنا كما قال بعضهم ٥

نقل فوادك حيث شيت من الهوي ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض يالفه الفتي وحنينه ابدا لاول منزل

وقوله وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم اي ممتلي من كثرة حزنه فلما راي بنوه ما يقاسيه من الم الفراق قالوا علي وجه الرحمة له تالله تفتؤ تذكر يوسف حتي تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الي الله واعلم من الله ما لا تعلمون يقول لبنيه لست اشكو اليكم ولا الي احد من الناس ما انا فيه انما اشكو الي الله عز وجل واعلم ان الله سيجعل لي مما انا فيه فرجا ومخرجا واعلم ان رويا يوسف لا بد ان تقع ولا بد ان اسجد له انا وانتم حسب ما راي ولهذا قال واعلم من الله ما لا تعلمون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر وجينا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا اينك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فالقوه علي وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين

يخبر تعالي عن رجوع اخوة يوسف وقدومهم عليه وشكواهم ضيق العيش فلما راي ما بهم من الضيق تعرف اليهم وعطف عليهم وامرهم ان يذهبوا بقميصه وهو الذي علي جسده فيضعوه علي عيني ابيه فانه يرجع اليه بصره بعدما كان ذهب باذن الله وهذا من خوارق العادات ودلايل النبوات واكبر المعجزات ثم امرهم ان يحملوا اجمع باهليهم الي ديار مصر الي الخير والدعة وجمع الشمل

ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قال ابن عباس
لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف من مسيرة ثمانية أيام وقال
الحسن البصري وابن جريج المكي كان بينهما مسيرة ثمانين فرسخا وكان له عنه
منذ فارقه ثمانون سنة قوله فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا
بعدما كان ضريرا وقال لبنيه عند ذلك ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا
يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو
الغفور الرحيم قال ابن مسعود وإبراهيم التيمي وعمرو بن قيس وابن جريج وغيرهم أرجأهم
إلى وقت السحر قال ابن جرير حدثني أبو السائب ثنا ابن إدريس سمعت
عبد الرحمن بن إسحاق يذكر عن محارب بن دثار قال كان عمر يأتي المسجد فيسمع إنسانا
يقول اللهم دعوتني فأجبت وأمرتني فأطعت وهذا السحر فاغفر لي قال فاستمع
الصوت فإذا هو من دار عبد الله بن مسعود فسأل عبد الله عن ذلك فقال إن يعقوب
أخر بنيه إلى السحر بقوله سوف أستغفر لكم ربي وقد قال الله تعالى والمستغفرين
بالأسحار وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة
إلى سماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر
فأغفر له وقيل إن يعقوب أرجأهم إلى ليلة جمعة فلما دخلوا على يوسف آوى إليه
أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا
وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني

من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء
إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث هذا إخبار عن حال
اجتماع المتحابين بعد الفرقة الطويلة التي قيل إنها ثمانون سنة وقيل ثلاث وثمانون سنة وهما روايتان
عن الحسن وقيل خمس وثمانون سنة قاله قتادة وقال محمد بن إسحاق ذكروا أنه غاب عنه ثماني عشرة سنة
قال وأهل الكتاب يزعمون أنه غاب عنه أربعين سنة وظاهر سياق القصة يرشد إلى ذلك تقريب
فإن المرأة راودته وهو ابن سبع عشرة سنة فيما قاله غير واحد فامتنع فكان في السجن سبع سنين ثم أخرج
فكانت سنوات الخصب السبع ثم لما أمحل الناس في السبع البواقي جاء إخوته يمتارون في السنة الأولى
وحدهم وفي الثانية ومعهم أخوه بنيامين وفي الثالثة تعرف إليهم وأمرهم بإحضار أهلهم أجمعين
فجاؤوا كلهم فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه اجتمع بهما خصوصا وحدهما دون إخوته وقال ادخلوا
مصر إن شاء الله آمنين وعند أهل الكتاب أن يعقوب لما وصل إلى أرض جاشر وهي أرض بلبيس
خرج يوسف لتلقيه وكان يعقوب قد بعث ابنه يهوذا مبشرا بقدومه وخرج معه الملك
وجنوده خدمة ليوسف وتعظيما لنبي الله إسرائيل وأنه دعا للملك وأن الله رفع عن أهل
مصر بقية سني الجدب ببركة قدومه إليهم فالله أعلم وكان جملة من قدم معه من بنيه وأولادهم
فيما قاله أبو إسحاق السبيعي عن أبي عبيدة عن ابن مسعود ثلاثة وستين إنسانا وقال
موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن عبد الله بن شداد كانوا ثلاثة وثمانين إنسانا وقال أبو إسحاق
عن مسروق دخلوا وهم ثلاثمائة وتسعون إنسانا قالوا وخرجوا مع موسى وهم أزيد من ستمائة ألف
مقاتل وفي نص أهل الكتاب أنهم كانوا سبعين نفسا وسموهم قال الله تعالى ورفع أبويه

على العرش قيل كانت امه قد ماتت كما هو عند علماء التوراة وقال بعض المفسرين فاحياها الله تعالى
وقال اخرون بل كانت خالته لأن الخالة بمنزلة الأم وقال ابن جرير وآخرون بل ظاهر القرآن يقتضي
بقاء حياة امه الى يومئذ فلا يعول على نقل اهل الكتاب فيما خالفه وهذا قوي والله اعلم ○ ورفعهم
على العرش اي اجلسهم معه على سريره وخروا له سجدا اي سجد له الابوان والاخوة الاحد عشر
تعظيما وتكريما وهذا كان مشروعا لهم ولم يزل ذلك معمولا به في سائر الشرائع حتى حرم في ملتنا وقال
يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وعند اهل الكتاب ان يوسف باع اهل
مصر وغيرهم من الطعام الذي كان تحت يده باموالهم كلها من الذهب والفضة والعقار والاثاث
وما يملكونه كله حتى باعهم بانفسهم فصاروا ارقاء ثم اطلق لهم ارضهم واعتق رقابهم على ان يعملوا ويكون
خمس ما يستغلون من زرعهم وثمارهم للملك فصارت سنة اهل مصر بعده وحكى الثعلبي انه كان لا يشبع
في تلك السنين حتى لا ينسى الجيعان وانه انما كان ياكل اكلة واحدة نصف النهار قال فمن ثم اقتدى به
الملوك في ذلك ثم لما رأى يوسف عليه السلام نعمته قد تمت وشمله قد اجتمع عرف ان هذه الدار
لا يقر بها قرار وان كل شيء فيها ومن عليها فان وما بعد التمام الا النقصان فعند ذلك
اثنى على ربه بما هو اهله واعترف له بعظيم احسانه وفضله وسأله ان يتوفاه على الاسلام وان
يلحقه بعباده الصالحين وهكذا يحتمل انه سأل ذلك عند احتضاره عليه السلام كما سأل النبي صلى الله عليه وسلم
عند احتضاره ان يرفع روحه الى الملأ الاعلى والرفقاء الصالحين من النبيين والمرسلين كما قال اللهم في
الرفيق الاعلى ويحتمل ان يوسف عليه السلام سأل الوفاة على الاسلام منجزا في صحة بدنه وسلامته
وان ذلك كان سائغا في ملتهم وشرعتهم كما روي عن ابن عباس انه ما تمنى نبي قط الموت قبل يوسف

فاما

١٢٤

فاما في شريعتنا فقد نهي عن الدعاء بالموت الا عند الفتن كما في حديث معاذ في الدعاء الذي رواه
احمد واذا اردت بقوم فتنة فتوفنا اليك غير مفتونين وفي الحديث الآخر ابن ادم الموت خير لك
من الفتنة وقالت مريم عليها السلام يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ○ وتمنى الموت
علي بن ابي طالب لما تفاقمت الامور وعظمت الفتن واشتد القتال وكثر القيل والقال ○ وتمنى
ذلك ابو عبد الله البخاري صاحب الصحيح لما اشتد عليه الحال ولقي من مخالفيه الاهوال فاما في حال
الرفاهية فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به اما محسنا فيزداد واما مسيئا فلعله يستعتب ولكن ليقل اللهم
احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي والمراد بالضر هنا ما يخص العبد في بدنه
من مرض ونحوه لا في دينه والظاهر ان نبي الله يوسف عليه السلام سأل ذلك اما عند احتضاره او
اذا كان من ذلك ان يكون كذلك وقد ذكر ابن اسحاق عن اهل الكتاب ان يعقوب اقام بديار مصر
عند يوسف سبع عشرة سنة ثم توفي عليه السلام واوصى الى ولده يوسف ان يدفن عند ابويه
ابراهيم واسحاق قال السدي فصبر وسير الى بلاد الشام فدفنه في المغارة عند ابيه اسحاق وجده
ابراهيم الخليل عليهم السلام ○ وعند اهل الكتاب ان عمر يعقوب يوم دخل مصر مائة وثلاثون سنة واقام
بها سبع عشرة سنة ومع هذا قالوا فكان جميع عمره مائة واربعون سنة هذا نص كتابهم وهو غلط اما
في النسخة او منهم او قد اسقطوا الكسر وليس بعادتهم فيما هو اكثر من هذا فكيف يستعملونه في هذه الطريقة
هنا وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه
ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون

توصي بنيه بالإخلاص وهو دين الإسلام الذي بعث الله تعالى به الأنبياء عليهم السلام وقد ذكر أهل الكتاب
أنه وصى بنيه واحدا واحدا وأخبرهم بما يكون من أمرهم وبشر يهوذا بخروج نبي عظيم من نسله تطيعه الشعوب
وهو عيسى بن مريم والله أعلم وذكروا أنه لما مات يعقوب بكى عليه أهل مصر سبعين يوما وأمر
يوسف أن يطيب بطيب ومكث أربعين يوما ثم استأذن يوسف ملك مصر في الخروج مع أبيه ليدفنه
عند أهله فأذن له وخرج معه أكابر مصر وشيوخها فلما وصلوا حبرون دفنوه في المغارة التي كان
ابرهيم الخليل اشتراها من عفرون بن صخر الحيثي فدفن فيها وعملوا له عزا سبعة أيام ثم رجعوا
إلى بلادهم وعزى إخوة يوسف ليوسف في أبيهم وترققوا له فأكرمهم وأحسن منقلبهم فأقاموا
ببلاد مصر ثم حضرت يوسف عليه السلام الوفاة فأوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا
من مصر فيدفن عند آبائه فحنطوه ووضعوه في تابوت فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام
فدفنه عند آبائه كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى قالوا فمات وهو ابن مائة سنة وعشر
سنين هذا نصهم فيما ذكره ابن كثير عن ابن جرير وقال الحسن مات وهو ابن مائة سنة وعشرين
وأوصى إلى أخيه يهوذا صلوات الله وسلامه عليه

قصة أيوب عليه السلام

قال ابن إسحق كان رجلا من الروم وهو أيوب بن موص
ابن رزاح بن العيص بن إسحق بن ابرهيم الخليل وقيل غير ذلك في نسبه وحكى ابن عساكر
أن أمه بنت لوط عليه السلام وقيل كان أبوه ممن آمن بابرهيم يوم ألقي في النار فلم تحرقه
والمشهور الأول لأنه من ذرية ابرهيم كما قررنا عند قوله تعالى ومن ذريته داود وسليمان
وأيوب ويوسف وموسى وهرون الآيات من أن الصحيح أن الضمير عائد على ابرهيم دون نوح

وروى

وروى ابن عساكر عن الكلبي أنه قال أول نبي بعث إدريس ثم نوح ثم ابرهيم ثم إسمعيل
وإسحق ثم يعقوب ثم يوسف ثم لوط ثم هود ثم صالح ثم شعيب ثم موسى وهرون ثم إلياس ثم اليسع
ثم عزى ثم سوملح بن افرايثم بن يوسف بن يعقوب ثم يونس بن متى من بني يعقوب ثم أيوب وفي
بعض هذا الترتيب نظر فإن هودا وصالحا المشهور أنهما بعد نوح وقبل ابرهيم والله أعلم
قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم كان أيوب رجلا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه
من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثنية من أرض حوران
وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له وكانت له أولاد وأهلون كثير فسلب من
ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع من البلا ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه
يذكر الله عز وجل بهما وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر لله عز وجل في
ليله ونهاره وصباحه ومسائه وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس
وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها وانقطع عنه الناس ولم يبق أحد يحنو
عليه سوى زوجته كانت ترعى له حقه وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها
فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته وضعف
حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجرة لتطعمه وتقوم بأوده رضي الله عنها
وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد وما أصاب زوجها من المصيبة
وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة فإنا لله
وإنا إليه راجعون وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

اشد الناس بلاء الانبيا ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه
فان كان في دينه صلابة زيد في بلايه ولم يزد هذا كله ايوب الا صبرا واحتسابا
وحمدا وشكرا حتى ان المثل ليضرب بصبره عليه السلام ويضرب المثل ايضا بما
حصل له من انواع البلايا وقد روي عن وهب بن منبه وغيره من علما بني اسرايل
في قصة ايوب خبر طويل في كيفية ذهاب ماله وولده وبلايه في جسده والله اعلم بصحته
وعن مجاهد انه قال كان ايوب عليه السلام اول من اصابه الجدري وقد اختلفوا
في مدة بلواه على اقوال فزعم وهب انه ابتلي ثلث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال
الحسن وقتادة ابتلي سبع سنين واشهرا فالقي على مزبلة لبني اسرايل تختلف الدواب
في جسده حتى فرج الله عنه وعظم الاجر له واحسن الثنا عليه وقال حميد مكث
في بلواه ثماني عشر سنة وقال السدي تساقط لحمه حتى لم يبق الا العظم والعصب
فكانت امراته تاتيه بالرماد تفرشه تحته فلما طال عليها قالت يا ايوب لو دعوت ربك
ليفرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله ان اصبر له سبعين سنة
فجزعت من هذا الكلام وكانت تخدم الناس بالاجره وتطعم ايوب عليه السلام ثم ان الناس
لم يكونوا يستخدمونها لعلمهم انها امراة ايوب خوفا من ان ينالهم من بلايه او يعديهم بمخالطته
فلما لم تجد احدا يستخدمها عمدت فباعت لبعض بنات الاشراف احدى ظفيرتيها بطعام
طيب كثير فاتت به ايوب فقال من اين لك هذا وانكره فقالت خدمت به اناسا
فلما كان الغد لم تجد احدا فباعت الظفيرة الاخرى بطعام واتته به فانكره ايضا

يطوى

وحلف لا ياكله حتى تخبره من اين لها هذا الطعام فكشفت عن راسها خمارها فلما راى
راسها محلوقا قال في دعايه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال الله تعالى
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين وقال ابن ابي حاتم ثنا ابي ثنا ابو سلمة ثنا جرير بن حازم
عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لايوب اخوان فجاا يوما فلم يستطيعا ان يدنيا
منه من ريحه فقاما من بعيد فقال احدهما لصاحبه لو كان الله علم من ايوب خيرا ما
ابتلاه بهذا فجزع ايوب من قولهما جزعا لم يجزع مثله قط فقال اللهم ان كنت تعلم اني
لم ابت ليلة قط شبعان وانا اعلم مكان جايع فصدقني فصدق من السما وهما يسمعان
ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم يكن لي قميصان قط وانا اعلم مكان عار فصدقني
فصدق من السما وهما يسمعان ثم قال اللهم بعزتك وخر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا ارفع
راسي ابدا حتى تكشف عني فما رفع راسه حتى كشف عنه قال وكان يخرج في حاجته
فاذا قضاها امسكت امراته بيده حتى يرجع فلما كان ذات يوم ابطات عليه فاوحى الله
الى ايوب في مكانه ان اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ثم اقبل عليها وقد
اذهب الله ما به من البلاء وهو على احسن ما كان فلما راته قالت اي بارك الله فيك
هل رايت نبي الله هذا المبتلى فوالله ما رايت رجلا اشبه به منك اذ كان صحيحا قال
فاني انا هو قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين
فافرغت احديهما على اندر القمح ذهبا وافرغت الاخرى على اندر الشعير ورقا حتى فاض

وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في صحيحه عن محمد بن الحسن بن قتيبة عن حرملة عن ابن
وهب به وأخرجه الضياء في كتابه وهذا غريب رفعه جدا والأشبه أن يكون
موقوفا وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا موسى بن إسمعيل ثنا حماد أنا علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وألبسه الله حلة من الجنة فتنحى أيوب وجلس
ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله هذا المبتلى الذي كان ههنا لعل
الكلاب ذهبت به أو الذئاب قال ويحك أنا أيوب قالت أتسخر مني يا عبد الله فقال
ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي قال ابن عباس ورد الله عليه ماله
وولده بأعيانهم ومثلهم معهم وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو زرعة ثنا عمرو بن مرزوق
ثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لما عافى الله أيوب عليه السلام أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يأخذ
بيده ويجعل في ثوبه قال فقيل له يا أيوب أما تشبع قال يا رب ومن يشبع من رحمتك
وكذا رواه أحمد عن أبي داود الطيالسي وعبد الصمد عن همام عن قتادة به
ورواه ابن حبان في صحيحه عن عبد الله بن محمد الأزدي عن إسحق بن راهويه عن
عبد الصمد به ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب وهو على شرط الصحيح فالله أعلم
وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا
أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد
من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك

عما

عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك رواه البخاري من حديث عبد الرزاق
وقوله اركض برجلك أي اضرب الأرض برجلك فامتثل ما أمر به فأنبع الله له عينا
باردة الماء وأمر أن يغتسل فيها ويشرب منها فأذهب الله عنه ما كان يجده من الألم والأذى
والسقم والمرض الذي كان في جسده ظاهرا وباطنا وأبدله الله تعالى بعد ذلك كله صحة
ظاهرة وباطنة وجمالا تاما ومالا كثيرا حتى صب له من المال صبا مطرا وأمطر عليه
جرادا من ذهب وأخلف الله له أهله كما قال الله تعالى وآتيناه أهله ومثلهم معهم
فقيل أحياهم الله بأعيانهم وقيل آجره فيمن سلف وعوضه عنهم في الدنيا بدلهم وكان اسم
زوجته رحمة بنت إفرائيم بن يوسف قال الضحاك عن ابن عباس رد الله إليها شبابها وزادها حتى
ولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا وعاش أيوب بعد ذلك سبعين سنة بأرض الروم
على دين الحنيفية ثم غيروا بعده دين إبراهيم وقوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب من رخصة من الله تعالى لعبده ورسوله
أيوب عليه السلام فيما كان من حلفه ليضربن امرأته مائة سوط على بيعها ضفايرها وقيل
لأنها عارضها الشيطان في صورة طبيب يصف لها دواء لأيوب فأتته فأخبرته فعرف
أنه الشيطان فحلف ليضربنها مائة سوط فلما عافاه الله عز وجل أفتاه أن يأخذ ضغثا
وهو كالعثكال الذي يجمع الشماريخ فيجمعها ويضربها به ضربة واحدة أي عصي
جونة واحدة فيكون الضرب بمائة سوط ويبر يمينه ولا يحنث وهذا من الفرج والمخرج
لمن اتقى الله وأطاعه ولا سيما في حق امرأته الصابرة المحتسبة المكابدة الصديقة البارة

رضي الله عنها وأرضاها

ولهذا اعتب الله هذه الرخصة وعقبها بقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وقد استعمل كثير من الفقها هذه الرخصة في باب الايمان والنذور وتوسع اخرون
فيها حتى وضعوا كتاب الحيل في الخلاص من الايمان وصدروه بهذه الاية الكريمة واتوا فيه
باشيا من العجايب والغرايب وقد ذكر ابن جرير وغيره من علما التاريخ ان ايوب عليه السلام
لما توفي كان عمره ثلث وتسعين سنة وقيل انه عاش اكثر من ذلك وقد روي مجاهد
ما معناه ان الله عز وجل يحتج يوم القيمة بسليمان عليه السلام على الاغنيا وبيوسف
عليه السلام على الارقا وبايوب عليه السلام على اهل البلا رواه ابن عساكر بمعناه
واوصى الى ولده حومل وقام بالامر بعده ولده ابن ايوب وهو الذي يزعم كثير من
الناس انه ذو الكفل فالله اعلم ومات ابنه هذا وكان نبيا فيما يزعمون وكان
عمره من السنين خمس وسبعين سنة ۝ ولنذكر هنا قصة ذي الكفل اذ قال
بعضهم انه ابن ايوب عليهما السلام وهذه قصة ذي الكفل الذي زعم
قوم انه ابن ايوب ۝ قال الله تعالى بعد قصة ايوب في سورة الانبيا واسمعيل
وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين
فالظاهر من ذكره في القران العظيم بالثنا عليه مقرونا مع هولا السادة الانبيا انه
نبي عليه من الله الصلاة والسلام وهذا هو المشهور وقد زعم اخرون انه لم يكن نبيا
وانما كان رجلا صالحا وحكما مقسطا عادلا وتوقف ابن جرير في ذلك والله اعلم وروي
عن مجاهد انه لم يكن نبيا وانما كان رجلا صالحا وكان قد تكفل لبني قومه ان يكفيهم امرهم

بشر

ويقضي بينهم بالعدل ففعل فسمي ذا الكفل وروى ابن جرير وابن ابي حاتم من
طريق داود بن ابي هند عن مجاهد انه قال لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت
رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل لي
بثلاث استخلفه فقالوا ما هذه الثلاث قال يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال
فقام رجل تزدريه العين فقال انا فقال انت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب
قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك
الرجل بعينه فقال انا فاستخلفه قال فجعل ابليس لعنه الله تعالى يقول للشياطين
عليكم بفلان فاعياهم ذلك فقال دعوني واياه فاتاه في صورة شيخ كبير فقير
حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب
فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بيني وبين
قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي كذا وكذا وجعل يطول عليه حتى ذهب القايلة فقال
اذا قعدت فاتني اخذ لك بحقك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ
فلم يره فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى القايلة فاخذ
مضجعه فاتاه فدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له
فقال الم اقل لك اذا قعدت فاتني فقال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا
نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدوني قال فانطلق فاذا قعدت فاتني قال ففاتته
القايلة فراح فجعل ينتظر فلا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض اهله لا تدعن احدا

يوب بهذا الباب حتى انام فاني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له
الرجل وراك وراك فقال اي عدو الله اتيتك بالامس فذكرت له امري فقال لا والله لقد امرته
ان لا يدع احدا يقربه فلما اعياه نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في
البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال فاستيقظ الرجل فقال يا فلان الم امرك
قال اما من قبلي والله لم تؤت فانظر من اين اتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما
اغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله قال نعم اعييتني في كل شيء
ففعلت ما ترى لاغضبك فسماه الله ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به وقد روى
ابن ابي حاتم ايضا عن ابن عباس قريبا من هذا السياق وهكذا روي عن عبد الله بن الحرث
ومحمد بن قيس وابن حجيرة الاكبر وغيرهم من السلف نحوا من هذا وقال ابن ابي حاتم ثنا
ابي ثنا ابو الجماهر انا سعيد بن بشير ثنا قتادة عن كنانة بن الاخنس قال سمعت الاشعري
يعني ابا موسى رضي الله عنه وهو على المنبر يقول ما كان ذو الكفل بنبي ولكن كان رجلا صالحا
يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي
ذا الكفل وقد رواه ابن جرير من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال قال ابو موسى
الاشعري فذكره منقطعا

باب ذكر امم

اهلكوا بعامة وذلك قبل نزول التورية بدليل قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
من بعد ما اهلكنا القرون الاولى الآية كما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم والبزار من حديث
عوف الاعرابي عن ابي نضرة عن ابي سعيد الخدري قال ما اهلك الله قوما بعذاب من السماء

١٢٩

او من الارض بعد ما انزلت التورية على وجه الارض غير القرية التي مسخوا قردة الم
تر ان الله تعالى يقول ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى ورفعه
البزار في رواية له والاشبه والله اعلم وقفه فدل على ان كل امة اهلكت بعامة قبل
موسى عليه السلام فمنهم اصحاب الرس وقد تقدم ذكرهم بعد قصة ثمود والقصر المشيد وقصة
البئر المعطلة في آخر قصة صالح عليه السلام ومنهم اصحاب يس وهم اصحاب
القرية اصحاب يس قال الله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون
اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما
انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون الى قوله تعالى فاذا هم خامدون
اشتهر عند كثير من السلف والخلف ان هذه القرية انطاكية رواه ابن اسحق
فيما بلغه عن ابن عباس وكعب الاحبار ووهب بن منبه وكذا روي عن بريدة بن الحصيب
وعكرمة وقتادة والزهري وغيرهم قال ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب
انهم قالوا وكان لها ملك اسمه انطيخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله اليه ثلاثة
من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم وهذا ظاهر انهم رسل من الله عز وجل
وزعم قتادة انهم كانوا رسلا من المسيح وكذا قال ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب
الجبائي كان اسم المرسلين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص والقرية انطاكية
وهذا القول ضعيف جدا لان اهل انطاكية لما بعث اليهم المسيح ثلاثة من الحواريين كانوا
اول مدينة آمنت بالمسيح في ذلك الوقت ولهذا كانت احدى المدن الاربع التي تكون
فيها بطارقة النصارى

وهن انطاكيه والقدس الرها اسكندريه ورومية ثم بعدهن القسطنطينيه ولم
يهلكوا واهل هذه القرية المذكورة في القران اهلكوا كما قال في اخر قصتها بعد قتلهم
صدق المرسلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون لكن ان كان الرسل
الثلاثه المذكورون في القران الكريم بعثوا الى اهل انطاكيه قديما فكذبوهم واهلكهم
الله ثم عمرت بعد ذلك فلما كان في زمن المسيح امنوا برسله اليهم فلا يمنع هذا والله اعلم
فاما القول بان هذه القصة المذكورة في القران هي قصة اصحاب المسيح فضعيف
لما تقدم ولان ظاهر سياق القران يقتضي ان هولاء الرسل من عند الله قال الله تعالى
واضرب لهم مثلا يعني لقومك يا محمد اصحاب القريه يعني المدينه اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا
اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث اي ايدناهما بثالث في الرسالة فقالوا انا اليكم
مرسلون فردوا عليهم بانهم بشر مثلهم كما قالت الامم الجاهلة لرسلهم يستبعدون
ان يبعث الله نبيا بشرا فاجابوهم بان الله يعلم انا رسله اليكم ولو كنا كذبنا عليه
لعاقبنا وانتقم منا اشد الانتقام وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم اي
تشاءمنا بمجيئكم به لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم نتوعدوهم بالقتل والاهانة
قالوا طائركم معكم اي مردود عليكم أئن ذكرتم اي بسبب انا ذكرناكم بالهدى ودعوناكم
اليه توعدتمونا بالقتل والاهانة بل انتم قوم مسرفون اي لا تقبلون الحق ولا تريدونه
وقوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى يعني لنصرة الرسل واظهار الايمان بهم
قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون اي يدعونكم الى الحق المحض

١٤٠

بلا اجرة ولا جعالة ثم دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن عبادة ما سواه مما لا
ينفع شيئا في الدنيا ولا في الاخرة اني اذا لفي ضلال مبين اي ان تركت عبادة الله وعبدت ما سواه
ثم قال مخاطبا للرسل اني امنت بربكم فاسمعون اي فاسمعوا مقالتي واشهدوا لي بها عند ربكم
وقيل معناه فاسمعوا يا قوم ايماني برسل الله جهرة فعند ذلك قتلوه رجما وقيل وثبوا اليه
وثبة رجل واحد فقتلوه وقد روى الثوري عن عاصم الاحول عن ابي مجلز كان اسم هذا
الرجل حبيب بن مري ثم قيل كان نجارا وقيل حبالا وقيل اسكافا وقيل قصارا وقيل كان
يتعبد في غار هناك فالله اعلم وعن ابن عباس كان حبيب النجار قد اسرع فيه الجذام
وكان كثير الصدقة قتله قومه ولهذا قال تعالى قيل ادخل الجنة يعني لما قتله قومه ادخله
الله الجنة فلما راى ما فيها من النضرة والسرور قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين يعني ليؤمنوا بما امنت به فيحصل لهم ما حصل لي قال ابن عباس
نصح قومه في حياته بقوله يا قوم اتبعوا المرسلين وبعد مماته يا ليت قومي يعلمون بما غفر
لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى والله ان يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه قال
قتادة فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون
وقوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين اي وما احتجنا
في الانتقام منهم الى انزال الجند من السماء عليهم هذا معنى ما رواه ابن اسحق عن بعض اصحابه
عن ابن مسعود قال المفسرون بعث الله اليهم جبريل عليه السلام فاخذ بعضادتي
الباب الذي لبلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون اي قد خمدت اصواتهم

وتسلت حركاتهم ولم يبق منهم عين تطرف وهذا كله مما يدل على ان هذه القرية ليست انطاكية
لان هؤلاء اهلكوا بتكذيبهم رسل الله اليهم واهل انطاكية امنوا واتبعوا رسل المسيح
من الحواريين اليهم فلهذا قيل ان انطاكية اول مدينة آمنت بالمسيح فاما الحديث
الذي رواه الطبراني من حديث حسين الاشقر عن سفيان بن عيينة عن ابن ابي نجيح عن
مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السبق ثلاثة فالسابق
الى موسى يوشع بن نون والسابق الى عيسى صاحب يس والسابق الى محمد صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب فانه حديث لا يثبت فان حسينا هذا شيعي من الغلاة وتفرده بهذا
يدل على ضعفه بالكلية والله اعلم

قصة يونس عليه السلام

قال الله تعالى في سورة يونس فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها
الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم
الى حين وقال تعالى في سورة الانبياء وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن
ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين وقال
تعالى في سورة الصافات وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون
فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم الى حين وقال

تعالى في سورة ن فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو
مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه
فجعله من الصالحين قال اهل التفسير بعث الله يونس عليه السلام
الى اهل نينوى من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه وتمردوا على كفرهم
وعنادهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين اظهرهم ووعدهم حلول العذاب بهم
بعد ثلاث قال ابن مسعود ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد من
السلف والخلف فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم قذف
الله تعالى في قلوبهم الايمان والتوبة والانابة وندموا على ما كان منهم الى نبيهم فلبسوا
المسوح وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ثم عجوا الى الله سبحانه وتعالى وتضرعوا اليه
وتمسكنوا لديه وبكى الرجال والنساء والبنون والبنات والامهات وجارت الانعام
والدواب والمواشي فكانت ساعة عظيمة فكشف الله تعالى برحمته ورافته عنهم
العذاب الذي كان قد اتصل بهم ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم ولهذا قال
تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس [لما امنوا] كشفنا عنهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين اي امنوا كلهم وقد اختلف المفسرون هل ينفعهم
ايمانهم في الدار الاخرة فينقذهم من العذاب الاخروي كما انقذهم من العذاب
الدنيوي على قولين الاظهر من السياق نعم والله اعلم كما قال تعالى لما امنوا
وقال تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فامنوا فمتعناهم الى حين

فهذا المتاع الجيد لا ينبغي ان يكون معه غيره من دفع العذاب الاخروي والله اعلم
وقد كانوا مائة الف لا محالة واختلفوا في الزيادة فعن مكحول عشرة الاف وفي رواية
الترمذي قال يزيدون عشرون الفا وعن ابن عباس كانوا مائة الف وثلثين الفا وعنه
بضعة وثلثين الفا وعنه بضعة واربعين الفا وقال سعيد بن جبير كانوا مائة الف
وسبعين الفا ○ واختلفوا ايضا هل كان ارساله قبل الحوت او بعده او مرتان على ثلثة
اقوال هي مبسوطة في التفسير والمقصود انه عليه السلام لما ذهب مغاضبا بسبب
قومه ركب سفينة في البحر فلججت بهم واضطربت فماجت بهم وتقلبت باهلها فكادوا
يغرقون على ما ذكره المفسرون ثم ان اهل السفينة اشتوروا فيما بينهم على ان
يقترعوا فمن وقعت عليه القرعة القوه من السفينة ليتخفف فلما اقترعوا وقعت القرعة
على نبي الله يونس فلم يسمحوا به فاعادوها ثانية فوقعت عليه ايضا فتشمر ليخلع ثيابه
ويلقي بنفسه فابوا عليه ذلك ثم اعادوا القرعة ثالثة فوقعت عليه ايضا لما يريد الله تعالى
به من الامر العظيم ولما وقعت عليه القرعة التي في البحر وبعث الله عز وجل حوتا عظيما
من البحر الاخضر فالتقمه وامره الله تعالى ان لا ياكل له لحما ولا يهشم له عظما فليس
لك برزق فاخذه فطاف به البحار كلها وقيل انه ابتلع ذلك الحوت حوت آخر اكبر منه
قالوا ولما استقر في جوف الحوت حسب انه قد مات فحرك جوارحه فتحركت
فاذا هو حي فخر لله ساجدا وقال يا رب اتخذت لك مسجدا لم يعبدك احد في مثله
وقد اختلفوا في مقدار لبثه في بطن الحوت فعن الشعبي انه التقمه ضحى ونبذه عشية

وقال قتادة مكث فيه ثلثا وقال جعفر الصادق سبعة ايام ويشهد له شعر امية بن ابي الصلت

وانت بفضل منك نجيت يونسا ... وقد بات في اضعاف حوت لياليا

وقال سعيد بن ابي الحسن مكث في بطنه اربعين يوما والله اعلم كم مقدار ما لبث
فيه والمقصود انه لما جعل الحوت يطوف به في قرار البحار اللجية سمع تسبيح الحيتان
للرحمن وتسبيح الحصى لفالق الحب والنوى فعند ذلك قال ما قال بلسان الحال والمقال
كما اخبر به ذو العزة والجلال الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى
حيث قال في كتابه المبين المنزل على رسوله الامين وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين قال ابن مسعود وابن
عباس وعمرو بن ميمون وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والضحاك
ظلمة الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وقال سالم بن ابي الجعد ابتلع الحوت حوت آخر
فصار ظلمة الحوتين مع ظلمة البحر وظلمة الليل وقوله تعالى فلولا انه كان من
المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون معناه لولا انه سبح الله هنالك وقال
واعترف وخضع وتاب الى الله عز وجل للبث هناك الى يوم القيمة ولبعث من جوف ذلك
الحوت وقيل معناه فلولا انه كان قبل اخذ الحوت له من المسبحين اي المطيعين
المصلين الذاكرين الله كثيرا قاله الضحاك بن قيس وابن عباس وابو العالية ووهب
ابن منبه وسعيد بن جبير والسدي وعطاء بن السائب والحسن البصري وقتادة وغيرهم

ويشهد لهذا ما رواه الامام احمد وبعض اهل السنن عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا غلام اني معلمك كلمات احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في
الرخا يعرفك في الشدة ولما ان استقر يونس في بطن الحوت في البحر سمع حسا فقال في
نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو
في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض
غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح
الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك
فامر الحوت فقذفه في الساحل كما قال تعالى وهو سقيم هذا لفظ ابن جرير وقال
ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا ابو عبد الله احمد بن عبد الرحمن ابن اخي ابن وهب ثنا عمي حدثني
ابو صخر ان يزيد الرقاشي حدثه سمعت انس بن مالك ولا اعلم ان انسا يرفع الحديث الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يونس النبي عليه السلام حين بدا له ان يدعو بهذه الكلمات
وهو في بطن الحوت قال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت الدعوة
تحت العرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال اما تعرفون
ذلك قالوا يا رب ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل
متقبل ودعوة مجابة قالوا يا رب اولا ترحم ما كان يصنعه في الرخا فتنجيه من البلا قال بلى
فامر الحوت فطرحه في العرا ۞ ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به زاد ابن ابي حاتم قال ابو
صخر حميد بن زياد فاخبرني ابن قسيط وانا احدثه هذا الحديث انه سمع ابا هريرة يقول طرح
بالعراء

الكلمات

بالعراء وانبت الله عليه اليقطينة قلنا يا ابا هريرة وما اليقطينة قال شجرة الدبا قال
ابو هريرة وهيأ الله له اروية وحشية تاكل من خشاش الارض او قال هشاش الارض
قال فتتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال الله تعالى فنبذناه
اي القيناه بالعراء وهو المكان القفر الذي ليس فيه شي من الاشجار بل هو عار منها وهو سقيم
اي ضعيف البدن قال ابن مسعود كهيئة الفرخ ليس عليه ريش وقال
ابن عباس والسدي كهيئة الصبي حين يولد ۞ وانبتنا عليه شجرة من يقطين هو
القرع قال بعض العلما في انبات القرع عليه حكم جمة منها ان ورقه في
غاية النعومة وكثير وظليل ولا يقربه ذباب ويوكل ثمره من اول طلوعه الى آخره
نيا ومطبوخا وبقشره وببزره ايضا وفيه نفع كثير وتقوية الدماغ وغير ذلك
وتقدم في حديث ابي هريرة في تسخير الله تعالى له تلك الاروية التي كانت ترضعه
لبنها وترعى في البرية وتاتيه بكرة وعشية وهذا من رحمة الله تعالى به ونعمته عليه
ولهذا قال تعالى فاستجبنا له ونجيناه من الغم اي الكرب والضيق الذي كان
فيه وكذلك ننجي المؤمنين اي هذا صنيعنا بكل من دعانا واستجار بنا قال
ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي ثنا يحيى بن صالح ثنا ابو يحيى بن عبد الرحمن
حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن
مالك وهو ابن ابي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم
الله الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى دعوة يونس بن متى قال

فقلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس خاصة وللمؤمنين
عامة إذا دعوا بها ألم تسمع قول الله تعالى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت
سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين
فهو شرط من الله لمن دعا به وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد الأشج ثنا أبو خالد
الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعني
ابن سعد عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا بدعاء يونس استجيب
له قال أبو سعيد الأشج يريد به وكذلك ننجي المؤمنين وهذان طريقان عن سعد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له
وأما يونس عليه السلام فهو من جملة الأنبياء الكرام قال الإمام أحمد ثنا وكيع ثنا
سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري به
وقال البخاري أيضا ثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن قتادة عن أبي العالية عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى ونسبه إلى
أبيه وفي حديث آخر لا ينبغي لأحد أن يفضلني على يونس بن متى وورد في بعض الأحاديث
لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى وهذا من باب الهضم والتواضع منه صلوات
الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله والمرسلين ذكر قصة

موسى الكليم عليه الصلاة والتسليم هو موسى بن عمران بن قاهث بن عازر بن
لاوي بن يعقوب بن إبراهيم الخليل عليهم الصلاة من الرب الجليل قال الله تعالى
واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور
الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا وقد ذكره الله تعالى
في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن الكريم وذكر قصته في أماكن متعددة مبسوطة
مطولة وغير مطولة وقد تكلمنا على ذلك في التفسير وسنورد سيرته ههنا من ابتدائها
إلى آخرها من الكتاب والسنة وما ورد في الآثار المنقولة من الإسرائيليات التي ذكرها
السلف وغيرهم إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان قال الله تعالى ۝
بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق
لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح
أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون يذكر تعالى ملخص القصة ثم يبسطها بعد هذا فذكر أنه
يتلو على نبيه خبر موسى وفرعون بالحق أي بالصدق الذي كأن سامعه مشاهد للأمر معاين
له إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا أي تجبر وعتا وطغى وآثر الحياة الدنيا
وأعرض عن طاعة الله تعالى وقسم رعيته إلى أقسام وفرق وأنواع يستضعف طائفة
منهم وهم شعب بني إسرائيل الذين هم من سلالة إسرائيل نبي الله يعقوب بن نبي الله إسحق بن خليل الله

وكانوا اذ ذاك خيار اهل الارض وقد سلط عليهم هذا الملك الظالم الغاشم الكافر يستعبدهم
ويستخدمهم في اخس الصنايع ويذبح ابناهم ويستحيي نساهم وكان الموجب لذلك ان بني اسرايل
كانوا يتدارسون فيما بينهم ما كانوا ياثرونه عن الخليل عليه السلام من انه سيخرج من ذريته غلام
يكون هلاك ملك مصر على يديه وذلك حين اتى لسارة امراة الخليل لما اتى من ملك مصر
من ارادته اياها على السوء وعصمة الله لها وكانت هذه البشارة مشهورة في بني اسرايل فتحدث
به القبط فيما بينهم ووصلت الى فرعون فذكرها له بعض امرايه واساورته وهم يسمرون عنده فامر
عند ذلك بقتل ابنا بني اسرايل حذرا من وجود هذا الغلام ولن يغني حذر من قدر ثم ان فرعون
احترز كل الاحتراز على عدم وجود موسى حتى جعل القوابل والرجال يدورون على الحبالى
فلا تلد امراة ذكرا الا ذبحه اولئك الرجال الذابحون من ساعته هذا والقدر يقول
يا ايها الملك الجبار المغرور بكثرة جنوده وسلطة باسه واتساع ملكه قد حكم العظيم الذي لا يغالب ان هذا المولود الذي تحترز منه وقد
قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى لا يكون مرباه الا في دارك وعلى فراشك ولا
يغذى الا بطعامك وشرابك وانت الذي تربيه ثم يكون هلاكك في دنياك واخراك
على يديه لمخالفتك ما جاء به من الحق المبين ثم ان القبط شكوا الى فرعون قلة بني اسرايل
بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشوا ان يفنوا فيولوا ما كان بنو اسرايل يعالجون فامر
فرعون بقتل الابنا عاما وان يتركوا عاما فذكروا ان هرون ولد في عام المسامحة
وان موسى ولد في عام قتلهم فضاقت امه به ذرعا ولم يكن يظهر عليها مخايل الحبل فلما
وضعت الهمت ان اتخذت له تابوتا فربطته في حبل وكانت دارها متاخمة النيل فكانت

ترضعه فاذا خافت عليه وضعته في ذلك التابوت وارسلته في البحر وامسكت طرف
الحبل فاذا امنت عليه استرجعته اليها قال الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطيين
وقالت امرات فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون
هذا الوحي وحي الهام لانبيا كما قال تعالى واوحى ربك الى النحل قال السهيلي واسم ام موسى
ايارخا وقيل اياذخت والمقصود انها ارشدت الى ان تلقي ولدها في اليم وان الله سيرده اليها
فكانت تصنع ما امرت به فارسلته ذات يوم وذهلت ان تربط طرف الحبل عندها فذهب
مع النيل فمر على دار فرعون فالتقطه ال فرعون وذكر المفسرون ان الجواري التقطنه
من البحر في تابوت مغلق عليه فلم يتجاسرن على فتحه حتى وضعنه بين يدي اسية امراة فرعون
وهي اسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر زمن يوسف
وقيل انها كانت من بني اسرايل من سبط موسى وقيل بل كانت عمته فالله اعلم وسياتي
مدحها والثنا عليها في قصة مريم بنت عمران وانهما يكونان يوم القيمة من ازواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما فتحت الباب راته وجهه يتلالا بتلك الانوار النبوية والجلالة
الموسوية احبته حبا شديدا فلما جا فرعون قال ما هذا وامر بذبحه فاستوهبته منه
وقالت قرة عين لي ولك فقال لها فرعون اما لك فنعم واما لي فلا حاجة لي به والبلا موكل
بالمنطق وقولها عسى ان ينفعنا وقد انالها الله ما رجت منه من النفع في الدنيا والاخرة

قال ابن عباس وغيره وأصبح فؤاد أم موسى فارغا اي من كل شيء من أمور الدنيا الا من موسى ان
كادت لتبدي به اي لتظهر امره وتبا لغنه جهرة لولا ان ربطنا على قلبها اي صبرناها وثبتناها
لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه وهي ابنتها الكبرى اي اطلبي خبره فبصرت به عن
جنب قال مجاهد عن بعد وقال قتادة جعلت تنظر اليه وكأنها لا تريده ولهذا قال وهم لا
يشعرون وذلك انه لما استقر موسى بدار فرعون ارادوا ارضاعه فلم يقبل ثديا
ولا طعاما فحاروا في امره واجتهدوا على تغذيته بكل ممكن فلم يفعل كما قال تعالى وحرمنا عليه
المراضع من قبل فلما رأته اخته اظهرت انها لا تعرفه قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه
لكم وهم له ناصحون قال ابن عباس لما قالت ذلك قالوا لها ما يدريك بنصحهم وشفقتهم
عليه فقالت رغبة في صهر الملك ورجاء منفعته فذهبوا معها الى منزلهم فاخذته امه فلما
ارضعته التقم ثديها وشرع يمصه ففرحوا بذلك فرحا شديدا وذهب البشير الى آسية
يعلمها بذلك فاستدعتها الى منزلها ورتبت لها الرواتب وأجرت عليها النفقات ثم رجعت
به الى منزلها وقد جمع الله شملها به قال الله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن
ولتعلم ان وعد الله حق وقد امتن الله تعالى على موسى بهذا ليلة كلمه فقال له فيما قال
ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه
في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له والقيت عليك محبة مني وذلك انه
كان لا يراه احد الا احبه ولتصنع على عيني قال قتادة وغيره اي تطعم بأطيب المآكل
وتلبس احسن الملابس برأي مني وذلك كله بحفظي وكلايتي لك اذ تمشي اختك فتقول

هل

هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه فرجعناك الى امك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت
نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا ولما بلغ اشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك
نجزي المحسنين ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يتضاربان
هذا من شيعته اي اسرائيلي وهذا من عدوه اي قبطي فاستغاثه الاسرائيلي على القبطي وكانت
لموسى بديار مصر صولة بسبب نسبته الى تبني فرعون له وتربيته وحشمه وكانت بنو
اسرائيل قد عزوا وصارت لهم وجاهة بسبب انهم ارضعوه وصاروا اخواله من الرضاعة
فلما استغاث الاسرائيلي موسى على ذلك القبطي فوكزه اي طعنه بجمع كفه فقضى عليه فمات منها
وكان القبطي كافرا ولم يرد موسى قتله بالكلية وانما اراد زجره ومع هذا قال موسى هذا
من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين فاصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الاسرائيلي يتضارب
مع قبطي آخر فاراد ان يبطش به قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فخاف
وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك
من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب يخبر تعالى ان موسى اصبح بمدينة مصر خائفا من فرعون
وملئه ان يعلموا ان هذا القتيل الذي قتله موسى [illegible] رجل من بني اسرائيل فتقوى
ظنونهم ان موسى منهم ويترتب على ذلك امر عظيم ولما بلغ فرعون ان موسى قاتل ذلك المقتول
بالامس ارسل في طلبه فجاءه ذلك الرجل [illegible] خرج من مصر فريدا على وجهه لا يهتدي
الى الطريق قال رب نجني من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء
السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان

قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى
إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير أخبر تعالى عن خروج عبده ورسوله
وكليمه من مصر خائفا يترقب أي يتلفت خشية أن يدركه أحد من قوم فرعون وهو لا يدري
أين يتوجه ولا إلى أين يذهب فلما خرج من مصر قبلها ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي
أن يهديني سواء السبيل أي عسى أن تكون هذه الطريق موصلة إلى المقصود وكذا وقع وصله
إلى مقصود أي مقصود ولما ورد ماء مدين بئرا يستقون منه ومدين هي المدينة التي أهلك الله فيها
أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب عليه السلام وقد كان هلاكهم قبل موسى عليه السلام ولما
ورد الماء المذكور وسقى للمرأتين غنمهما ثم تولى إلى الظل قال المفسرون وذلك أن الرعاة كانوا
إذا فرغوا من وردهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة فتجيء هاتان المرأتان فيسقيان غنمهما
في فضل أغنام الناس فلما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده ثم استقى لهما وسقى
غنمهما ثم رد الحجر كما كان وكان لا يرفعه إلا عشرة ومن حين سار من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل
وورق الشجر وكان حافيا فسقطت نعلا قدميه من الحفا وهو صفوة الله من خلقه وإن بطنه
لاصق بظهره من الجوع وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة
فلما جلس موسى عليه السلام في الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير فسمعته المرأتان
فذهبتا إلى أبيهما فاستنكر سرعة رجوعهما فأخبرتاه ما كان من أمر موسى عليه السلام فأمر
إحداهما أن تذهب إليه لتدعوه فجاءته إحداهما تمشي على استحياء أي مشي الحرائر فقالت إن أبي
يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال له شعيب لا تخف

نجوت

نجوت من القوم الظالمين أي خرجت من سلطانهم فلست في مملكتهم وقيل إن شعيبا عاش
عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى وتزوج بابنته وروى ابن أبي حاتم وغيره
عن الحسن البصري أن صاحب موسى هذا اسمه شعيب وكان سيد الماء ولكن ليس بالنبي
صاحب مدين وقيل إنه ابن أخي شعيب وقيل ابن عمه وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب وقيل
رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب أهل الكتاب يثرون كاهن مدين أي حبرها وعالمها
قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله اسمه يثرون وهو ابن أخي شعيب فلما أضافه
وقص عليه القصص فعند ذلك قالت إحدى البنتين لأبيها يا أبت استأجره أي لرعي
غنمك ثم مدحته بأنه قوي أمين فقال لها أبوها وما علمك بهذا فقالت إنه رفع صخرة لا
يرفعها إلا عشرة وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه فقال كوني من ورائي فإذا اختلفت
الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق قال إني أريد أن أنكحك إحدى
ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك استدل
بهذا جماعة من أصحاب أبي حنيفة رحمه الله على صحة ما إذا باعه أحد هذين الثوبين
أو العبدين ونحو ذلك أنه يصح لقوله إحدى ابنتي هاتين وفي هذا نظر لأن هذه
مراوضة لا معاقدة والله أعلم واستدل أصحاب الإمام أحمد على صحة الإيجار بالطعمة
والكسوة كما جرت به العادة واستأنسوا بالحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه
مترجما عليه في كتابه باب استئجار الأجير على طعام بطنه حدثنا محمد بن المصفى
الحمصي ثنا بقية بن الوليد عن مسلمة بن علي عن سعيد بن أبي أيوب عن الحارث بن يزيد عن

كذا

علي بن رباح قال سمعت عتبة بن المنذر يقول كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا طسم
حتى اذا بلغ قصة موسى قال ان موسى عليه السلام اجر نفسه ثماني سنين او عشرا على عفة
فرجه وطعام بطنه وهذا من هذا الوجه لا يصح لان مسلمة بن علي الخشني الدمشقي البلاطي
ضعيف عند الائمة لا يحتج بتفرده ولكن قد روي من وجه اخر ثم قال تعالى ذلك بيني
وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلم يقض موسى الا الاجل الاطول
واتمهما عشر الوليل فلما اراد فراق شعيب امر امراته ان تسال اباها ان يعطيها من غنمه ما
يعيشون به فاعطاها ما ولدت من غنمه من قالب لون من ولد ذلك العام وكانت غنمه سودا
فانطلق موسى الى عصا قسمها من طرفها ثم وضعها في ادنى الحوض ثم اوردها فسقاها ووقف
بازا الحوض فلم تصدر منها شاة الا ضرب جنبها شاة شاة قال فاتامت والبنت ووضعت
كلها قوالب الوان الا شاة او شاتين ليس فيها فشوش ولا ضبوب ولا عزوز ولا ثعول
ولا كموشة تفوت الكف قال النبي صلى الله عليه وسلم لو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك
الغنم وهي السامرية وفي صحة رفع هذا الحديث نظر وقد يكون موقوفا فلما قضى موسى الاجل
وسار باهله انس من جانب الطور نارا قال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها
بخبر او جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن في
البقعة المباركة من الشجرة ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك
فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين
اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب فذانك

برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما فاسقين وقال في سورة طه فلما اتاها
نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية اكاد
اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى
قال غير واحد من المفسرين لما قصد موسى تلك النار التي راها فانتهى اليها وجدها تاجج
في شجرة خضراء من العوسج وكلما لتلك النار في اضطرام وكلما لخضرة تلك الشجرة في ازديا
فوقف متعجبا وكانت تلك الشجرة في لحف جبل غربي منه عن يمينه وكان موسى في واد
اسمه طوى فناداه به بالوادي المقدس طوى فامره اولا بخلع نعليه تعظيما وتكريما لتلك
البقعة المباركة ولا سيما في تلك الليلة المباركة وعند اهل الكتاب انه وضع يده
على وجهه من شدة ذلك النور مهابة له وخوفا على بصره ثم خاطبه تعالى كما يشا قايلا له
اني انا الله رب العالمين اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري اي انا الله
رب العالمين الذي لا اله الا هو الذي لا تصلح العبادة واقامة الصلاة الا له ثم اخبره ان
هذه الدنيا ليست بدار قرار وانما الدار الباقية يوم القيمة ثم قال له مخاطبا وموانسا
ومبينا له انه القادر على كل شي وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكا عليها
واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى اي هذه عصاي التي اعرفها واتحققها قال القها
يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى وهذا خارق عظيم وبرهان قاطع وعند اهل الكتاب
انه سال برهانا على صدقه عند من يكذبه من اهل مصر فقال له الرب عز وجل ما ذا

فهرب موسى من قدامها فامره الرب جل جلاله ان يبسط يده وياخذها بذنبها فلما استمكن
اردت عصا في يده وقد قال الله تعالى في الاية الاخرى وان الق عصاك فلما راها
تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب اي قد صارت حية عظيمة لها ضخامة وانياب
تصطك وهي مع ذلك في سرعة حركة الجان وهو ضرب من الحيات فلما راها موسى
ولى مدبرا اي هاربا منها لان الطبيعة البشرية تقتضي ذلك ولم يعقب اي ولم يلتفت
فناداه ربه اقبل ولا تخف انك من الامنين فلما رجع امره الله تعالى ان يمسكها قال
خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى فيقال انه هابها وضع يده في كم مدرعته ثم
وضع يده في وسطها وعند اهل الكتاب بذنبها فلما استمكن منها اذا هي قد عادت عصا كما كانت
ذات شعبتين فسبحان الله القدير العظيم ثم امره الله تعالى بادخال يده في جيبه تخرج
بيضا من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب قيل معناه اذا خفت فضع يدك على
فوادك يسكن جاشك وقال وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء في تسع ايات
الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي هاتان الايتان وهما العصا واليد هما
البرهانان المشار اليهما في قوله فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما
فاسقين ومع ذلك سبع ايات اخر فذلك تسع ايات بينات وهي المذكورة في اخر سورة سبحان
حيث يقول تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقال
له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات
والارض بصاير واني لاظنك يا فرعون مثبورا وهذه التسع الايات غير العشر كلمات

فان التسع من جملة ايات الله القدرية والعشر من جملة الشرعية وانما نبهت على هذا
لانه قد اشتبه امرها على بعض الرواة فظن ان هذه هي هذه والمقصود ان الله تعالى
لما امر موسى بالذهاب الى فرعون قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان
يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي ردا يصدقني اني اخاف
ان يكذبون يقول الله تعالى مخبرا عن كليمه موسى في جوابه لربه تعالى حين امره
بالذهاب الى عدوه الذي خرج من مصر فرارا من سطوته من اجل قتل القبطي ولهذا
قال رب اني قتلت منهم نفسا الايات اي اجعل معي هرون معينا وردا ووزيرا
يساعدني ويعينني على اداء رسالتك اليهم فانه افصح مني لسانا وابلغ بيانا قال
الله تعالى مجيبا الى سواله سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اي برهانا
فلا يصلون اليكما اي فلا ينالون منكما مكروها وقال في سورة طه اذهب الى
فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي قيل انه اصابه في لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها
على لسانه حين اراد فرعون اختبار عقله حين اخذ بلحيته وهو صغير فهم بقتله
فخافت عليه اسية وقالت انه طفل فاختبره بوضع تمرة وجمرة بين يديه فهم
باخذ التمرة فصرف الملك يده الى الجمرة فاخذها ووضعها على لسانه فاصابه لثغة
بسببها فسال زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ولم يسال زوالها بالكلية
وقد قال فرعون ولا يكاد يبين اي يفصح عن مراده ثم قال واجعل لي

وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري قال قد اوتيت سولك
يا موسى اي قد اجبناك الى ما سالت وهذا من وجاهته عند ربه عز وجل حين
شفع ان يوحي الله الى اخيه فاوحي اليه وهذا جاه عظيم قال الله تعالى وكان
عند الله وجيها وقال تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل قال الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين اي ربيناك
وانت صغير واحسنا اليك وانعمنا عليك مدة من الدهر وقتلت ذلك الرجل القبطي
وفررت منا وجحدت نعمتنا قال فعلتها اذا وانا من الضالين اي قبل ان يوحى الي
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين قال فرعون وما رب
العالمين لانهما قالا له انا رسول رب العالمين فكانه يقول لهما ومن رب العالمين
الذي تزعمان انه ارسلكما فاجابه موسى قال رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين يعني رب العالمين خالق هذه السموات والارض وما بينهما
من السحاب والرياح والمطر والنبات والحيوانات وهو الله الذي لا اله الا هو
رب العالمين قال فرعون لمن حوله من امرائه ووزرائه على سبيل التهكم والتنقص
لما قرره موسى عليه السلام الا تستمعون يعني الى ما يقول هذا قال موسى مخاطبا له ولهم
ربكم ورب ابائكم الاولين فان كل احد يعلم انه لم يخلق نفسه وانما اوجده وخلقه
الله رب العالمين ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته بل استمر على طغيانه

وعناده

وشقوته

وعناده قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما
بينهما ان كنتم تعقلون اي هو المسخر لهذه الكواكب والافلاك خالق الظلام والضياء
ورب الارض والسماء ورب الاولين والاخرين خالق الشمس والقمر والكواكب السيارة والكل
تحت قهره وتسخيره فلما قامت الحجج على فرعون وانقطعت شبهته ولم يبق له سوى العناد عدل
الى استعمال سلطانه وجاهه وسطوته قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
قال اولو جئتك بشيء مبين قال فات به ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وهذان هما البرهانان اللذان ايده الله
بهما العصا واليد فلما عاين فرعون ذلك اخذه رعب شديد بحيث انه حصل له اسهال
عظيم اكثر من اربعين مرة في يوم وكان قبل ذلك لا يتبرز في كل اربعين يوما الا مرة واحدة ومع
هذا كله لم يرتدع وقال ان هذا لساحر واراد معارضته بالسحرة وقد ذكر السدي
وغيره انه لما قدم من بلاد مدين دخل على امه واخيه هرون وهما يتعشيان من طعام
فيه الطفيشل وهو اللفت فاكل معهما ثم قال يا هرون ان الله امرني وامرك ان
ندعو فرعون الى عبادته فقم معي فقاما فقصدا باب فرعون فاذا هو مغلق فقال موسى
للبوابين والحجبة اعلموه ان رسول الله بالباب فجعلوا يسخرون منه وقد زعم بعضهم
انه لم يؤذن لهما الا بعد حين طويل وقال محمد بن اسحق بعد سنتين وقيل ان موسى
تقدم الى الباب فطرقه بعصاه فانزعج فرعون وامر باحضارهما فوقفا بين يديه
فدعواه الى الله عز وجل كما امرهما وعند اهل الكتاب ان الله تعالى اوحى

الى هرون ان يخرج الى اخيه يتلقاه بالبرية عند جبل حوريب فلما لقاه اخبره بما امره الله به فلما دخلا مصر جمعا شيوخ بني اسرائيل وذهبا الى فرعون وابلغاه رسالة الله قال من هو الله لا اعرفه ولا ارسل بني اسرائيل

قوله تعالى ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى

ثم ان فرعون جمع الله جمع من كان في بلاده من السحرة وكانت بلاد مصر في ذلك الزمان مملوة سحرة فضلا في فنهم فقيل جمع ثمانين الفا قاله محمد بن كعب وقيل سبعين الفا قاله القسم بن ابي بزة وقال السدي بضعة وثلثين الفا وعن ابي امامة تسعة عشر الفا وقال محمد بن اسحق خمسة عشر الفا وقال كعب الاحبار اثني عشر الفا وعن ابن عباس سبعين رجلا وعنه ايضا كانوا اربعين غلاما من بني اسرائيل امرهم فرعون ان يذهبوا فيتعلموا السحر ولهذا قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا نظر وحضر فرعون وامراوه واهل دولته واهل بلده عن اخرهم وذلك ان فرعون نادى فيهم ان يحضروا هذا الموقف العظيم فخرجوا وهم يقولون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فتقدم موسى عليه السلام الى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي السحر الباطل الذي فيه معارضة لايات الله تعالى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ولما اصطف السحرة

ووقف موسى وهرون عليهما السلام تجاههم قالوا له اما ان تلقي قبلنا واما ان نلقي قبلك قال بل القوا انتم وكانوا قد عمدوا الى حبال وعصي فاودعوها الزيبق وغيره من الالات التي تضطرب بسببها تلك الحبال والعصي اضطرابا يخيل للراي انها تسعى باختيارها وانما تتحرك بسبب ذلك فعند ذلك سحروا اعين الناس واسترهبوهم وهم يقولون بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فخاف موسى ان يفتتنوا بسحرهم قبل ان يلقي ما في يده فاوحى الله اليه في الساعة الراهنة لا تخف انك الاعلى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون

وذلك ان موسى عليه السلام لما القاها صارت حية عظيمة ذات قوائم فيما ذكره غير واحد من علما السلف وعنق عظيم وشكل هايل مزعج بحيث ان الناس هربوا منها سراعا واقبلت على ما القوه من الحبال والعصي فجعلت تلقفه واحدا واحدا في اسرع ما يكون من الحركة والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها واما السحرة فانهم راوا ما هالهم وحاروا في امرهم فعند ذلك تحققوا بما عندهم من العلم وان هذا ليس بسحر وانه حق وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة فانابوا الى ربهم وخروا له ساجدين وقالوا امنا برب موسى وهرون قال امنتم به قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى قالوا لن نوثرك على ما جانا من البينات والذي فطرنا فاقض ما انت

إنما تقضي هذه الحيوة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من
السحر والله خير وابقى قال سعيد بن جبير وعكرمة لما سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم
في الجنة تزخرف لقدومهم ولهذا لم يلتفتوا الى تهويل فرعون ولما راى فرعون السحرة قد
اسلموا واشهروا ذكر موسى وهرون افزعه ذلك وراى امرا بهره واعمى بصيرته ثم ان فرعون
لعنه الله تعالى صلبهم وعذبهم رضي الله عنهم اعني السحرة قال ابن عباس كانوا اول النهار
سحرة فصاروا في آخره شهداء بررة ويؤيد هذا قولهم ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين
ولما وقع ما وقع من الامر العظيم وهو الغلب الذي غلبته القبط في ذلك الموقف الهائل
واسلم السحرة لم يزدهم ذلك الا كفرا وعنادا ثم ان امرا فرعون وكبراء دولته حرضوا
ملكهم فرعون لعنه الله تعالى على اذية نبي الله وكليمه موسى عليه السلام فقالوا اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك يعنون قبحهم الله ان دعوته الى عبادة الله وحده لا
شريك له والنهي عن عبادة ما سواه فساد بالنسبة الى اعتقاد القبط لعنهم الله تعالى وقرأ
بعضهم ويذرك والاهتك اي وعبادتك ويحتمل شيئين احدهما ويذر دينك وتقويه القراءة
الاخرى الثاني ويذر ان يعبدك فانه كان يزعم انه اله لعنه الله تعالى قال سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان
يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب

يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون
ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد وهذا الرجل هو ابن عم فرعون
وكان يكتم ايمانه من قومه خوفا منهم على نفسه وزعم بعض الناس انه كان اسرائيليا
وهو بعيد ومخالف لسياق الكلام لفظا ومعنى والله اعلم قال ابن عباس لم يؤمن من
القبط بموسى الا هذا والذي جاء من اقصى المدينة وامرأة فرعون رواه ابن ابي حاتم قال
الدارقطني لا نعرف من اسمه شمعان بالشين المعجمة الا مؤمن آل فرعون حكاه السهيلي
والمقصود ان هذا الرجل كان يكتم ايمانه فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى عليه السلام
وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب
والترهيب فقال على وجه المشورة والرأي وقد ثبت في الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وهذا من اعلى المراتب
بهذا المقام فان فرعون لا اشد جورا منه وهذا الكلام لا اعدل منه ويحتمل انه كاشفهم
باظهار ايمانه وصرح لهم بما كان يكتمه والاول اظهر والله اعلم وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا
وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب كذب
فرعون موسى عليه السلام في دعواه ان الله ارسله وزعم فرعون لقومه ما كذبه وافتراه
في قوله لهم ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين وقال هنا لعلي ابلغ الاسباب اسباب

السموات اي طرقها ومسالكها فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا يحتمل هذا معنيين
احدهما واني لاظنه كاذبا في قوله ان للعالم ربا غيري والثاني في دعواه ان الله ارسله
والاول اشبه بظاهر حال فرعون فانه كان ينكر ظاهرا اثبات الصانع والثاني
اقرب الى اللفظ حيث قال فاطلع الى اله موسى اي فاسئله هل ارسله ام لا واني
لاظنه كاذبا اي في دعواه ذلك وانما كان مقصود فرعون ان يصد الناس عن
تصديق موسى عليه السلام وان يحثهم على تكذيبه وذكر غير واحد من المفسرين ان هذا
الصرح هو القصر الذي بناه وزيره هامان لم ير بناء اعلى منه وانه كان مبنيا من الاجر المشوي
بالنار ولهذا قال فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا ولنرجع الى نصيحة المؤمن
وموعظته وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحيوة
الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار الى قوله بغير حساب يدعوهم رضي الله عنه
الى طريق الرشاد وهي متابعة نبي الله موسى ودعاهم الى عبادة رب السموات والارض
الذي يقول للشيء كن فيكون وهم يدعونه الى عبادة فرعون الجاهل الملعون ولهذا قال
لهم على سبيل الانكار ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار تدعونني لاكفر
بالله واشرك به ما ليس لي به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار والمقصود ان
الله تعالى لم يهلكهم الا بعد اقامة الحجج عليهم وارسال الرسول اليهم كما قال تعالى ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون وان الله تعالى ابتلى آل
فرعون وهم قومه من القبط بالسنين وهي اعوام الجدب وقلة الثمرات من الاشجار وهم

يستمرون

يستمرون على كفرهم وعنادهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين اما
الطوفان فعن ابن عباس هو كثرة الامطار المتلفة للزروع والثمار وبه قال سعيد
ابن جبير وقتادة والسدي والضحاك وعن ابن عباس وعطا هو كثرة الموت وقال مجاهد الطوفان
الماء والطاعون على كل حال واما الجراد فمعروف وقد روى ابو داود عن ابي عثمان
عن سلمان الفارسي قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجراد فقال اكثر جنود
الله لا آكله ولا احرمه وترك آكله انما هو على وجه التقذر له كما ترك اكل الضب
وتنزه عن اكل البصل والثوم والكراث لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن ابي اوفى
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل الجراد والمقصود انه استاق
زروعهم وثمارهم ولم يترك لهم شيئا منه واما القمل فعن ابن عباس هو السوس الذي يخرج من
الحنطة وقيل هي الجراد الصغار الزحاف وقيل هي البراغيث وقيل هي القراد فدخل معهم
البيوت والفرش فلم يقر لهم قرار ولم يمكنهم معه الغمض ولا العيش وفسره عطا بن السائب
بهذا القمل المعروف وقراها الحسن البصري بالتخفيف واما الضفادع فمعروفة لبستهم
حتى كانت تسقط في اطعمتهم واوانيهم حتى ان احدهم اذا فتح فاه لطعام او شراب سقطت
في فيه ضفدعة من تلك الضفادع واما الدم فكان قد مزج ماؤهم به فلا يستقون من
النيل شيئا الا وجدوه دما عبيطا ولا من نهر ولا بئر ولا شيء الا كان دما في الساعة الراهنة
هذا كله لم ينل بني اسرائيل من ذلك شيء بالكلية وهذا من تمام المعجزة الباهرة

رسول الله صلى الله عليه وسلم

وفي هذا أدل دليل قال محمد بن إسحق فرجع عدو الله فرعون حين آمنت السحرة مغلوبًا مغلولًا
ثم أبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه بالآيات المذكورات السنين
والطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان فعلا الماء
ففاض على وجه الأرض ثم ركد فلا يقدرون على الحرث فمنعهم ذلك من الزرع حتى جهدوا جوعًا فلما
بلغهم ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء فأرسل الله عليهم الجراد
فأكل الشجر فيما بلغني حتى إن كان ليأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم
فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه فلم يفوا له بشيء مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر
لي أن موسى عليه السلام أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه فمشى إلى كثيب أهيل عظيم
فضربها فانثال عليهم قملًا حتى غلب على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار فقالوا مثل ما قالوا
فأرسل عليهم الضفادع فملأت البيوت والأطعمة فلم تكشف ثوبًا ولا طعامًا إلا وجد فيه
الضفادع قد غلبت عليه فاتفق لهم ما اتفق فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه فرعون
دمًا كأنه دم وقال زيد بن أسلم المراد بالدم الرعاف ومع هذا لا يؤمنوا واستمروا على
كفرهم وضلالهم واستكبارهم عن آيات الله هذا والرب العظيم جلت قدرته وعظمته
ينظرهم ولا يعجل عليهم ويؤخرهم ويقدم بالوعيد إليهم ثم أخذهم بعد إقامة الحجة عليهم
أخذ عزيز مقتدر فجعلهم عبرة ونكالًا وأشباههم من الكافرين ومثلًا لمن اتعظ بهم من المؤمنين
ولما استكبر وقومه عن اتباع الحق اشتد غضب الرب القدير عليهم فانتقم منهم أشد الانتقام

أتباع

فرعون

واغرقه

وأغرقه هو وجنوده فلم يفلت منهم أحد ولم يبق منهم ديار لعنة الله عليهم أجمعين ذكر
هلاك فرعون وجنوده لما تمادى قبط مصر على كفرهم وعتوهم ومتابعتهم لملكهم
فرعون ومخالفة نبي الله ورسوله وكليمه موسى عليه السلام وأقام الله على أهل مصر
الحجج العظيمة وأراهم من خوارق العادات ما بهر الأبصار وهم مع ذلك لا يرعوون
ولم يؤمن منهم إلا القليل امرأة فرعون ولا علم لأهل الكتاب بخبرها ومؤمن آل فرعون كما تقدم
والرجل الناصح الذي جاء يسعى من أقصى المدينة وقيل بل آمن به طائفة من القبط من قوم فرعون
والسحرة كلهم وجميع شعب بني إسرائيل ويدل على هذا قوله فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه
على خوف من فرعون وملائهم ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى وهرون أن تتخذا لقومهما
بيوتًا متميزة فيما بينهم عن بيوت القبط ليكونوا على أهبة الرحيل إذا أمروا به ليعرف
بعضهم بيوت بعض بدليل قوله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر
بيوتًا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين أي اجعلوا بيوتكم مساجد
وقيل معناه كثرة الصلوة ومعناه استعينوا على ما أنتم فيه من الشدة والضيق بكثرة
الصلاة كما قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا حزبه أمر صلى وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا
في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون هذه دعوة عظيمة دعا بها كليم الله موسى على عدو الله فرعون

وكان هرون يؤمن على دعاء اخيه فنزل في ذلك منزلة الداعي ايضا فكان الجواب من الله
الكريم قد اجيبت دعوتكما فاستقيما قال المفسرون وغيرهم من اهل الكتاب
استاذن بنو اسرائيل فرعون في الخروج الى عيد لهم فاذن لهم وهو كاره وكانوا قد تجهزوا
للخروج وتاهبوا له وانما كان في نفس الامر مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم وذكر
اهل الكتاب ان الله تعالى امرهم ان يستعيروا حليا منهم فاعاروهم شيئا كثيرا فخرجوا
بليل فساروا ذاهبين من فورهم قاصدين بلاد الشام فلما علم فرعون بذهابهم حنق عليهم
وغضب وشرع في استحثاث جيشه ليلحقهم ويمحقهم قال علماء التفسير لما ركب
فرعون في جنوده طالبا بني اسرائيل كان في جيش عظيم عرمرم حتى قيل كان في خيوله
مائة الف فحل ادهم وكانت عدة الجنود تزيد على الف الف وستمائة الف فالله اعلم وقيل
ان بني اسرائيل كانوا نحوا من ستمائة الف مقاتل غير الذرية وكان بين خروجهم من مصر
صحبة موسى عليه السلام ودخولهم اليها صحبة ابيهم اسرائيل اربعمائة سنة وستا وعشرين سنة
شمسية هذا ذكره ابن كثير في تاريخه والمقصود ان فرعون لحقهم بجنوده فادركهم عند شروق
الشمس وتراءى الجمعان ولم يبق الا المقاتلة فعند ذلك قال اصحاب موسى وهم خائفون انا
لمدركون وذلك لانهم اضطروا في طريقهم الى البحر فليس لهم طريق ولا محيد الا سلوكه
وخوضه وهذا ما لا يستطيعه احد ولا يقدر عليه والجبال الشاهقة عن يسرتهم وعن ايمانهم
وفرعون قد غالقهم وواجههم وعاينوه في جنوده وجيوشه وهم منه في غاية الخوف لما قاسوا
في سلطانه من الاهانة والنكر فشكوا الى نبي الله ما هم فيه فقال لهم الرسول كلا ان معي

وهو يعقوب عليه السلام

ربي

ربي سيهدين وكان في الساقة فتقدم الى الامام فنظر الى البحر وهو يتلاطم بامواجه وهو
يقول ههنا امرت ومعه اخوه هرون ويوشع بن نون وهو يومئذ من سادات بني اسرائيل
وعلمائهم وعبادهم الكبار وقد اوحى الله تعالى اليه وجعله نبيا بعد موسى وهرون عليهما السلام
كما سنذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى ومعهم ايضا مؤمن آل فرعون وهم وقوف وبنو اسرائيل
بكمالهم عليهم عكوف فلما تفاقم الامر وضاق الحال واشتد الجزع واقترب فرعون وجنوده وزاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر فعند ذلك اوحى الحليم العظيم رب العرش الكريم
الى موسى الكليم ان اضرب بعصاك البحر فلما ضربه يقال انه قال له انفلق باذن الله ويقال
انه كناه بابي خالد فالله اعلم ويقال انه انفلق اثني عشر طريقا لكل سبط طريق يسيرون
فيه حتى قيل انه صار ايضا شبابيك ليرى بعضهم بعضا وفي هذا نظر لان الماء جرم شفاف
اذا كان من ورائه ضياء حكاه وهكذا كان ماء البحر قائما مثل الجبال مكفوفا بالقدرة
العظيمة الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون وامر الله تعالى ريح الدبور فلفحت ارض
البحر فصارت يابسة لا يعلق في سنابك الخيول والدواب ولما آل امر البحر الى هذه الحال
باذن الرب العظيم الشديد المحال امر موسى عليه السلام ان يجوزه ببني اسرائيل
فانحدروا فيه مسرعين مستبشرين مبادرين فلما جاوزوه وجاوزوه وخرج آخرهم منه
وانفصلوا عنه كان ذلك عند قدوم اول جيوش فرعون اليه فاراد موسى ان يضرب
البحر بعصاه ليرجع كما كان لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول اليه فامره الرب العظيم
ان يتركه على هذه الحال كما قال وهو الصادق في المقال واترك البحر رهوا انهم جند

الله

مغرقون

اي اترك البحر ساكنا على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة فلما تركه على حالته وانتهى فرعون
اليه فراى ما راى وعاين ما عاين هاله هذا المنظر العظيم وتحقق ان ذلك من فعل رب العرش
الكريم فاحجم ولم يتقدم وندم في نفسه على خروجه في طلبهم ولكن اظهر لجنوده تجلدا وعاملهم
معاملة العدا وحملته النفس الكافرة والسجية الفاجرة على ان قال لمن استخفهم فاطاعوه
انظروا كيف انحسر البحر لي لادرك عبيدي الابقين من يدي الخارجين عن طاعتي وبلدي
وجعل يوري في نفسه ان يذهب خلفهم ويرجو ان ينجو وهيهات ويقدم تارة ويحجم تارة وكلما
فذكروا ان جبريل عليه السلام تبدا في صورة فارس راكب على رمكة حائل
فمر بين يدي فحل فرعون لعنه الله فحمحم اليها واقبل عليها واسرع جبريل بين يديه فاقتحم
البحر واستبق الجواد وقد اجاد فبادر مسرعا هذا وفرعون لا يملك لنفسه ولا من
نفسه ضرا ولا نفعا فلما راته الجنود قد سلك البحر اقتحموا وراءه مسرعين فحصلوا في البحر اجمعين
حتى هم اولهم بالخروج منه فعند ذلك امر الله تعالى كليمه ان يضرب البحر بعصاه فارتطم
عليهم البحر كما كان فلم ينج منهم انسان قال الله تعالى فانجينا موسى ومن معه اجمعين
ثم اغرقنا الاخرين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
اي في انجائه اولياءه فلم يغرق منهم احد واغراقه اعداءه فلم يخلص منهم احد اية
عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى وصدق رسوله فلما غرقوا اعداء الله وجعلت
الامواج ترفع فرعون تارة وتخفضه اخرى وبنوا اسرائيل ينظرون اليه والى جنوده ما
ذا احل الله بهم وبه من الباس العظيم فلما عاين فرعون الهلكة اناب وامن حين لا

ينفع

فيما ورد جاء

١٠٦

ينفع نفسا ايمانها قال الله تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي
امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وروى
الامام احمد قال ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال فرعون امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل قال لي جبريل لو رايتني وقد اخذت من حال
البحر فدسسته في فيه مخافة ان تناله الرحمة ورواه الترمذي وابن جرير وابن ابي
حاتم عند هذه الاية من حديث حماد بن سلمة وقال الترمذي حديث حسن وفي بعض الروايات
ان جبريل قال ما ابغضت احدا بغضي لفرعون حين قال انا ربكم الاعلى ولقد جعلت ادس
في فيه الطين خشية ان تسبق رحمة الله فيه غضبه حين قال ما قال وكان فرعون قد رفع
صوته واشار باصبعه امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل فخاف جبريل ففعل
ما فعل وقوله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين استفهام انكار على عدم قبوله
تعالى منه ذلك لانه والله اعلم لو رد الى الدنيا كما كان لعاد الى ما كان عليه كما اخبر الله تعالى
عن الكفار اذا عاينوا النار وشاهدوها انهم يقولون يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا
ونكون من المؤمنين قال الله بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه وانهم لكاذبون قال ابن عباس وغير واحد شك بعض بني اسرائيل
في موت فرعون حتى قال بعضهم انه لا يموت فامر الله البحر فرفعه على وجه الماء وقيل على نجوة
من الارض وعليه درعه التي يعرفونها من ملابسه فتحققوا اهلاكه وعلموا قدرة الله تعالى عليه

ولهذا قال فاليوم ننجيك ببدنك لتكون اية لبني اسرائيل دليلا على قدرة الله الذي اهلكه
ومن كان هلاكه ونجوه يوم عاشورا اخرج الامام البخاري رحمه الله في صحيحه
ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة واليهود تصوم عاشورا فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه انتم احق بموسى منهم فصوموا واصل هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما
والله اعلم **فصل** فيما كان من امر بني اسرائيل بعد هلاك فرعون
عند اهل الكتاب ان بني اسرائيل لما امروا بالخروج من مصر جعل الله ذلك الشهر اول
سنتهم وامروا ان يذبح اهل كل بيت حملا من الغنم فان كانوا لا يحتاجون الى حمل فليشترك
الجار وجاره فيه فاذا ذبحوه فلينضحوا من دمه على اعتاب ابوابهم ليكون علامة لهم على بيوتهم
ولا ياكلوه مطبوخا ولكن مشويا براسه وأكارعه وبطنه ولا يبقوا منه شيئا ولا يكسروا له
عظما ولا يخرجوا منه شيئا الى خارج بيوتهم وليكن خبزهم فطيرا سبعة ايام ابتداؤها من الرابع
عشر من الشهر الاول من سنتهم وكان ذلك في فصل الربيع فاذا اكلوا فلتكن اوساطهم مشدودة
وخفافهم في ارجلهم وعصيهم في ايديهم وليأكلوا بسرعة قياما ومهما فضل من عشائهم فما بقي الى
الغد فليحرقوه بالنار وشرع لهم هذا عيدا لاعقابهم ما دامت التوراة معمولا بها فاذا نسخت
بطل شرعها وقد وقع **قالوا** وقتل الله عز وجل في تلك الليلة ابكار القبط وابكار دوابهم ليشتغلوا
عنهم وخرج بنو اسرائيل حين انتصف الليل واهل مصر في مناحة عظيمة على ابكار اولادهم
وابكار اموالهم ليس من بيت الا وفيه عويل وحين جاء الوحي الى موسى خرجوا مسرعين فحملوا العجين

قبل

قبل اختماره وحملوا الازواد في الاردية على عواتقهم وكانوا قد استعاروا من اهل مصر حليا كثيرا
فخرجوا وهم ستمائة الف رجل سوى الذراري بما معهم من الانعام وكان مدة مقامهم بمصر اربعمائة
وثلاثين سنة هذا نص كتابهم وهذه السنة تسمى عندهم سنة الفسخ وهذا العيد عيد الفسخ
ولهم عيد الفطير وعيد الحمل وهو اول السنة وهذه الاعياد الثلاثة اكد اعيادهم منصوص
عليها في كتابهم ولما خرجوا من مصر اخرجوا معهم تابوت يوسف عليه السلام وخرجوا وكانوا يسيرون
نهارا والسحاب بين ايديهم يسير امامهم فيه عمود نور وبالليل امامهم عمود نار الى ان انتهوا الى البحر
وانتهى لهم ما اتفق **وذكروا** انهم لما جاوزوا البحر وذهبوا قاصدين الى بلاد الشام مكثوا ثلاثة
ايام لا يجدون ماء فتكلم من تكلم منهم بسبب ذلك فوجدوا ماء زعاقا اجاجا لم يستطيعوا شربه
فامر الله موسى فاخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض
وسننا ووصاه وصايا كثيرة **ثم انهم مروا في طريقهم** على قوم يعبدون اصناما على صورة البقر
فسألوهم ما لهم تعبدونها فزعموا انها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضرورات فكان
بعض الجهال منهم صدقوهم في ذلك فسألوا نبيهم الحليم ان يجعل لهم الهة كما لاولئك الهة
فقال لهم ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ثم ذكرهم نعمة الله عليهم في تفضيله
على اهل زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذي بين اظهرهم وما احسن به اليهم من هلاك فرعون
وليس كل بني اسرائيل سأل هذا السؤال بل الضمير عائد على الجنس في قوله وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم
قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون **والمقصود**

ان موسى لما انفصل من بلاد مصر وقصد بيت المقدس وجد فيها قوما من الجبارين من الحيثانيين
والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فامرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتالهم
واجلائهم عن بيت المقدس فابوا ونكلوا عن الجهاد فسلط الله عليهم الخوف والقاهم في التيه
يسيرون ويحلون مدة من السنين طويلة هي من العدد اربعون بدليل قوله تعالى فانها محرمة عليهم
اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تاس على القوم الفاسقين فذكرهم نبي الله نعم الله عليهم
وبامرهم الجهاد في سبيل الله ومقاتلة اعدائه فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله
لكم ولا ترتدوا على ادباركم اي تنكلوا عن قتال اعدائكم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى ان
فيها قوما جبارين اي عتاة كفرة متمردين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا
داخلون خافوا من هولاء الجبارين وقد عاينوا هلاك فرعون وهو اجبر من هولاء واشد باسا
واكثر جمعا واعظم جنودا وهذا يدل على انهم ملومون في هذه المقالة وقد ذكر
كثير من المفسرين هاهنا اثارا فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها
من انهم كانوا اشكالا هائلة ضخاما جدا حتى ذكروا ان رسل بني اسرائيل لما قدموا عليهم
تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل ياخذهم واحدا واحدا ويلفهم في اكمامه وحجزة سراويله
وهم اثنا عشر رجلا فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين فقال ما هولاء ولم يعرف انهم من
بني ادم حتى عرفوه وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها وان الملك بعث معهم
عنبا كل عنبة تكفي الرجل ليعلموا ضخامة اشكالهم وهذا ليس بصحيح وذكروا هاهنا
ان عوج بن عنق خرج من عند الجبارين الى بني اسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة الاف

ذراع وثلثمائة وثلثين ذراعا وثلث ذراع هكذا ذكره البغوي وغيره قال ابن كثير وليس
بصحيح كما قدمنا بيانه عند قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا ثم
لم يزل الخلق ينقص حتى الان قالوا فعمد عوج الى قلة جبل فقلعها ثم اخذها بيديه ليلقيها
على جيش موسى فجاء طائر فنقر تلك الصخرة فخرقها فصارت طوقا في عنق عوج بن عنق ثم عمد
موسى اليه فوثب في الهواء عشرة اذرع وطوله عشرة اذرع وبيده عصا طولها عشرة اذرع
حتى وصل الى كعب قدمه فقتله يروى هذا عن نوف البكالي ونقله ابن جرير عن ابن
عباس وفي اسناده اليه نظر ثم هو مع هذا كله من الاسرائيليات وكل هذه
من وضع جهال بني اسرائيل ثم لو كان هذا صحيحا لكان بنو اسرائيل معذورين في
النكول عن قتالهم وقد ذمهم الله تعالى على نكولهم وعاقبهم بالتيه على ترك جهادهم ومخالفتهم
رسولهم وقد اشار عليهم رجلان صالحان منهم بالاقدام ونهياهم عن الاحجام ويقال
انهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطية والسدي
والربيع بن انس وغير واحد قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله وقرا
بعضهم يخافون اي يهابون انعم الله عليهما اي بالاسلام والشجاعة ادخلوا عليهم الباب
فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي اذا توكلتم عليه
واستعنتم به ولجاتم اليه نصركم على عدوكم قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا
فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فعمهم ملاذهم على النكول عن الجهاد
ووقع امر عظيم فيقال ان يوشع وكالب لما سمعا هذا الكلام شقا ثيابهما وان موسى

وهرون

تنجز العطا ما احسن المقالة مغضب لله وشفقة على بني اسرائيل من قبيل هذا الكلام
قال رب اني لا املك الا نفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال
ابن عباس اقض بيني وبينهم قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض
فلا تاس على القوم الفاسقين عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الارض يسيرون الى
غير مقصد ليلا ونهارا صباحا ومسا ويقال انه لم يخرج احد من التيه ممن دخله بل
ماتوا كلهم في مدة اربعين سنة ولم يبق الا ذراريهم سوى يوشع وكالب عليهما السلام
لكن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم اجمعين يوم بدر لم يقولوا له كما قال
قوم موسى لموسى بل لما استشارهم في الذهاب الى النفير تكلم الصديق رضوان الله عليه
فاحسن وغيره من المهاجرين ثم جعل يقول اشيروا علي حتى قال سعد بن معاذ كانك تعرض
بنا يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا انا لصبر في
الحرب صدق في اللقا لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك **وفي حديث** اخر قال
الامام احمد ثنا اسود بن عامر ثنا اسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال قال عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه لقد شهدت من المقداد مشهدا لان اكون انا صاحبه احب الي
مما عدل به اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين فقال والله يا رسول
الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون

ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن بين يديك ومن خلفك فرايت وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرق لذلك وسر بذلك رواه البخاري في التفسير
والمغازي من طرق عن مخارق به

فصل

في دخول بني اسرائيل التيه وما جرى لهم فيه من الامور العجيبة **قد ذكرنا** نكول
بني اسرائيل عن قتال الجبارين وان الله عز وجل عاقبهم بالتيه وحكم بانهم لا يخرجون
منه الى اربعين سنة ولم ار في كتاب اهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين
ولكن فيه ان يوشع جهزه موسى لقتال طائفة من الكفار وان موسى وهرون وخور
جلسوا على راس اكمة ورفع موسى عصاه فكلما رفعها انتصر يوشع عليهم وكلما مالت يده
بها من تعب او نحوه غلبهم اولئك وجعل هرون وخور يدعمان يديه عن يمينه وشماله
ذلك اليوم الى الغروب فانتصر حزب يوشع عليه السلام **قالوا** ودخل بنو
اسرائيل البرية عند سيناء في الشهر الثالث من خروجهم من مصر وكان خروجهم في
اول السنة التي شرعت لهم وهي اول فصل الربيع فكانهم دخلوا التيه في
اول فصل الصيف والله اعلم **قالوا ونزل** بنو اسرائيل حول طور سينا وصعد
موسى الجبل فكلمه ربه وامره ان يذكر بني اسرائيل ما انعم الله به عليهم من انجائه
اياهم من فرعون وقومه وكيف حملهم على مثل جناحي نسر من يده وقبضته وامره
بان يامر بني اسرائيل بان يتطهروا ويغتسلوا ويغسلوا ثيابهم وليستعدوا الى اليوم
الثالث فاذا كان في اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل ولا يقترب منهم احد اليه

فمن دنا منه قتل حتى ولا شي من البهائم ما داموا يسمعون صوت القرن فاذا سكن
القرن فقد حل لهم ان يرتقوا فسمع بنو اسرائيل ذلك واطاعوا واغتسلوا وتنظفوا
وتطيبوا فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامة عظيمة وفيها اصوات وبروق
وصوت الصور شديد جدا ففزع بنو اسرائيل من ذلك فزعا شديدا وخرجوا فقاموا
في سفح الجبل وغشي الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نور وتزلزل الجبل كله زلزلة
شديدة واستمر صوت الصور وهو البوق واشتد وموسى عليه السلام فوق الجبل
والله يكلمه ويناجيه وامر الرب عز وجل موسى ان ينزل فيامر بني اسرائيل ان يقربوا
من الجبل ليسمعوا وصية الله ويامر الاحبار وهم علماؤهم ان يدنوا فيصعدوا الجبل
ليتقدسوا بالقرب وهذا نص في كتابهم على النسخ لا محالة فقال موسى يا رب انهم لا
يستطيعون ان يصعدوا وقد نهيتهم عن ذلك فامره الله تعالى ان يذهب فياتي
معه بهرون اخيه وليكن الكهنة وهم العلماء والشعب وهم بقية بني اسرائيل
غير واحد ففعل موسى وكلم ربه عز وجل فامره حينئذ بالعشر كلمات وعندهم
ان بني اسرائيل سمعوا كلام الله ولكن لم يفهموا حتى فهمهم موسى وجعلوا يقولون
لموسى بلغنا انت عن الرب عز وجل فانا نخاف ان نموت فبلغهم عنه فقال
هذه العشر كلمات وهي الامر بعبادة الله وحده لا شريك له • والنهي
عن الحلف بالله كاذبا • والامر بالمحافظة على السبت • ومعناه تفرغ يوم من
الاسبوع للعبادة وهذا حاصل بيوم الجمعة الذي نسخ الله تعالى به السبت • كرم

اباك وامك ليطول عمرك في الارض الذي يعطيك الله ربك • لا تقتل • لا تزني •
لا تسرق • لا تشهد على صاحبك شهادة زور • لا تمد عينك الى بيت صاحبك • ولا
تشته امراة صاحبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا من الذي
لصاحبك • ومعناه النهي عن الحسد • وقد قال كثير من علماء
السلف وغيرهم مضمون هذه العشر الكلمات في آيتين وهما قوله تعالى في سورة
الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما
بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان
بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله
اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وذكروا
بعد العشر الكلمات وصايا كثيرة واحكاما متفرقة عزيزة كانت فزالت وعمل
بها حينا من الدهر ثم طرا عليها عصيان المكلفين بها ثم عمدوا فبدلوها وحرفوها
واولوها ثم بعد ذلك كله سلبوها فصارت منسوخة مبدلة بعدما كانت مشروعة
محكمة فلله الامر من قبل ومن بعد وقد قال الله تعالى يا بني اسرائيل قد
انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى

كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى **يذكر تعالى**
إنعامه عليهم بما يسر لهم من المن والسلوى طعامين شهيين بلا كلفة ولا سعي
لهم فيه بل ينزل عليهم المن باكرا فيصنعون منه مثل الخبز وهو في غاية البياض
والحلاوة فإذا كان من آخر النهار غشيهم طير السلوى فيقتنصون منه بلا كلفة
ما يحتاجون إليه بحسب كفايتهم لعشائهم وإذا كان فصل الصيف ظلل الله عليهم
بالغمام وهو سحاب يستر عنهم حر الشمس وضوءها الباهر وأنبع لهم الما بضرب موسى
عليه السلام حجرا كانوا يحملونه معهم بالعصا فانفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين
منه ماء زلالا فيشربون منه ويسقون دوابهم ويدخرون كفايتهم وهذه نعم من الله
عليهم بها دفعة حتى بغاياتها مع ما تقدم من إهلاك فرعون وجنوده ثم ضجروا منها وسألوا
أن يستبدلوا غيرها منها بما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
ذكر سؤال الرؤية قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة إلى قوله تعالى هل يجزون إلا ما كانوا
يعملون قال ابن عباس ومسروق ومجاهد الثلاثون ليلة هي شهر ذي
القعدة بكماله وأتمت أربعين ليلة بعشر ذي الحجة فعلى هذا يكون كلام الله
يوم عيد النحر وفي مثله أكمل الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم دينه وأقام حججه
وبراهينه **والمقصود** أن موسى لما استكمل الميقات وكان فيه صائما يقال إنه

لم يستطعم بطعام فلما كمل الشهر أخذ لحاء شجرة فمضغه ليطيب ريح فمه فأمره الله
أن يمسك عشرا أخرى فصارت أربعين ليلة **ولهذا** ثبت أن خلوف فم الصائم أطيب
عند الله من ريح المسك فلما عزم على الذهاب استخلف على شعب بني إسرائيل أخاه
هرون المحبب المبجل الجليل وهو ابن أمه وأبيه ووزيره فوصاه وأمره قال
الله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا أي في الوقت الذي أمر وكلمه ربه أي كلمه الله من
وراء الحجاب إلا أنه أسمعه الخطاب فناداه وناجاه وقربه وأدناه وهذا مقام
رفيع صلوات الله وسلامه عليه ولما أعطي هذه المرتبة والمنزلة وسمع الخطاب
سأل رفع الحجاب فقال للعظيم الذي لا تدركه الأبصار رب أرني أنظر إليك
قال لن تراني ثم بين تعالى أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى
لأن الجبل الذي هو أقوى وأكبر ذاتا وأشد ثباتا من الإنسان لا يثبت عند التجلي
الرحمان ولهذا قال ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
وفي الكتب المتقدمة أن الله تعالى قال له يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات ولا يابس
إلا تدهده **وفي** الصحيحين عن أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
بصره من خلقه **ولهذا** قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما
أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ٥ قوله جعله دكا أي
فساخ الجبل لفظ ابن جرير وقال السدي فجعل الجبل دكا قال ترابا وخر موسى
مغشيا

أي مغشي عليه وقال مقاتل ميت والصحيح الأول لقوله فلما أفاق فإن الإفاقة
إنما تكون عن غشي **وقد ثبت** في الصحيح من طريق عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي حسن
المازني الأنصاري عن أبيه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيمة فأكون أول من يفيق فإذا
أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور
لفظ البخاري وفي أوله قصة اليهودي الذي لطم وجهه الأنصاري حين قال لا والذي
اصطفى موسى على البشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخيروني من بين الأنبياء
وفي الصحيحين من طريق الزهري عن أبي سلمة وعبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفيه لا تخيروني على موسى وذكر تمامه وهذا من باب
الهضم والتواضع ولا شك أنه صلوات الله وسلامه عليه أفضل البشر والخليقة
قال الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وما نالوا الاشرف إلا بنبيهم **وثبت**
بالتواتر عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قال أنا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر
وقوله فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشا بقائمة العرش أي آخذا بها فلا أدري
أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للخلائق
في عرصات القيمة حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين عباده فيصعقون من شدة الهيبة
والعظمة والجلال فيكون أولهم إفاقة محمد خاتم الأنبياء ۝ ومعنى أم جوزي بصعقة الطور
يعني فلم يصعق بالكلية وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحيثية ولا

ي

ن
حين

يلزم تفضيله به مطلقا من كل وجه ولهذا نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ترك تفضيله بعين الصفة لأن المسلم لما ضرب على قصة اليهودي حين قال لا والذي
اصطفى موسى على البشر قد يحصل في نفوس المشاهدين لذلك هضم بجناب موسى عليه السلام
بين النبي صلى الله عليه وسلم فضيلته وشرفه **وقوله تعالى** قال يا موسى إني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي أي في ذلك الزمان لا ما قبله لأن إبراهيم الخليل عليه
السلام أفضل منه كما تقدم بيان ذلك في قصة إبراهيم ولا ما بعده لأن محمدا صلى الله عليه وسلم
أفضل منهما كما ظهر شرفه ليلة الإسرا على جميع المرسلين والأنبياء **قال** الله تعالى
وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وكانت الألواح من جوهر
نفيس **في الصحيح** أن الله كتب التورية بيده وفيها مواعظ عن الآثام وتفصيل لكل ما
يحتاجون إليه من الحلال والحرام فخذها بقوة أي بعزم ونية صادقة قوية وأمر قومك
يأخذوا بأحسنها أي يضعوها على أحسن وجوهها سأريكم دار الفاسقين أي سترون
عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري المكذبين لرسلي **قصة**
عبادتهم العجل في غيبة كليم الله عنهم قال الله تعالى واتخذ قوم موسى
من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا
اتخذوه وكانوا ظالمين **وخلاصة الأمر** أن بني إسرائيل حين ذهب موسى إلى ميقات
ربه فمكث على الطور يناجيه ربه ويسأله موسى عليه السلام عن أشياء كثيرة وهو تعالى
يجيبه عنها فعمد رجل منهم يقال له هرون السامري فأخذ ما كان استعاروه من

حلي الفراعنة عند خروجهم من مصر فصاغ منه عجلا والقى فيه قبضة من تراب كان اخذه
من اثر فرس جبريل حين راه يوم اغرق الله فرعون على يديه فلما القاها فيه خار كما يخور العجل
الحقيقي ويقال انه استحال عجلا جسدا اي لحما ودما حيا يخور قاله قتادة وغيره وقيل
حكاه ابن كثير في تفسيره ه وقيل بل كانت الريح اذا دخلت من دبره خرجت من فيه
يخور كما تخور البقرة فيرقصون حوله ويفرحون وقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي اي
فنسي موسى ربه عندنا وذهب يطلبه وهو هنا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ه
ولما رجع موسى عليه السلام اليهم وراى ما هم عليه من عبادة العجل ومعه الالواح المتضمنة
التوراة القاها فيقال انه كسرها وهكذا هو عند اهل الكتاب وان الله ابدله غيرها
وليس في اللفظ القرآني ما يدل على ذلك الا انه القاها حين عاين ما عاين وعند اهل الكتاب
انهما كانا لوحين وظاهر القران انها الواح متعددة ثم اقبل عليهم فعنفهم ووبخهم في صنيعهم
هذا القبيح فاعتذروا اليه بما ليس بصحيح ثم اقبل على اخيه هرون قائلا له يا هرون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعني اي اتبعتني فاعلمتني بما فعلوا من الخبيث
ان تقول فرقت بين بني اسرائيل اي تركتهم وجئتني وانت قد استخلفتني فيهم وقد كان
هرون نهاهم عن ذلك اشد النهي قال الله تعالى ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما
فتنتم به اي انما قدر الله ان تتخذوا العجل وجعله يخور فتنة لكم واختبارا وان ربكم الرحمن
اي لا هذا فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا
موسى يشهد الله تعالى وكفى به شهيدا لهرون عليه السلام انه نهاهم وزجرهم فلم يطيعوه

ثم اقبل موسى على السامري قال ما خطبك يا سامري اي ما حملك على ما صنعت
قال بصرت بما لم يبصروا به اي رايت جبريل وهو راكب فرسا فقبضت قبضة من اثر
الرسول اي من اثر فرس جبريل وقد ذكر بعضهم انه راه وكلما وطئت بحوافرها على موضع
اخضر واعشب فاخذ من اثر حافرها فلما القاه على العجل المصنوع من الذهب كان من امره ما كان
قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم
نسفا قال فعمد موسى عليه السلام الى هذا العجل فحرقه بالنار كما قاله قتادة وغيره
وقيل برده بالمبارد كما قاله علي وابن عباس وغيرهما وهو نص اهل الكتاب ثم ذراه في
البحر وامر بني اسرائيل فشربوا فمن كان من عابديه علق على شفاههم من ذلك الرماد
منه ما يدل عليه وقيل بل اصفرت الوانهم وقد ذكر ابن عباس ان عبادتهم العجل
كانت على اثر خروجهم من البحر وما هو ببعيد لانهم حين خرجوا قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم الهة وهكذا عند اهل الكتاب ان عبادتهم العجل كانت قبل مجيئهم بلاد
المقدس وكان الله امر موسى ان الذين لم يعبدوا العجل ياخذوا السيوف والقى الله عليهم ضبابا حتى
لا يعرف القريب قريبه ولا النسيب نسيبه ثم مالوا على عابديه فقتلوهم وحصدوهم فيقال
انهم قتلوا في صبيحة واحدة سبعين الفا وقيل قتلوا في اول يوم ثلاثة الاف قال الله تعالى
ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
استدل بعضهم بقوله وفي نسختها على انها تكسرت وفي هذا الاستدلال نظر وليس
في اللفظ ما يدل على انها تكسرت والله اعلم ثم ذهب موسى يستغفر لهم فخفف لهم بشرط

ان يدخلوا الارض المقدسة ۝ واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك الى قوله اولئك هم المفلحون ذكر
السدي وابن عباس وغيرهما ان هؤلاء السبعين كانوا علماء بني اسرائيل ومعهم موسى وهرون ويوشع
وناداب وابيهو ذهبوا مع موسى عليه السلام ليعتذروا عن بني اسرائيل في عبادة من عبد منهم
العجل وكانوا قد امروا ان يتطهروا ويتطيبوا ويغتسلوا فلما ذهبوا معه واقتربوا من الجبل
وعليه الغمام وعمود النور ساطع وصعد موسى الجبل فذكر بنو اسرائيل انهم سمعوا كلام الله وهذا
قد وافقهم عليه كثير من المفسرين وحملوا عليه قوله تعالى وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وليس هذا بلازم لقوله فاجره حتى يسمع كلام
الله اي مبلغا وهكذا هؤلاء سمعوه مبلغا من موسى عليه السلام وزعموا ايضا ان السبعين
راوا الله وهذا غلط منهم لانهم لما سالوا الرؤية اخذتهم الرجفة كما قال تعالى واذ قلتم يا
موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون وقال محمد بن
اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله عز وجل فتوبوا
اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج
بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فطلب منه السبعون
تعالى الله
ان يسمعوا كلام الله تعالى فقال افعل فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله
ودنا موسى فدخل في الغمام وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع
لا يستطيع احد من بني آدم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في

الغمام

الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من
امره وانكشف عن موسى الغمام واقبل عليهم قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم
الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء الذين
عبدوا العجل منا فانا برآء مما عملوا وقيل انما اخذتهم الرجفة لانهم لم ينهوا قومهم عن عبادة العجل
وقوله ان هي الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك وامتحانك قاله ابن عباس وغيره يعني انت
الذي قدرت هذا وخلقت ما كان من امر العجل اختبارا اختبرتهم به كما قال لهم هرون من
قبل يا قوم انما فتنتم به اي اختبرتم ولهذا قال تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اي من
شئت اضللته باختبارك اياه ومن شئت هديته لك الحكم والمشيئة لا مانع ولا راد
لما حكمت وقضيت وقال ابن حبان ذكر سؤال الكليم الله ربه جل وعلا ان يعلمه
شيئا يذكره به حدثنا ابن سلم حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب اخبرني عمرو بن الحارث
ان دراجا حدثه عن ابي الهيثم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال موسى
يا رب علمني شيئا اذكرك به وادعوك به قال قل يا موسى لا اله الا الله قال يا رب
كل عبادك يقول هذا قال قل لا اله الا الله قال انما اريد شيئا تخصني به قال يا موسى
لو ان اهل السموات السبع والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في كفة مالت
بهم لا اله الا الله ويشهد لهذا الحديث حديث البطاقة واقرب شيء الى معناه الحديث
المروي في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الدعاء دعاء عرفة وافضل ما

وقال ابن ابي حاتم عند تفسير اية الكرسي ثنا احمد بن ابي اسرائيل ثنا هشام بن يوسف
عن امية بن شبل عن الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال وقع في نفس موسى عليه السلام
هل ينام الله عز وجل فارسل الله اليه ملكا فارقه ثلثا ثم اعطاه قارورتين في كل يد قارورة
وامره ان يحتفظ بهما قال فجعل ينام وكادت يداه تلتقيان فيستيقظ فيحبس احداهما على
الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا
لو كان ينام لم تستمسك السما والارض وفي حديث اخر لو كان انام لسقطت السما
والارض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك قال وانزل الله اية الكرسي والحديث الاول
غريب رفعه والاشبه ان يكون موقوفا وان يكون اصله اسرائيليا قال ابن عباس وغير
واحد من السلف لما جاءهم موسى بالالواح فيها التورية امرهم بقبولها والاخذ بقوة وعزم فقالوا
انشرها علينا فان كانت اوامرها ونواهيها سهلة قبلناها فقال بل اقبلوها بما فيها فراجعوه مرارا
فامر الله الملايكة فرفعوا الجبل على رووسهم حتى صار كانه ظلة اي غمامة على رووسهم
وقيل لهم ان لم تقبلوها بما فيها والا سقط هذا الجبل عليكم فقبلوا ذلك وامروا بالسجود فسجدوا
فجعلوا ينظرون الى الجبل بشق وجوههم فصارت سنة لليهود الى اليوم يقولون لا سجدة
اعظم من سجدة رفعت عنا العذاب وقال سنيد بن داود عن حجاج بن محمد عن ابي بكر بن عبد الله
قال فلما نشرها لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس على وجه
الارض يهودي صغير ولا كبير تقرا عليه التورية الا اهتز ونفض لها راسه

نقرة

قصة بقرة بني اسرائيل قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم
ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا الايات الى لعلكم تعقلون قال ابن عباس وغيره كان
رجل من بني اسرائيل كثير المال وكان شيخا كبيرا وله بنو اخ وكانوا يتمنون موته ليرثوه
فعمد احدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطريق وقيل على باب رجل منهم فلما اصبح
الناس اختصموا وجا ابن اخيه فجعل يصرخ ويتظلم فقالوا ما لكم تختصمون ولا تاتون نبي
الله فجا ابن اخيه فشكى امر عمه الى رسول الله موسى عليه السلام فقال موسى انشد
الله رجلا عنده علم من امر هذا القتيل الا اعلمنا فلم يكن عند احد منهم علم منه وسالوه
ان يسال في هذه القضية ربه عز وجل فسال ربه عز وجل في ذلك فامره الله تعالى بذبح بقرة
فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا يعنون نحن نسالك عن امر
هذا القتيل وانت تقول لنا هذا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي اعوذ بالله
ان اقول عنه غير ما اوحي الي ثم انهم لم يجدوا هذه البقرة بالصفة التي وصفها الله لهم
الا عند رجل منهم كان بارا بابيه فطلبوها منه فابى عليهم فارغبوه في ثمنها حتى اعطوه
فيما ذكره السدي بوزنها ذهبا فابى عليهم حتى اعطوه بوزنها عشر مرات فباعها
منهم فامرهم نبي الله موسى بذبحها وما كادوا يفعلون اي وهم يترددون في امرها
ثم امرهم عن الله ان يضربوا ذلك القتيل ببعضها قيل بلحم فخذها وقيل بالعظم الذي
يلي الغضروف وقيل بالبضعة التي بين الكتفين فلما ضربوه احياه الله تعالى فقام وهو
تشخب اوداجه فساله نبي الله موسى من قتلك قال قتلني ابن اخي ثم عاد ميتا كما كان

حاشية
الغضروف فيما لان من اللحم
وهو الغضروف ايضا

ذكر تابوت قبة الزمان قال اهل الكتاب وقد امر الله موسى بعمل قبة من خشب الشمشار وجلود الانعام وشعر الاغنام وامر بزينتها بالحرير المصبغ والذهب والفضة على كيفيات مفصلة عند اهل الكتاب ولها عشر سرادقات طول كل واحد ثمانية وعشرون ذراعا وعرضه اربعة اذرع ولها اربعة ابواب واطناب من حرير ودمقس مصبغ وفيها رفوف وصفائح من ذهب وفضة وفي كل زاوية بابان وابواب اخر كثيرة وستور من حرير وغير ذلك مما يطول ذكره وبعمل تابوت من خشب الشمشار يكون طوله ذراعين ونصف وعرضه ذراعين وارتفاعه ذراع ونصف ويكون مضببا بذهب خالص من داخله وخارجه وله اربع حلق في اربع زواياه ويكون على حافتيه كروبيان من ذهب يعنون صفة ملكين باجنحة وهما متقابلان صنعه رجل اسمه بصلياييل وامره ان يعمل مائدة من خشب الشمشار طولها ذراعان وعرضها ذراع ونصف لها ضباب ذهب واكليل ذهب بشفة مرتفعة باكليل من ذهب واربع حلق في نواحيها من ذهب مغرزة في مثل الرمان من خشب ملبس ذهبا ويعمل صحافا ومصافي وقصاعا على المائدة ويعمل منارة من ذهب فيها ست قصبات من ذهب من كل جانب ثلاثة على كل قصبة ثلاث سرج وليكن في المنارة اربعة قناديل وليكن هي وجميع هذه الآنية من قنطار من ذهب صنع ذلك بصلياييل ايضا وهو الذي عمل المذبح ايضا ونصبت هذه القبة اول يوم من سنتهم وهو اول يوم من الربيع ونصب تابوت الشهادة وهو والله اعلم في قوله تعالى ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله

الملائكة ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين وقد بسط هذا الفصل في كتابهم مطولا جدا وفيه شرائع لهم واحكام وصفة قربانهم وكيفيته وفيه ان قبة الزمان كانت موجودة قبل عبادتهم العجل الذي هو متقدم على مجيئهم بيت المقدس وانها كانت لهم كالكعبة يصلون فيها واليها ويتقربون عندها وان موسى عليه السلام كان اذا دخلها يقفون حولها وينزل عمود الغمام على بابها فيخرون عند ذلك سجدا لله عز وجل ويكلم الله موسى من ذلك العمود الغمام الذي هو نور ويخاطبه ويناجيه ويامره وينهاه وهو واقف عند التابوت صاعدا الى ما بين الكروبيين فاذا فصل الخطاب يخبر بني اسرائيل بما اوحاه الله تعالى اليه واذا تحاكموا اليه في شيء ليس عنده من الله فيه شيء يجيء الى قبة الزمان ويقف عند التابوت ويصمد لما بين الكروبيين فيأتيه الخطاب بما فيه فصل تلك الحكومة وقد كان هذا سائغا في شريعتهم اعني استعمال الذهب والحرير واللآلي في معبدهم وعند مصلاهم فاما في شريعتنا فلا بل قد نهي عن زخرفة المساجد وتزيينها لئلا يشغل المصلين وقد كانت قبة الزمان هذه مع بني اسرائيل في التيه يصلون اليها وهي قبلتهم وكعبتهم وامامهم كليم الله موسى عليه السلام ومقدم القربان اخوه هرون فلما مات هرون ثم موسى عليهما السلام استمرت بنو هرون في الذي كان يليه ابوهم من امر القربان وهو فيهم الى الآن وقام باعباء النبوة بعد موسى فتاه يوشع بن نون عليه السلام وهو الذي دخل بهم بيت المقدس كما سياتي بيانه والمقصود انه لما استقرت يده على بيت المقدس نصب هذه القبة على صخرة بيت المقدس وكانوا يصلون اليها فلما بادت صلوا الى محلتها وهي الصخرة فلهذا كانت قبلة الانبياء بعده الى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد

جر
صلى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة وكان يجعل الكعبة بين يديه فلما
امر بالطريق الى بيت المقدس فصلى اليه ستة عشر وقيل سبعة عشر شهرا ثم حولت
القبلة الى الكعبة وهي قبلة ابرهيم في شعبان سنة اثنتين من الهجرة النبوية وقت
صلاة العصر وقيل الظهر كما ذكر ذلك المفسرون عند تفسير قوله تعالى سيقول السفهاء
من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها الى قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك
قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام الآيات قصة

قارون مع موسى عليه السلام

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى
فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة اذ قال له قومه
لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك
من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
الى قوله والعاقبة للمتقين قال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس قال كان قارون ابن عم موسى وكذا قال ابرهيم النخعي وعبد الله بن
الحرث بن نوفل وسماك بن حرب وقتادة ومالك بن دينار وابن جريج وزاد فقال هو قارون
ابن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث قال ابن جرير وهذا قول اكثر
اهل العلم انه كان ابن عم موسى ورد قول ابن اسحق انه كان عم موسى وكان يسمى المنور
لحسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فاهلكه البغي لكثرة ماله
وقال شهر بن حوشب زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه وقد ذكر الله تعالى

كنوزه حتى ان مفاتحه كانت من الجلود وانها كانت تحمل على ستين بغلا والله اعلم
وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين لا تفرح اي لا تبطر بما اعطيت وتفخر على غيرك ان
الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة واحسن كما احسن الله اليك اي
واحسن الى خلق الله كما احسن الله خالقهم اليك ولا تبغ الفساد في الارض اي ولا تسئ
اليهم فيما قبلك وتبذل ما وهبك الله ولا تفسد ان الله لا يحب المفسدين فما كان
جوابه لهذه النصيحة الا ان قال انما اوتيته على علم عندي يعني انا لا احتاج الى استعمال
ما ذكرتم فان الله ما اعطاني هذا الا لعلمه اني استحقه واني اهل له ولولا اني حبيب اليه
ما اعطاني ذلك قال الله تعالى رادا عليه اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون
من هو اشد منه قوة واكثر اموالا واولادا واما من زعم ان المراد من ذلك انه
كان يعرف صنعة الكيمياء او انه كان يحفظ الاسم الاعظم فاستعمله في جمع الاموال
فليس بصحيح لان الكيمياء تخييل وصبغة لا تحيل الحقائق ولا تشابه صنعة الخالق
والاسم الاعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به وقارون كان كافرا في الباطن منافقا
في الظاهر قال الله تعالى فخرج على قومه في زينته ذكر كثير من المفسرين انه خرج
بتجمل عظيم من ملابس ومراكب وخدم وحشم فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا تمنوا ان
لو كانوا مثله وغبطوه بما عليه وله فلما سمع مقالتهم العلماء الزهاد من اهل الحق قالوا لهم ويلكم ثواب
الله خير لمن آمن وعمل صالحا قال الله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون اي وما يلقى هذه النصيحة
وهذه المقالة الى الآخرة عند النظر الى زهرة هذه الدنيا الا من هدى الله قلبه وثبت فؤاده قال

الله تعالى فخسف به وبداره الأرض لما ذكر الله خروجه في زينته وفخره على قومه قال
فخسف به وبداره الأرض كما روى البخاري من حديث الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيمة وقد
ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما والسدي أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول
لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس إنك فعلت بي كذا وكذا فيقال إنها قالت له ذلك
فصلى ركعتين ثم أقبل عليها فاستحلفها على ذلك وما حملها عليه فذكرت أن قارون هو الذي
حملها على ذلك واستغفرت الله وتابت إليه فعند ذلك خر موسى ساجدا لله ودعا الله تعالى
على قارون فأوحى الله إليه إني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسى الأرض أن
تبتلعه وداره فكان ذلك والله أعلم وقد روي عن قتادة أنهم يخسف بهم كل يوم قامة
إلى يوم القيمة وعن ابن عباس أنه قال خسف بهم إلى الأرض السابعة وقد ذكر
كثير من المفسرين هاهنا إسرائيليات كثيرة أضربنا عنها صفحا وتركناها قصدا ولما
حل به ما حل به من الخسف وذهاب الأموال وخراب الدار وهلاك النفس والأهل ندم من
كان تمنى مثل ما أوتي وشكروا الله تعالى الذي يدبر عباده بما يشاء ولهذا قالوا لولا أن من
الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قال قتادة ويكأن بمعنى ألم تر أن وهذا
قول حسن من حيث المعنى والله أعلم وقصة قارون هذه قد تكون قبل خروجهم من مصر
لقوله فخسفنا به وبداره الأرض فإن الدار ظاهرة في البنيان وقد يكون بعد ذلك في التيه
وتكون الدار عبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام والله أعلم وقد ذكر الله تعالى مذمة

قارون في غير ما آية من القرآن الشريف قال الله تعالى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان
مبين إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب وقال تعالى في سورة العنكبوت
بعد ذكر عاد وثمود وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا
في الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من
أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا فالذي خسف به الأرض
قارون كما تقدم والذي أغرق فرعون وهامان وجنودهما إنهم كانوا خاطئين وقد قال
الإمام أحمد ثنا أبو عبد الرحمن ثنا سعيد ثنا كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفي عن
عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها
كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان
يوم القيمة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف انفرد به أحمد رحمه الله تعالى

ذكر فضايل موسى عليه السلام وشمايله وصفاته ووفاته

قال الله تعالى
واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الأيمن
وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وقال تعالى يا موسى إني
اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وتقدم في الصحيحين عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لا تفضلوني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيمة فأكون أول من
يفيق فإذا موسى باطش بقائمة العرش فلا أدري أصعق فأفاق قبلي أم جوزي بصعقة
الطور وقدمنا أنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب الهضم والتواضع وإلا فهو خاتم

[illegible]

ومن وجاهة موسى انه شفع في اخيه هرون عند الله وطلب منه ان يكون معه
وزيرا فاجابه الله الى سؤله وجعله نبيا كما قال تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه
هرون نبيا وقد ثبت في الصحيح في احاديث الاسرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بموسى وهو قائم يصلي في قبره رواه مسلم عن انس وفي الصحيحين من رواية قتادة عن
انس عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مر ليلة اسري به بموسى
في السماء السادسة فقال له جبريل هذا موسى فسلم عليه قال فسلمت عليه فقال مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما جاوزت بكى فقيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما
بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي وذكر ابرهيم في السابعة وهذا
هو المحفوظ وما وقع في حديث شريك بن ابي نمر عن انس ان ابرهيم في السادسة وموسى
في السابعة بتفضيل كلام الله فقد ذكر غير واحد من الحفاظ ان الذي عليه الجادة
ان موسى في السادسة وابرهيم في السابعة وانه مسند ظهره الى البيت المعمور الذي يدخله
كل يوم سبعون الفا من الملائكة ثم لا يعودون اليه اخر ما عليهم واتفقت
الروايات كلها على ان الله تعالى لما فرض على محمد صلى الله عليه وسلم وامته خمسين
صلوة في اليوم والليلة فمر بموسى قال ارجع الى ربك فسله التخفيف لامتك فاني
قد عالجت بني اسرائيل قبلك اشد المعالجة وان امتك اضعف اسماعا وابصارا وافئدة
فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عز وجل ويخفف عنه كل مرة حتى صارت الى خمس صلوات
في اليوم والليلة وقال الله تعالى هي خمس وهي خمسون اي بالمضاعفة فجزى الله عن

محمدا صلى الله عليه وسلم خيرا وجزا الله عن موسى عليه السلام خيرا وقد ذكر الله
تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيرا واثنى عليه واورد قصته في كتابه العزيز
مرارا وكررها كثيرة مطولة ومبسوطة ومختصرة واثنى عليه بليغا وكثيرا ما يقرنه الله
ويذكره ويذكر كتابه يعني التورية مع محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه يعني القران العظيم
وجعل الله القران حاكما على سائر الكتب غيره وجعله مصدقا لها ومبينا ما
وقع فيها من التحريف والتبديل فان اهل الكتاب استحفظوا على ما بايديهم من الكتب
فلم يقدروا على حفظها ولا على ضبطها وصونها فلهذا دخلها ما دخلها من تغييرهم
وتبديلهم لسوء فهومهم وقصورهم في علومهم ورداءتهم لمعبودهم عليهم لعاين الله
التابعة الى يوم الدين وقالت الجن لقومهم انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
وقال ورقة بن نوفل لما قص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ما راى
من اول الوحي وتلا عليه اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال سبوح سبوح هذا الناموس
الذي انزل على موسى بن عمران وبالجملة فشريعة موسى عليه السلام كانت شريعة
عظيمة وامته كانت امة كثيرة ووجد فيهم انبيا وعلما وعبادا وزهادا والبا وملوك
وامرا وسادات وكبرا ولكنهم كانوا فبادوا وتبدلوا كما بدلت شريعتهم ومسخوا
قردة وخنازير ثم نسخت بعد ذلك كتبه ملتهم وجرت عليهم امور وخطوب يطول
ذكرها ولكن سنورد ما فيه مقنع لمن اراد ان يبلغه خبره ان شاء الله تعالى في باب النعمة

ذكر وفاته عليه السلام قال البخاري في صحيحه وفاة موسى عليه السلام حدثنا
يحيى بن موسى ثنا عبد الرزاق انا معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة قال ارسل
ملك الموت الى موسى فلما جاءه صكه فرجع الى ربه عز وجل فقال ارسلتني الى عبد لا
يريد الموت قال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل
شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالآن فسال الله عز وجل ان يدنيه
من الارض المقدسة رمية بحجر قال ابو هريرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو
كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وكان يرجوا قبل وفاته
امورا كثيرة حال يحب وقوعها في حياته من خروجهم من التيه ودخولهم الارض
المقدسة وكان قد سبق في قدر الله انه عليه السلام يموت في التيه بعدها دون
اخيه كما سنبينه ان شاء الله تعالى وقد زعم بعضهم ان موسى عليه السلام هو الذي
خرج بهم من التيه ودخل بهم الارض المقدسة وهذا خلاف ما عليه اهل الكتاب
وجمهور المسلمين ومما يدل على ذلك قوله لما اختار الموت رب ادنني الى الارض
المقدسة رمية بحجر ولو كان قد دخلها لم يسأل ذلك ولكن لما كان مع قومه في التيه
وحانت وفاته عليه السلام احب ان يتقرب الى الارض التي هاجر اليها وحث قومه عليها
ولكن حال بينهم وبينها القدر وقال السدي عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس
وعن مرة وعن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة قالوا ثم ان الله تعالى اوحى الى موسى اني متوفي
هرون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فاذا هم بشجرة

لم ير شجرة مثلها واذا هم ببيت مبني واذا هم فيه بسرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة
فلما نظر هرون الى ذلك الجبل والبيت وما فيه اعجبه قال يا موسى اني احب ان انام على
هذا السرير قال له موسى فنم عليه قال اني اخاف ان ياتي رب هذا البيت فيغضب علي
قال لا ترهب انا اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى بل نم معي فان جاء رب هذا
البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني
فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء فلما رجع موسى
الى قومه وليس معه هرون قالوا فان موسى قتل هرون وحسده حب بني اسرائيل له وكان
هرون اكف عنهم والين لهم من موسى وكان في موسى بعض الغلظة عليهم فلما بلغه ذلك
قال لهم ويحكم كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل
السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض ثم ان موسى عليه السلام بينما هو يمشي ويوشع فتاه
اذا اقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن انها الساعة فالتزم موسى وقال تقوم الساعة
وانا ملتزم موسى نبي الله فاستل موسى من تحت القميص وترك القميص في يدي يوشع فلما جاء
يوشع بالقميص اخذته بنو اسرائيل وقالوا قتلت نبي الله فقال لا والله ما قتلته ولكنه استل مني
فلم يصدقوه وارادوا قتله قال فاذا لم تصدقوني فاخروني ثلاثة ايام فدعا الله فاتى كل
رجل ممن كان يحرسه في المنام فاخبر ان يوشع لم يقتل موسى وانا قد رفعناه الينا فتركوه
ولم يبق احد ممن ابى ان يدخل قرية الجبارين مع موسى الا مات ولم يشهد الفتح وفي بعض
هذا السياق نكارة وغرابة والله اعلم وذكر وهب بن منبه ان موسى عليه السلام مر

بملأ من الملائكة يحفرون قبرا لم ير احسن منه ولا انضر ولا ابهج فقال يا ملائكة الله
لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد من عباد الله كريم فان كنت تحب ان تكون هذا العبد
فادخل هذا القبر وتمدد فيه وتوجه الى ربك وتنفس اسهل نفس ففعل ذلك فمات صلوات
الله وسلامه عليه فصلت عليه الملائكة ودفنوه **وذكر** اهل الكتاب وغيرهم انه مات
وعمره مائة وعشرون سنة **وقد قال** الامام احمد ثنا امية بن خلد ويونس قالا ثنا
حماد بن سلمة عن عمار بن ابي عمار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ملك الموت
ياتي الناس عيانا قال فاتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فاتى ربه فقال يا رب عبدك
موسى فقأ عيني ولولا كرامته عليك لعنفت عليه قال له اذهب الى عبدي فقل فليضع
يده على جلد او مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة فاتاه فقال له فقال ما بعد هذا
قال الموت قال فالآن قال فشمه شمة فقبض روحه قال يونس فرد الله عليه عينه وكان
بعد ذلك ياتي الناس خفية

ذكر نبوة يوشع بن نون وقيامه باعباء بني اسرائيل بعد موسى وهرون عليهما السلام

وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام **وقد ذكره الله تعالى** غير مصرح باسمه
في قصة الخضر في قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه ٭ فلما جاوزا قال لفتاه ٭ وقدمنا ما ثبت في
الصحيح من رواية ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه يوشع بن نون وهو متفق على
نبوته عند اهل الكتاب فان طائفة منهم وهم السامرة لا يقرون بنبوة احد بعد موسى الا يوشع بن
نون لانه مصرح به في التورية ويكفرون بما وراه وهو الحق من ربهم فعليهم لعاين الله المتابعة

الى يوم القيمة

واما ما حكاه ابن جرير وغيره من المفسرين عن محمد بن اسحق من ان النبوة حولت من موسى
الى يوشع في آخر عمر موسى فكان موسى يلقى يوشع فيسأله ما احدث الله اليه من الاوامر
والنواهي حتى قال له يا كليم الله اني كنت لا اسالك عما يوحي الله اليك حتى تخبرني انت
ابتدا من تلقا نفسك فعند ذلك كره موسى الحياة واحب الموت ففي هذا نظر لان
موسى عليه السلام لم يزل الامر والوحي والتشريع والكلام من الله اليه في جميع احواله حتى
توفاه الله عز وجل ولم يزل معززا مكرما مدللا وجيها عند الله كما قدمنا في الصحيح من قصة
فقئه عين ملك الموت ثم بعثه الله اليه ان كان يريد الحياة فليضع يده على جلد ثور فله
بكل شعرة وارت يده سنة يعيشها قال ثم ماذا يا رب قال الموت قال فالآن يا رب
وسال الله ان يدنيه من البيت المقدس رمية بحجر وقد اجيب الى ذلك صلوات الله وسلامه
عليه فهذا الذي ذكره محمد بن اسحق ان كان انما يقوله من كتب اهل الكتاب ففي كتابهم الذي
يسمونه التوراة ان الوحي لم يزل ينزل على موسى في كل امر يحتاجون اليه الى آخر مدة موسى
كما هو المعلوم من سياق كتابهم عند تابوت الشهادة في قبة الزمان **وقد ذكروا**
في السفر الثالث ان الله امر موسى وهرون ان يعدا بني اسرائيل على اسباطهم وان يجعلا
على كل سبط من الاثني عشر اميرا وهو النقيب وما ذاك الا ليتأهبوا للقتال قتال الجبابرة
عند الخروج من التيه وكان هذا عند انقضا الاربعين سنة ولهذا قال بعضهم انما فقأ موسى
عين ملك الموت لانه لم يعرفه في صورته تلك ولانه كان قد امر بامر كان يرتجي وقوعه
في زمانه ولم يكن في قدر الله ان يقع ذلك في زمانه بل في زمان فتاه يوشع عليه السلام

والمقصود ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يكتب اسما المقاتلة من بني اسرائيل ممن
يحمل السلاح ويقاتل ممن يبلغ عشرين سنة فما عدا وان يجعل على كل سبط نقيبا منهم
السبط الاول سبط روبيل لانه بكر يعقوب كان عدة المقاتلة منه ستة واربعين
الفا وخمسمائة ونقيبهم منهم السبط الثاني سبط شمعون وكانوا تسعة وخمسين الفا ونقيبهم
شاموال بن صوريشدي السبط الثالث سبط يهوذا وكانوا اربعة وسبعين الفا
وستمائة ونقيبهم نحشون بن عميناداب السبط الرابع سبط ايساخر وكانوا اربعة
وخمسين الفا واربعمائة ونقيبهم شال بن صلعون الخامس سبط يوسف عليه السلام وكانوا
اربعين الفا وخمسمائة ونقيبهم يوشع بن نون السادس سبط منشا وكانوا اثنين وثلثين
الفا ومائتين ونقيبهم حمليايل بن يرصون السابع سبط بنيامين وكانوا خمسة
وثلثين الفا واربعمائة ونقيبهم ابيدن بن جدعون الثامن سبط جاد وكانوا خمسة
واربعين الفا وستمائة وخمسين نفرا ونقيبهم اليسف بن دعوايل التاسع سبط
اشير وكانوا اثنين واربعين الفا وخمسمائة ونقيبهم فجعيال بن عكران العاشر سبط دان
وكانوا اثنين وستين الفا وسبعمائة ونقيبهم اخيعزر بن عميشدي الحادي عشر سبط
نفتالي وكانوا ثلثة وعشرين الفا واربعمائة ونقيبهم اخيرع بن عينان الثاني عشر
سبط زابلون وكانوا سبعة وخمسين الفا واربعمائة ونقيبهم اليآب بن حالون ۝
هذا نص كتابهم الذي بايديهم والله اعلم وليس فيهم بني لاوي لامر الله موسى اذ لا
يعدهم معهم لانهم موكلون بخدمة قبة الزمان وخزنها ونصبها وحملها اذا ارتحلوا وهم

موسى وهرون عليهما السلام وكانوا اثنين وعشرين الفا من ابن شهر فما فوق ذلك وهم
في انفسهم قبائل الى كل قبيلة طائفة في قبة الزمان يحرسونها ويحفظونها ويقومون
بمصالحها ونصبها وحملها وهم نزول حولها ينزلون ويرتحلون امامها ويمينها وشمالها ووراءها
وجملة ما ذكر من المقاتلة غير بني لاوي خمسمائة الف واحد وسبعون الفا وستمائة
وستة وخمسون لكن قالوا ان عدد بني اسرائيل ممن عمره عشرون سنة فما فوق ذلك
ممن يحمل السلاح ستمائة الف وثلاثة الاف وخمسمائة وخمسين رجلا سوى بني لاوي وفي هذا
نظر فان جمع الجمل المتقدمة ان كانت كما هي في كتابهم موجود لا ينطابق الجملة التي ذكروها
والله اعلم فكان بنو لاوي الموكلون بخدمة قبة الزمان يسيرون في وسط بني اسرائيل
وهم القلب وراس الميمنة بنو روبيل وراس الميسرة بنو دان وبنو نفتالي يكونون ساقه
وقدم موسى عليه السلام بامر الله تعالى له الكهانة في بني هرون كما كان لابيهم
من قبلهم وهم ناذاب وهو بكره وابيهوا والعازر وايثمر والمقصود ان بني اسرائيل بقي
منهم لطيهم من كان نكل عن دخول مدينة الجبارين الذين قالوا اذهب انت وربك فقاتلا
انا ههنا قاعدون كما قاله الثوري عن ابي سعد عن عكرمة عن ابن عباس وقاله قتادة وعكرمة
ورواه السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة حتى قال ابن عباس وغيره
من علماء السلف والخلف مات موسى وهرون قبله كلاهما في التيه جميعا وقد زعم
ابن اسحق ان الذي فتح بيت المقدس هو موسى وانما كان يوشع على مقدمته وذكر في مروره
قصة بلعام بن باعورا الذي قال الله فيه واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها

فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع
فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا
يظلمون وقد ذكر المفسرون قصته في تفاسيرهم وانه كان فيما قاله ابن عباس وغيره
يعلم الاسم الاعظم وان قومه سألوه ان يدعوا على موسى وقومه فامتنع عليهم فلما الحوا عليه
ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بني اسرائيل فلما اشرف عليهم ربضت به حمارته
فضربها حتى قامت فسارت غير بعيد وربضت فضربها ضربا شديدا فقامت
ثم ربضت فضربها فقالت له يا بلعام اين تذهب اما ترى الملائكة امامي تردني
عن وجهي هذا اتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعوا عليهم فلم ينزع عنها فضربها
حتى سارت به الى ان اشرف عليهم من رأس جبل حسبان ونظر الى معسكر
موسى وبني اسرائيل فاخذ يدعوا عليهم فجعل لسانه لا يطيعه الا ان يدعوا
لموسى وقومه ويدعوا على قومه فلاموه على ذلك فاعتذر اليهم بانه لا
يجري على لسانه الا هذا واندلع لسانه حتى وقع على صدره وقال لقومه
ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة ثم امر قومه ان
يزينوا النساء ويبعثوهن بالامتعة يبعن عليهم ويتعرضن لهم حتى لعلهم يقعون
في الزنا فانه متى زنى رجل منهم كفيتموهم ففعلوا وزينوا نساءهم وبعثوهن
الى المعسكر فمرت امرأة منهم اسمها كستى برجل من عظماء بني اسرائيل وهو زمري

يقال

يقال انه رأس سبط شمعون بن يعقوب فدخل بها قبته فلما خلا بها ارسل الله الطاعون
على بني اسرائيل فجاس فيهم فلما بلغ الخبر الى فنحاص بن العيزار بن هارون اخذ حربته
وكانت من حديد فدخل عليهما القبة فانتظمهما جميعا فيها ثم خرج بهما على الناس والحربة في
يده وقد اعترضهما نحو السماء وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فكان جملة
من مات في تلك الساعة سبعين الفا وقيل عشرين الفا وكان فنحاص بكر ابيه العيزار بن هرون
فلهذا يجعل بنو اسرائيل لولد فنحاص من الذبيحة اللحية والذراع واللحي ولهم البكر من كل اموالهم وانفسهم
وهذا الذي ذكره ابن اسحق من قصة بلعام صحيح قد ذكره غير واحد من علماء السلف لكن
لما اراد موسى دخول بيت المقدس اول مقدمه من مصر ولعله مراد ابن اسحق ولكن ما فهمه بعض
الناقلين عنه وقد قدمنا عن نص التوراة ما يشهد لهذا ولعل هذه قصة اخرى في خلال
سيرهم في التيه فان في هذا السياق ذكر حسبان وهي بعيدة من ارض بيت المقدس او لعله
كان هذا لجيش موسى الذي عليهم يوشع بن نون حين خرج بهم من التيه قاصدا بيت المقدس
كما صرح به السدي والله اعلم وعلى كل تقدير فالذي عليه الجمهور ان هرون توفي
بالتيه قبل اخيه موسى بنحو من سنتين وبعده موسى في التيه ايضا كما قدمنا وانه سأل ان يقرب
الى الارض المقدسة فاجيب الى ذلك وكان الذي خرج بهم من التيه وقصد بهم بيت المقدس
هو يوشع بن نون عليه السلام فذكر اهل الكتاب وغيرهم من اهل التاريخ انه قطع ببني
اسرائيل نهر الاردن وانتهى الى اريحا وكانت من احصن المدائن سورا واعلاها قصورا
واكثرها اهلا فحاصرها ستة اشهر ثم انهم احاطوا بها يوما وضربوا بالقرون يعني الابواق

وكبروا تكبيرة رجل واحد فتفتح سورها وسقط وجبة واحدة فدخلوها واخذوا ما
وجدوا فيها من الغنائم وقتلوا اثني عشر الفا من الرجال والنساء وحاربوا ملوكا كثيرة
ويقال ان يوشع ظهر على احدى وثلثين ملكا من ملوك الشام وذكروا انه انتهى
محاصرته لها الى يوم الجمعة بعد العصر فلما غربت الشمس وكاد يدخل عليهم السبت الذي
جعل عليهم وشرع لهم في ذلك الزمان قال للشمس انك مامورة وانا مامور اللهم احبسها
علي فحبسها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد وامر القمر فوقف عن الطلوع وهذا يقتضي
ان هذه الليلة كانت الليلة الرابعة عشر من الشهر والاول هو قضية الشمس مذكورة
في الحديث الذي ساذكره واما قضية القمر فمن عند اهل الكتاب ولا ينافي الحديث بل فيه
زيادة تستفاد فلا يصدق ولا يكذب ولكن ذكرهم ان هذا في فتح اريحا فيه نظر والاشبه
والله اعلم ان هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الاعظم وفتح اريحا كان
وسيلة اليه والله اعلم **وقال** الامام احمد ثنا اسود بن عامر ثنا ابو بكر عن هشام
عن ابن سيرين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لم تحبس لبشر
الا ليوشع ليالي سار الى بيت المقدس انفرد به احمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري وفيه
دلالة على ان الذي فتح بيت المقدس هو يوشع بن نون لا موسى وان حبس الشمس كان في فتح بيت
المقدس لا اريحا وهذا كان من خصائص يوشع عليه السلام **فلما دخلوا اي اسرائيل** بيت المقدس امروا
ان يدخلوا سجدا اي ركعا متواضعين شاكرين لله عز وجل على ما من به عليهم من الفتح العظيم
الذي كان الله وعدهم اياه وان يقولوا حال دخولهم حطة اي حط عنا خطايانا التي سلفت

من نحوه الذي تقدم منه ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم فتحها
دخلها وهو راكب ناقته وهو متواضع حامد شاكر ومعه الجنود والجيوش لا سيما
الكتيبة الخضراء التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلها اغتسل وصلى ثماني ركعات
وهي صلاة الشكر على النصر على المنصور من قولي العلماء وقيل انها صلاة الضحى وما حمل هذا
القائل على قوله هذا الا انها وقعت وقت الضحى **واما بنو اسرائيل** فانهم خالفوا ما
امروا به قولا وفعلا دخلوا الباب على استاههم وهم يقولون حبة في شعرة حنطة في شعرة
وحاصله انهم بدلوا ما امروا به واستهزؤوا به كما قال تعالى حاكيا عنهم في سورة الاعراف
وهي مكية واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم
فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون **قال** الثوري عن الاعمش عن المنهال بن عمرو
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وادخلوا الباب سجدا قال ركعا من باب صغير قال مجاهد والسدي
والضحاك الباب هو باب حطة من باب ايليا بيت المقدس قال ابن مسعود فدخلوا مقنعي
رؤوسهم ضد ما امروا به وهذا لا ينافي قول ابن عباس انهم دخلوا يزحفون على استاههم وهكذا
في الحديث الذي سنورده فبعضهم دخلوا يزحفون وهم مقنعون رؤوسهم **قال البخاري**
ثنا محمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم
فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة وفي حديث آخر حنطة في شعرة **وقد ذكر** الله تعالى

انه عاقبهم على هذه المخالفة بارسال الرجز الذي ارسله عليهم وهو الطاعون كما ثبت في الصحيح
من حديث الزهري عن عامر بن سعد ومن حديث مالك عن محمد بن المنكدر وسالم ابي النضر
عن عامر بن سعد عن اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا الوجع او
السقم رجز عذب به بعض الامم قبلكم وقال ابو العالية هو الغضب وقال الشعبي الرجز
اما الطاعون واما البرد وقال سعيد بن جبير هو الطاعون ولما استقرت بنو اسرائيل
على بيت المقدس استمر وانبه وبين اظهرهم نبي الله يوشع يحكم بينهم بكتاب الله التورية حتى
قبضه الله اليه وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة فكان مدة حياته بعد موسى سبعا وعشرين سنة

ذكر قصتي الخضر والياس عليهما السلام

اما الخضر فقد رحل اليه موسى
في طلب ما عنده من العلم اللدني وهو موسى بن عمران نبي بني اسرائيل صاحب التوراة وقد اختلف
في اسمه ونسبه ونبوته وحياته الى الآن على اقوال سأذكرها لك ههنا ان شاء الله وقد قص
الله تعالى خبره وخبر موسى معه في سورة الكهف وذكرنا الكلام على ذلك في تفسيرها
قال الحافظ ابن عساكر انه الخضر ابن آدم لصلبه ثم روى من طريق الدارقطني
ثنا محمد بن الفتح القلانسي ثنا العباس بن عبد الله الرومي ثنا رواد بن الجراح ثنا مقاتل بن سليمان
عن الضحاك عن ابن عباس قال الخضر ابن آدم لصلبه ونسئ له في اجله حتى يكذب الدجال
وهذا منقطع وغريب وقال ابو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني سمعت مشيختنا منهم
ابو عبيدة وغيره قالوا ان اطول بني آدم عمرا الخضر واسمه خضرون بن قابيل بن آدم وذكر
ابن قتيبة في المعارف عن وهب بن منبه ان اسم الخضر بليا ويقال ايليا بن ملكان بن فالغ بن

عابر

عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام وقال غيره هو خضرون بن عماييل بن اليفز
ابن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل وقيل انه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب
جدا وقيل انه كان ابن مالك وهو اخو الياس قاله السدي وقيل كان على مقدمة ذي القرنين
وقيل كان ابن بعض من آمن بابرهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان نبيا في زمن بشتاسب
ابن لهراسب قال ابن جرير والصحيح انه كان متقدما في زمن افريدون حتى ادركه موسى عليه
السلام وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب انه قال الخضر امه رومية
وابوه فارسي وقال بعضهم كنيته ابو العباس والاشبه والله اعلم ان الخضر لقب غلب
عليه قال البخاري رحمه الله ثنا محمد بن سعيد الاصبهاني ثنا ابن المبارك عن معمر
عن همام عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة
بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء انفرد به البخاري وكذلك رواه عبد الرزاق عن معمر
به ثم قال عبد الرزاق الفروة الحشيش الابيض وما اشبهه يعني الهشيم اليابس وقال
قبيصة عن الثوري عن منصور عن مجاهد قال انما سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر
ما حوله ولما رجع موسى ويوشع عليهما السلام يقصان الاثر وجداه على طنفسة خضراء
على كبد البحر وهو مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه فسلم عليه
موسى فكشف عن وجهه فرد وقال اني بارضك السلام من انت قال انا موسى قال موسى
بني اسرائيل قال نعم فكان من امرهما ما قص الله في كتابه عنهما في سورة الكهف وقد دل
سياق القصة على نبوته من وجوه احدها قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة

من عندنا وعلمناه من لدنا علماً الثاني قول موسى له هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشداً
قال انك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني ان شاء الله صابراً
ولا اعصي لك امراً قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً فلو كان ولياً
وليس بنبي لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة ولم يرد على موسى هذا الرد بل موسى انما سال صحبته لينال
ما عنده من العلم الذي اختصه الله به فلو كان غير نبي لم يكن معصوماً ولم تكن لموسى وهو نبي عظيم وواجب
العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة ولما اجتمع به وتواضع له وعظمه واتبعه
في صورة مستفيد منه دل على انه نبي مثله يوحى اليه كما يوحى اليه وقد خص من العلوم اللدنية والاسرار
النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى الكليم وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرماني على نبوة الخضر عليه السلام
واما كونه ملكاً من الملائكة فقول غريب جداً **واما الخلاف** في دخوله الى زماننا هذا
فالجمهور على انه باق الى اليوم قيل لانه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة ابيه
آدم بطول الحياة وقيل لانه شرب من ماء الحياة فحيي **ولما اراد** موسى ان يفارق الخضر
قال له موسى اوصني قال كن نفاعاً ولا تكن ضراراً كن بشاشاً ولا تكن غضبان ارجع عن
اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ثم قال يا موسى ان الناس يعذبون في
الدنيا على قدر همومهم بها **وقد** روى عبد الله بن وهب عمن حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر
ان عمر بن الخطاب بينا هو يصلي على جنازة اذ سمع هاتفاً وهو يقول لا تسبقنا يرحمك الله فانتظر
حتى لحق بالصف فذكر دعاءه للميت ان تعذبه فكثيراً عصاك وان تغفر له ففقير الى رحمتك
فلما دفن قال طوبى لك يا صاحب القبر ان لم تكن عريفاً او جابياً او كاتباً او شرطياً فقال عمر

خذوا

خذوا الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عمن هو فالتفت فتوارى عنهم فنظروا فاذا هو اثر قدمه
ذراع فقال عمر هذا والله الخضر الذي حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الاثر
فيه انقطاع ولا يصح مثله **وذكر** ابن عساكر في ترجمة رجل تطلبه سليمان بن عبد الملك
انه فر منه في البلاد يمنة ويسرة الى ان بينما هو يمشي في بعض الاماكن اذا رجل يصلي فاقترب
فلما سلم قال له لعل هذا الطاغي يخافك قال نعم قال قل سبحان الله الواحد الذي
ليس غيره اله سبحان القديم الذي لا بادي له سبحان الدائم الذي لا نفاد له سبحان
الذي هو في شان سبحان الذي يحيي ويميت سبحان الذي خلق ما يرى وما لا يرى سبحان
الذي علم كل شيء بغير تعليم قال فقلتها فأمن قلبي ورجعت الى سليمان فاجلسني معه
على الفراش وقال الساحر انت ولقد اردت قتلك فما ملكت اذ رايتك الى ان اجلستك
معي فقلت ان من قصتي كذا وكذا فقال الخضر والله الخضر والله **وروى** ابن عساكر
ايضاً انه اجتمع بابرهيم التيمي وبسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم وهذه الحكايات
والروايات هي عمدة من ذهب الى حياته الى اليوم **وقال** عبد الرزاق انا معمر عن
الزهري اخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان ابا سعيد قال حدثنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حديثاً طويلاً عن الدجال فقال فيما يحدثنا يأتي الدجال وهو محرم عليه ان
يدخل نقاب المدينة فيخرج اليه رجل هو خير الناس او من خيرهم فيقول اشهد انك
انت الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديثه فيقول الدجال ارايتم
ان قتلت هذا ثم احييته اتشكون في الامر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول

كل يوم

يومئذ

حين يحيى والله ما كنت اشد بصيرة فيك مني الآن قال فيريد قتله الثانية فلا يسلط
عليه قال معمر بلغني انه الخضر الذي يقتله الدجال ثم يحييه وهذا الحديث مخرج في
الصحيحين من حديث الزهري به وقد تصدى الشيخ ابو الفرج بن الجوزي في كتابه عجالة
المنتظر في شرح حال الخضر للاحاديث الواردة في ذلك من الموضوعات فبين انها موضوعة
ومن الصحابة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فبين ضعفها اسنادا وبيان احوالها
وجهالة رجالها وقد اجاد في ذلك واحسن الانتقاد **واما الذين ذهبوا** الى انه قد مات
فمنهم البخاري وابرهيم الحربي والحسين بن المنادي والشيخ ابو الفرج بن الجوزي وقد انتصر
لذلك وصنف فيه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر فيحتج لهم باشياء كثيرة ⊙
منها قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد فالخضر ان كان بشرا فقد دخل في
هذا العموم لا محالة ولا يجوز تخصيصه منه الا بدليل صحيح والاصل عدمه حتى يثبت
ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن معصوم يجب قبوله **ومنها** ان الله تعالى
قال واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال
فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين قال ابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ
عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان ياخذ على امته الميثاق
لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه ذكره البخاري عنه فالخضر ان كان
نبيا او وليا فقد دخل في هذا الميثاق فلو كان حيا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ق

لكان اشرف احواله ان يكون بين يديه يؤمن بما انزل الله عليه وينصره ان يصل احد من الاعداء
اليه لانه ان كان وليا فالصديق افضل منه وان كان نبيا فموسى افضل منه **وقد روى**
الامام احمد في مسنده حدثنا شريح بن النعمان ثنا هشيم انا مجالد عن الشعبي عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو ان موسى كان حيا لما وسعه الا ان يتبعني
فاذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم انه لو كان الخضر حيا لكان من جملة امة محمد
صلى الله عليه وسلم وممن يقتدي بشرعه لا يسعه الا ذلك **هذا عيسى بن مريم** اذا نزل
في اخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة المحمدية وهو احد اولي العزم الخمسة المرسلين
وخاتم انبياء بني اسرائيل ومعلوم ان الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن انه اجتمع برسول
الله صلى الله عليه وسلم في يوم واحد ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد وهذا
يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا به لربه عز وجل واستنصره واستفتحه
على من كفره اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الارض وتلك العصابة
تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام فلو كان
الخضر حيا لكان وقوفه تحت هذه الراية اشرف مقاماته واعظم غزواته
قال القاضي ابو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي سئل بعض اصحابنا عن
الخضر هل مات فقال نعم قال وبلغني مثل هذا عن ابي طاهر بن الغباري قال
وكان يحتج بانه لو كان حيا لجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نقله ابن الجوزي
في العجالة **وكان** ذلك افضل له مما يقال عنه من كونه في الاعصار وهو دائر في الا

اسرائين
واقطار

واجتماعه بعباد لا يعرف احوال الكثير منهم وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم وهذا
الذي ذكرناه لا يتوقف احد فيه بعد التفهم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلى ليلة العشاء ثم قال ارايتم ليلتكم هذه فانه الى راس مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه
الارض اليوم احد وفي رواية عين تطرف قال ابن عمر فوهل الناس في مقالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه وانما اراد انخرام قرنه قال ابن الجوزي هذا الحديث يقطع دابر
دعوى حياة الخضر قالوا فالخضر ان لم يكن قد ادرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما هو المظنون الذي يترقى في القوة الى القطع فلا اشكال وان كان قد ادرك
زمانه فهذا الحديث يقتضي انه لم يعش بعده مائة سنة فيكون الآن مفقودا لا موجودا
لانه داخل في هذا العموم وقد حكى السهيلي في كتابه التعريف والاعلام عن البخاري
وشيخه ابي بكر بن العربي انه ادرك حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن مات بعده لهذا
الحديث وفي كون البخاري رحمه الله يقول بهذا وانه بقي الى زمان النبي صلى الله عليه وسلم
نظر ورجح السهيلي بقاءه وحكاه عن الاكثرين قال واما اجتماعه مع النبي صلى الله عليه وسلم
وتعزيته لاهل البيت بعده فمروي من طرق صحاح ثم ذكر ما قدمنا مما ضعفناه ولم
نورد اسانيده والله اعلم ○ واما الياس عليه السلام ○ فقال
الله تعالى بعد قصة موسى وهرون من سورة الصافات وان الياس لمن المرسلين
اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين الله ربكم ورب اباءكم

الاولين

فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام
على الياسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قال علماء
النسب هو الياس بن تشبي ويقال ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون ○ وقيل
الياس بن العازر بن العيزار بن هرون بن عمران قالوا وكان ارسله الى اهل بعلبك
فدعاهم الى الله تعالى وان يتركوا عبادة صنم لهم كانوا يسمونه بعلا ولهذا قال
اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين فكذبوه وخالفوه وارادوا قتله فهرب منهم
وقال كعب الاحبار ان الياس اختفى من ملك قومه في الغار الذي تحت الدم
عشر سنين حتى اهلك الله الملك وولي غيره فاتاه الياس فعرض عليه الاسلام
فاسلم واسلم من قومه خلق عظيم غير عشرة آلاف منهم فامرهم فقتلوا عن آخرهم
وقال مكحول عن كعب اربعة انبياء احياء اثنان في الارض الياس والخضر
واثنان في السماء ادريس وعيسى وقد ذكر ان الياس والخضر يجتمعان في كل عام
في شهر رمضان ببيت المقدس وانهما يحجان كل سنة ويشربان من زمزم شربة
تكفيهما الى مثلها من العام المقبل ○ والذي يقوم عليه الدليل ان الخضر مات وكذلك
الياس عليهما السلام ومما ذكره وهب بن منبه وغيره انه لما دعا ربه عز وجل
ان يقبضه اليه لما كذبوه وآذوه فجاءته دابة لونها لون النار فركبها وجعل الله
له ريشا والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وصار ملكيا بشريا سماويا
ارضيا واوصى الى اليسع بن اخطوب وفي هذا نظر وهو من الاسرائيليات التي لا تصدق

وَلا أكذب بل الظاهر أن صحته بعيدة والله اعلم **وقال** ابو بكر بن ابي الدنيا
حدثني بشر بن معاذ ثنا حماد بن واقد عن ثابت قال كنا مع مصعب بن الزبير بسواد
الكوفة فدخلت حائطا اصلي فيه ركعتين فافتتحت حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول فاذا رجل من خلفي على
بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال لي اذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب
اغفر لي ذنبي واذا قلت قابل التوب فقل يا قابل التوب تقبل توبتي واذا قلت شديد العقاب
فقل يا شديد العقاب لا تعاقبني واذا قلت ذي الطول فقل يا ذا الطول تطول علي
برحمة فالتفت فلم أر احدا وخرجت فسألت مر بكم رجل على بغلة شهباء عليه مقطعات
يمنية فقالوا ما مر بك احد فكانوا لا يرون الا انه الياس **وقوله** وتركنا عليه في الآخرين
اي ابقينا بعده ذكرا حسنا له في العالمين فلا يذكر الا بخير ولهذا قال سلام على ال ياسين
اي سلام على الياس والعرب تلحق النون في اسماء كثيرة وتبدلها من غيرها كما قالوا اسماعيل
واسماعين واسرائيل واسرائين والياس والياسين ومن قرا سلام على آل ياسين اي على
آل محمد وقرا ابن مسعود وغيره سلام على ادراسين ونقل عنه من طريق ابي اسحق عن عبيدة بن
ربيعة عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس واليه ذهب الضحاك بن مزاحم وحكاه
قتادة ومحمد بن اسحق والصحيح انه غيره كما تقدم **باب**

في ذكر جماعة من انبياء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام ثم نتبعهم بذكر
داود وسليمان عليهما السلام قال ابن جرير في تاريخه لا خلاف بين اهل العلم

باخبار الماضين وامور السالفين من امتنا وغيرهم ان القيم بامور بني اسرائيل بعد يوشع
كالب بن يوفنا يعني احد اصحاب موسى عليه السلام وهو زوج اخته مريم وهو احد الرجلين
اللذين ممن يخافون الله وهما يوشع وكالب وهما القائلان لبني اسرائيل حين نكلوا عن الجهاد
ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قال
ابن جرير ثم من بعده كان القائم بامور بني اسرائيل حزقيل بن بوذي وهو الذي دعا الله فاحيا
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت **قصة حزقيل**

قال الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون **قال** محمد بن اسحق
عن وهب بن منبه ان كالب بن يوفنا لما قبضه الله اليه بعد يوشع خلف في بني اسرائيل حزقيل
ابن بوذي وهو ابن العجوز وهو الذي دعا للقوم الذين ذكرهم الله في كتابه فيما بلغنا الم تر
الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت قال ابن اسحق فروا من الوبا فنزلوا
بصعيد من الارض فقال لهم الله موتوا فماتوا جميعا فحظروا عليهم حظيرة دون السباع فمضت
عليهم دهور طويلة فمر بهم حزقيل عليه السلام فوقف عليهم متفكرا فقيل له اتحب ان يبعثهم
الله وانت تنظر فقال نعم فامر ان يدعو تلك العظام ان تكتسي لحما وان يتصل العصب
بعضه ببعض فناداهم عن امر الله تعالى له بذلك فقام القوم اجمعون وكبروا تكبيرة
رجل واحد وقيل كانوا اهل قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون
فهرب عامة اهلها فنزلوا ناحية منها فهلك من بقي في القرية وسلم الآخرون فلم يمت

منهم كثير فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا هولاء كانوا احزم
منا لو صنعنا كما صنعوا بقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم فوقع في قابل فهربوا
بضعة وثلثون الفا حتى نزلوا ذلك المكان وهو واد افيح فناداهم ملك من اسفل الوادي
وآخر من اعلاه ان موتوا فماتوا حتى اذا هلكوا وبقيت اجسادهم مر بهم نبي يقال له
حزقيل فلما راهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فاوحى الله اليه تريد ان اريك كيف احييهم
قال نعم وانما كان تفكره من قدرة الله تعالى عليهم فقيل له ناد فنادى يا ايتها العظام
ان الله يامرك ان تجتمعي فجعلت العظام تطير بعضها الى بعض حتى كانت اجسادا من عظام
ثم اوحى الله اليه ان ناد يا ايتها العظام ان الله يامرك ان تكتسي لحما ودما وثيابها التي ماتت
فيها ثم قيل له ناد فنادى ايتها الاجساد ان الله يامرك ان تقومي فقاموا فلما احيوا قالوا
سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا الى قومهم احياء يعرفون انهم كانوا موتى سحنة
الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد كفنا دسما حتى ماتوا بعد ذلك باجالهم التي
كتبت لهم ٥ وعن ابن عباس انهم كانوا اربعة الاف وعنه ثمانية الاف وعن ابي صالح
تسعة الاف وعن ابن عباس ايضا كانوا اربعين الفا وعن سعيد بن عبد العزيز كانوا من
اهل اذرعات وقال ابن جريج عن عطا هذا مثل يعني انه سيق مثلا مبينا انه لن
يغني حذر من قدر وقول الجمهور ان هذا وقع قال محمد بن اسحق ولم يذكر لنا مدة لبث حزقيل
في بني اسرائيل ثم ان الله قبضه اليه فلما قبض نسي بنو اسرائيل عهد الله اليهم وعظمت فيهم
الاحداث وعبدوا الاوثان وكان في جملة ما يعبدونه من الاصنام صنم يسمونه بعلا فبعث الله

اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هرون بن عمران قلت وقد قدمنا
قصة الياس تبعا لقصة الخضر لانهما يقرنان في الذكر غالبا ولاجل انها بعد قصة
موسى في سورة الصافات فتعجلنا قصته لذلك والله اعلم قال محمد بن اسحق فيما ذكر
له عن وهب بن منبه قال ثم تنبأ فيهم بعد الياس وصيه اليسع بن اخطوب عليه السلام

وهذه قصة اليسع

وقد ذكره الله مع الانبيا في سورة الانعام وقال
تعالى في سورة ص واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار وعن
الحسن انه كان بعد الياس يعني اليسع فمكث ما شا الله ان يمكث يدعوهم الى الله تعالى
متمسكا بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله عز وجل اليه ثم خلف فيهم الخلوف
وعظمت فيهم الاحداث والخطايا وكثرت الجبابرة وقتلوا الانبيا وكان فيهم ملك جبار
عنيد طاغ ويقال انه الذي تكفل له ذو الكفل ان هو تاب ورجع دخل الجنة
فسمي ذا الكفل قال محمد بن اسحق هو اليسع بن اخطوب وقال الحافظ ابو القسم
ابن عساكر في حرف اليا من تاريخه اليسع وهو الاسباط بن عدي بن شوتلم بن افراثيم
ابن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم الخليل ويقال هو ابن عم الياس النبي عليهما السلام
ويقال انه كان مستخفيا معه بجبل قاسيون من ملك بعلبك ثم ذهب معه اليها
فلما رفع الياس خلفه اليسع في قومه ونبأه الله بعده ذكر ذلك عبد المنعم بن ادريس بن
سنان عن ابيه عن وهب بن منبه قال وقال غيره كان الاسباط بباناياس قلت
وقد قدمنا قصة ذي الكفل بعد قصة ايوب عليهما السلام لانه قد قيل انه ابن ايوب
والله اعلم

ذكر قصة ذي الكفل

فصل قال ابن جرير وغيره ثم مرج امر بني اسرائيل وعظمت فيهم الخطوب والخطايا
وقتلوا من قتلوا من الانبياء وسلط الله عليهم بدل الانبياء ملوكا جبارين يظلمونهم
ويسفكون دماءهم وسلط عليهم الاعداء من غيرهم ايضا وكانوا اذا قاتلوا احدا من الاعداء
يكون معهم تابوت الميثاق الذي كان في قبة الزمان كما تقدم ذكره فكانوا ينصرون
ببركته وبما جعل الله فيه من السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هرون فلما كان
في بعض حروبهم مع اهل غزة وعسقلان غلبوهم عليه وقهروهم على اخذه فانتزعوه
من ايديهم فلما علم بذلك ملك بني اسرائيل في ذلك الزمان مالت عنقه فمات كمدا
وبقي بنو اسرائيل كالغنم بلا راع حتى بعث الله تعالى فيهم نبيا من الانبياء يقال له شمويل
فطلبوا منه ان يقيم لهم ملكا ليقاتلوا معه الاعداء فكان من امرهم ما سنذكره مما قص
الله عز وجل في كتابه **قال** ابن جرير فكان بين وفاة يوشع بن نون الى ان بعث
الله شمويل بن بالي اربعمائة سنة وستون سنة ثم ذكر تفصيلها عدد الملوك الذين
ملكوا عليهم وسماهم واحدا واحدا تركنا ذكرهم قصدا

قصة شمويل

وفيها بدو امر داود عليه السلام **هو** شمويل ويقال اشمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام
ابن اليهو بن تهو بن صوف بن علقمة بن ماحث بن عموصا بن عزريا قال مقاتل وهو من
ورثة هرون وقال مجاهد هو اشمويل بن هلفاقا ولم يرفع في نسبه اكثر من هذا
والله اعلم **حكى** السدي باسناده عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة
والثعلبي وغيرهم انه لما غلبت العمالقة من ارض غزة وعسقلان على بني اسرائيل

وقتلوا منهم خلقا كثيرا وسبوا من ابنائهم جمعا كثيرا وانقطعت النبوة من سبط
لاوي ولم يبق منهم الا امراة حبلى فجعلت تدعو الله عز وجل ان يرزقها ولدا ذكرا
فولدت غلاما فسمته اشمويل ومعناه بالعبرانية اسمعيل اي سمع الله دعائي فلما
ترعرع بعثته الى المسجد واسلمته عند رجل صالح فيه يكون عنده ليتعلم من خيره وعبادته
فكان عنده فلما بلغ اشده بينما هو ليلة نائم اذا صوت ياتيه من ناحية المسجد فانتبه مذعورا
فظنه الشيخ يدعوه فساله أدعوتني فكره ان يفزعه فقال نعم نم فنام ثم ناداه الثانية
كذلك ثم الثالثة فاذا جبريل يدعوه فجاءه فقال ان ربك قد بعثك الى قومك فكان
من امرهم معهم ما قص الله في كتابه **قال** الله تعالى في كتابه العزيز الم تر الى الملاء
من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل
عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين
وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا
ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة
في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان اية
ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون
تحمله الملائكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود قال
ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف

فشربوا منه الا قليلا منهم الى قوله والله ذو فضل على العالمين قال اكثر المفسرين
كان نبي هؤلاء القوم شمويل وقيل شمعون وقيل هما واحد وقيل يوشع وهذا بعيد لما
ذكره الامام ابو جعفر بن جرير في تاريخه ان بين موت يوشع وبعثة شمويل اربعمائة سنة
وستين سنة والله اعلم والمقصود ان هؤلاء القوم لما انهكتهم الاعداء سألوا نبي الله في ذلك
الزمان ان ينصب لهم ملكا يكونون تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الاعداء
فلما كتب عليهم القتال تولوا ولم يجاوز مع الملك النهر الا القليل والباقون رجعوا ونكلوا
عن القتال واما طالوت فهو طالوت بن قيس بن مال بن صوار بن حرب بن افيح بن اديش
ابن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال عكرمة والسدي كان سقا وقال وهب كان
دباغا وقيل غير ذلك فالله اعلم ولهذا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه
ولم يؤت سعة من المال وقد ذكروا ان النبوة كانت في سبط لاوي وان الملك
كان في سبط يهوذا فلما كان هذا من سبط بنيامين نفروا منه وطعنوا في امارته
عليهم قالوا ونحن احق بالملك منه وذكروا انه فقير فكيف يكون مثل هذا ملكا قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم قيل كان الله قد اوحى الى شمويل ان
اي بني اسرائيل كان طوله على طول هذه العصا واذا حضر عندك يفور هذا القرن
الذي فيه من دهن القدس فهو ملكهم فجعلوا يدخلون يقيسون انفسهم بتلك العصا
افواجا افواجا فلم يكن منهم احد على طولها سوى طالوت ولما حضر عند شمويل فار ذلك
القرن فدهنه منه وعينه للملك عليهم وقال لهم ان الله اصطفاه عليكم وزاده

بسطة في العلم قيل في امر الحروب وقيل بل مطلقا والجسم قيل الطول وقيل الجمال والظاهر
من السياق انه كان اجلهم واعلمهم بعد نبيهم عليه السلام والله يؤتي ملكه من يشاء فله الحكم
وله الخلق والامر والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه
سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة وهذا ايضا من بركة
ولاية هذا الرجل الصالح عليهم ان يرد الله عليهم التابوت الذي كان سلب منهم وقهرهم
الاعداء عليه وقد كانوا ينصرون على اعدائهم ببركته فيه سكينة من ربكم وقيل
طست من ذهب كان يغسل فيه صدور الانبياء وقيل السكينة مثل الريح وقيل صورتها
مثل الهرة اذا صرخت في الحرب ايقن بنو اسرائيل بالنصر ○ وبقية مما ترك آل
موسى وآل هرون قيل كان فيه رضاض الالواح وشيء من المن الذي كان ينزل
عليهم بالتيه تحمله الملائكة اي تأتيكم به الملائكة يحملونه وانتم ترون ذلك عيانا
لتكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما اقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الرجل
الصالح عليكم وقيل انه لما غلب العمالقة على هذا التابوت وكان فيه ما ذكر
من السكينة والبقية المباركة وقيل كان فيه التورية ايضا فلما استقر في ايديهم
وضعوه تحت صنم لهم بارضهم فلما اصبحوا اذا التابوت على رأس الصنم فوضعوه تحته
فلما كان اليوم الثاني اذا التابوت فوق الصنم فلما تكرر هذا علموا ان هذا امر من الله
عز وجل فاخرجوه من بلدهم وجعلوه في قرية من قراهم فاخذهم داء في رقابهم فلما طال عليهم هذا
جعلوه في عجلة وربطوها في بقرتين وارسلوهما فقيل ان الملائكة ساقتهما حتى وصل

التابوت الى بني اسرائيل وهم ينظرون كالخبر بينهم بذلك والله اعلم على اي صفة جاءت
به الملائكة والظاهر ان الملائكة كانت تحمله بانفسهم كما هو المفهوم من الاية والله اعلم وان
كان الاول قد ذكره كثير من المفسرين او اكثرهم ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم
بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده قال ابن عباس
وكثير من المفسرين هذا النهر هو نهر الاردن وهو المسمى بالشريعة فكان من امر طالوت
بجنوده عند هذا النهر عن امر نبي الله له عن امر الله له اختبارا ان من شرب من هذا النهر
اليوم فلا يصحبني في هذه الغزوة ولا يصحبني الا من لم يطعمه الا غرفة في يده قال الله
تعالى فشربوا منه الا قليلا منهم قال السدي كان الجيش ثمانين الفا فشرب
منه ستة وسبعون الفا وبقي معه اربعة الاف كذا قال ۝ قال الله تعالى فلما جاوزه
هو والذين امنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي استقلوا انفسهم واستصغروا
عن مقاومة اعدائهم بالنسبة الى قلتهم وكثرة عدد عدوهم قال الذين يظنون
انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين طلبوا من الله تعالى ان يفرغ عليهم الصبر اي يغمرهم به من فوقهم فتستقر
قلوبهم ولا تقلق وان يثبت اقدامهم في مجال الحرب ومعترك الابطال وان ينزل
عليهم النصر على اعدائهم واعدائه من الكافرين الجاحدين باياته والائه فاجابهم الله
الى ما طلبوا ولهذا قال فهزموهم باذن الله اي بحول الله لا بحولهم وبقوة الله لا

بقوتهم

بقوتهم وعددهم مع كثرة اعدائهم وقوله تعالى وقتل داود جالوت واتاه الله
الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ۝ فيه دلالة على شجاعة داود عليه السلام وقد ذكر
السدي ان داود كان اصغر اولاد ابيه وكانوا ثلاثة عشر رجلا وكان داود سمع طالوت
ملك بني اسرائيل وهو يحرض بني اسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت
زوجته ابنتي واشركته في ملكي وكان داود يرمي بالقذافة وهو المقلاع رميا عظيما فبينا
هو سائر مع بني اسرائيل اذ ناداه حجر ان خذني فان بي تقتل جالوت فاخذه ثم حجر اخر
كذلك ثم اخر كذلك فاخذ الثلاثة في مخلاته فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا الى نفسه
فتقدم اليه داود فقال له ارجع فاني اكره قتلك فقال لكني احب قتلك
واخذ تلك الاحجار الثلاثة فوضعها في مقلاعه ثم ادارها فصارت الثلاثة حجرا
واحدا ثم رمى بها جالوت ففلق راسه وفر جيشه منهزما فوفى له طالوت بما وعده
فزوجه ابنته واجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني اسرائيل
واحبوه ومالوا اليه اكثر من طالوت فحسده طالوت واراد قتله واحتال الى
ذلك فلم يصل اليه وجعل علماء بني اسرائيل ينهون طالوت عن قتل داود فتسلط
عليهم بقتلهم حتى لم يبق منهم الا القليل ثم ندم وتاب واقلع عما سلف منه وجعل
يكثر من البكاء ويخرج الى الجبانة فيبكي حتى يبل الثرى بدموعه فنودي ذات يوم
من الجبانة ان يا طالوت قتلتنا ونحن احياء واذيتنا ونحن اموات فازداد لذلك
بكاؤه ثم جعل يسال عن عالم يساله عن امره وهل له من توبة فقيل له وهل ابقيت

حتى دلّ على امرأة من العابدات فاخذته فذهبت به حا ذكره الثعلبي الى قبر اشمويل
ودعت الله تعالى فقام من قبره فقال اقامت القيامة فقالت لا ولكن هذا طالوت يسألك
هل له من توبة فعاتبه على ما صنع بعده من الامور ثم قال له نعم باب التوبة مفتوح يخلع
من ملكه ويذهب فيقاتل في سبيل الله حتى يقتل ثم عاد اشمويل ميتا فترك طالوت الملك
لداود وذهب ومعه ثلثة عشر من اولاده فقاتلوا في سبيل الله حتى قتلوا ۝ وقيل
ان الذي كان يوشع وقيل اليسع والاول ابعد ۝ ولعله انما رآه في المنام لانه قام من
القبور حيا فانما هذا انما يكون معجزة لنبي وتلك المرأة لم تكن نبية والله اعلم ۝ قال
ابن جرير وزعم اهل التوراة ان مدة ملك طالوت الى ان قتل مع اولاده كانت اربعين سنة

قصة داود عليه السلام وما كان في ايامه وذكر فضائله

وشمائله ودلائل نبوته هو داود بن ايشا بن عويد بن باعر بن سلمون بن نحشون
ابن عويناذب بن ارم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في الارض المقدسة قال محمد بن اسحق عن بعض العلما
عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيرا ازرق العينين قليل الشعر طاهر
القلب نقيه تقدم انه لما قتل جالوت وكان قتله له فيما ذكره ابن عساكر
عند قصر ام حكيم بقرب مرج الصفر فاحبته بنوا اسرائيل ومالوا اليه فكان من امر
طالوت ما كان وصار الملك الى داود عليه السلام وجمع الله تعالى له بين الملك والنبوة
وكان الملك يكون في سبط والنبوة في آخر فاجتمع في داود هذا وهذا كما قال تعالى

وقتل

وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين اي لولا اقامة الملوك حكاما
على الناس لاكل قوي الناس ضعيفهم ولهذا جاء في بعض الآثار السلطان ظل الله في
ارضه وقد ذكر ابن جرير في تاريخه ان جالوت لما بارز طالوت فقال له اخرج
الي واخرج اليك فندب طالوت الناس فانتدب داود فقتل جالوت قال
وهب فمال الناس الى داود حتى لم يكن لطالوت ذكر فخلعوا طالوت وولوا عليهم داود
وقيل ان ذلك كان عن امر اشمويل حتى قال بعضهم انه ولاه قبل الوقعة قال ابن جرير
والذي عليه الجمهور انه انما ولي الملك بعد قتل جالوت والله اعلم وروى ابن عساكر
عن سعيد بن عبد العزيز ان قتله جالوت كان عند قصر ام حكيم وان النهر
الذي هناك هو المذكور في الآية والله اعلم وقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم
لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ۝ اعانه الله على عمل الدروع من الحديد ليحصن
المقاتلة من الاعداء وارشده الى صنعتها وكيفيتها وكان الله قد الان له الحديد حتى
كان يفتله بيده لا يحتاج الى نار ولا مطرقة قال قتادة فكان اول من عمل الدروع
من زرد الحديد وانما كانت قبل ذلك صفائح وكان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة
آلاف درهم وقد ثبت في الحديث الصحيح ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان نبي
الله داود كان يأكل من كسب يده وقال تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد
انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له اواب

وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال ابن عباس ومجاهد الايد القوة
في الطاعة يعني كان ذا قوة في العبادة والعمل الصالح قال قتادة اعطي قوة في العبادة وفقها
في الاسلام وكان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا
لاقى وكان الله عز وجل قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه احدا حيث انه كان
اذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهوا يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه وكذلك الجبال تجيبه
وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشيا صلوات الله وسلامه عليه وقال وهب كان لا
يسمعه احد الا حجل كهيئة الرقص وكان يقرا الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله فتعكف
الجن والانس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعا وحتى ان الانهار
لتقف ۝ وكان اذا اخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى وهذا غريب وقال الامام
احمد ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم صوت ابي موسى الاشعري وهو يقرا فقال لقد اوتي ابو موسى من مزامير
آل داود ۝ وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه ۝ وفي حديث آخر
لقد اعطي ۝ وقد روي عن ابي عثمان انه قال لقد سمعت البربط والمزمار فما سمعت
صوتا احسن من صوت ابي موسى الاشعري وقد كان داود مع هذا الصوت
الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور وكان لا ياكل الا من عمل يديه ۝ وكذلك

رواه

رواه البخاري وقد قال الله تعالى وآتينا داود زبورا والزبور كتاب الله المشهور وقوله
تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب اي اعطيناه ملكا عظيما وحكما نافذا روى ابن جرير
وابن ابي حاتم عن ابن عباس ان رجلين تداعيا الى داود عليه السلام في بقر ادعى احدهما
على الآخر انه اغتصبها منه فانكر المدعى عليه فارجا امرهما الى الليل فلما كان الليل اوحى
الله اليه ان يقتل المدعي فلما اصبح قال له داود ان الله اوحى الي ان اقتلك فانا قاتلك
لا محالة فما خبرك فيما ادعيته على هذا فقال والله يا نبي الله اني لمحق فيما ادعيته عليه
ولكني كنت اغتلت اباه قبل هذا فامر به داود فقتل فعظم امر داود في بني اسرائيل
جدا وخضعوا له خضوعا عظيما قال ابن عباس وهو قوله تعالى وشددنا ملكه وقال وهب بن
منبه لما كثر الشر وشهادات الزور في بني اسرائيل اعطي داود سلسلة لفصل القضا
فكانت ممدودة من السما الى الصخرة بيت المقدس وكانت من ذهب فاذا تشاجر الرجلان في
حق فايهما كان محقا نالها والآخر لا يصل اليها فلم يزل كذلك حتى اودع رجل رجلا لؤلؤة
فجحدها منه واتخذ عكازا واودعها فيه فلما حضرا عند السلسلة تناولها المدعي فلما قيل للآخر
خذها بيدك عمد الى العكاز فاعطاه المدعي وفيه تلك اللؤلؤة وقال اللهم انك تعلم اني دفعتها
اليه ثم تناول السلسلة فنالها فاشكل امرها على بني اسرائيل ثم رفعت من بينهم
ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين وقد رواه اسحاق بن بشر عن ادريس عن [illegible] عن وهب
به بمعناه ۝ وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم
قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء

انّ هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب قال
لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فغفرنا
له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ۞ وقد ذكر بعض المفسرين ان ركوعه كان
سجود داود انه مكث ساجدا اربعين يوما وقال ابن ابي حاتم ثنا ابو زرعة ثنا عبد الله بن ابي
زياد ثنا سيار ثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله وان له عندنا لزلفى وحسن
مآب قال يقام داود عليه السلام يوم القيمة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني
اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته
فيقول اني ارده عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم اهل الجنان ۞ يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب هذا خطاب من الله تعالى
مع داود والمراد ولاة الامور وحكام الناس وامرهم بالعدل واتباع الحق ويوعد من سلك
غير ذلك وحكم بغيره وقد كان داود هو المقتدى به في ذلك الزمان في العدل وكثرة العبادة
حتى انه كان لا يمر ساعة من آناء الليل واطراف النهار الا واهل بيته في عبادة ليلا ونهارا كما قال تعالى اعملوا
آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقال البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو بكر بن بالويه
ثنا محمد بن يونس القرشي ثنا روح بن عبادة حدثني عبد الله بن لاحق عن ابن شهاب قال قال داود
الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله فاوحى الله تعالى اليه انك اتعبت الحفظة يا داود

الليل واطراف

ورواه

ورواه ابو بكر بن ابي الدنيا عن علي بن الجعد عن الثوري مثله وقالت اليهود لما رأت النبي صلى
الله عليه وسلم يتزوج النساء انظروا الى هذا الذي لا يشبع من الطعام ولا والله ما له همة الا الى
النساء وحسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك فقالوا لو كان نبيا ما رغب في النساء وكان اشدهم
في ذلك حيي بن اخطب فكذبهم الله عز وجل واخبرهم بفضل الله وسعته على نبيه صلوات الله
وسلامه عليه فقال ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله يعني بالناس رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما يعني ما آتى الله سليمان
ابن داود كانت له الف امرأة سبعمائة مهيرة وثلثمائة سرية وكانت لداود مائة امرأة
منهن امرأة اوريا ام سليمان التي تزوجها داود بعد الفتنة هذا اكثر مما لمحمد صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر الكلبي نحو هذا وانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان الف امرأة منهن ثلثمائة سرية
وروى الحافظ في تاريخه في ترجمة صدقة الدمشقي الذي يروي عن ابن عباس من طريق الفرج بن
فضالة الحمصي عن ابي هريرة الحمصي عن صدقة الدمشقي ان رجلا سال ابن عباس رضي الله عنهما
عن الصيام فقال لاحدثنك بحديث كان عندي في البحث مخزونا ان شئت انبأتك بصوم داود
فانه كان صواما قواما وكان شجاعا لا يفر اذا لاقى وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام داود وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتا
يكون فيها ۞ وان شئت انبأتك بصوم ابنه سليمان فانه كان يصوم من اول الشهر ثلثة ايام
ومن وسطه ثلثة ايام ومن آخره ثلثة ايام ۞ وان شئت انبأتك بصوم ابن العذراء البتول
عيسى بن مريم فانه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ولا يسأل

عما فقد

ليس له ولا يموت ولا يبيت بجوب وكان انما ادركه الليل صفن بين قدميه وقام
يصلي حتى يصبح وكان رايته لا يفوته الصيد وكان يخبر بمجالس بني اسرايل فيقضي لهم حوايجهم
وان شيت انباتك بصوم امه مريم بنت عمران فانها كانت تصوم يوما وتفطر يومين ۞ وان
شيت انباتك بصوم النبي العربي الامي محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان يصوم من كل شهر
ثلثة ايام ويقول ان ذلك صوم الدهر

ذكر عمره وكيفية وفاته عليه السلام

جا في الاحاديث الواردة في خلق آدم عليه السلام ان الله لما استخرج ذريته
من ظهره فراي فيهم الانبيا عليهم السلام فراى فيهم رجلا يزهر فقال اي رب من هذا
فقال هذا ابنك داود قال اي رب كم عمره قال ستون عاما قال اي رب زد
في عمره قال لا الا ان ازيده من عمرك وكان عمر آدم الف عام فزاده اربعين عاما
فلما انقضى عمر آدم جاه ملك الموت فقال بقي من عمري اربعون سنة ونسي آدم
ما كان وهبه لولده داود فاتمها الله لادم الف سنة ولداود ماية سنة ۞ رواه
احمد عن ابن عباس والترمذي وصححه عن ابي هريرة وابن خزيمة وابن حبان وقال
الحاكم على شرط مسلم ۞ وقد تقدم ذكر طرقه والفاظه في قصة آدم قال
ابن جرير وقد زعم بعض اهل الكتاب ان عمر داود كان سبعا وسبعين سنة قال
ابن كثير في تاريخه وهذا غلط مردود عليهم قالوا وكان مدة ملكه اربعين سنة وهذا
قد يقبل نقله لانه ليس عندنا ما ينافيه ولا ما يقتضيه

واما وفاته عليه السلام

فقال الامام احمد في مسنده حدثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو

بن.

ابن ابي عمرو عن المطلب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان
داود فيه غيرة شديدة فكان اذا خرج اغلقت الابواب فلم يدخل على اهله احد
حتى يرجع قال فخرج ذات يوم وغلقت الدار فاقبلت امراته تطلع الى الدار فاذا رجل
قايم وسط الدار فقالت لمن في البيت من اين دخل هذا الرجل والدار مغلقة والله لتفتضحن
بداود فجا داود فاذا الرجل قايم وسط الدار فقال له داود من انت قال الذي لا
اهاب الملوك ولا يمتنع مني الحجاب فقال داود انت والله اذن ملك الموت مرحبا
بامر الله فرمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شانه وطلعت عليه الشمس
فقال سليمان للطير اظلي على داود فاظلت عليه الطير حتى اظلمت عليهم الارض فقال
سليمان للطير اقبضي جناحا جناحا قال ابو هريرة يرينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
فعلت الطير وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وغلبت عليه يوميذ المضرحية ۞
انفرد باخراجه الامام احمد واسناده جيد قوي ورجاله ثقات ومعنى قوله وغلبت
عليه يوميذ المضرحية اي وغلبت على التظليل عليه المضرحية وهي الصقور الطوال
الاجنحة والواحد مضرحي قال الجوهري وهو الصقر الطويل الجناح **وقال**
السدي عن ابي مالك او عن سعيد بن جبير قال مات داود عليه السلام وهو ابن ماية
سنة ومات يوم الاربعا فجاة **وروى** عن بعضهم ان ملك الموت جاه وهو نازل من محرابه
فقال له دعني انزل او اصعد فقال يا نبي الله قد نفدت السنين والشهور والاثار
والارزاق قال فخر ساجدا على مرقاة من تلك المراقي فقبضه وهو ساجد وشيع جنازته

يومئذ اربعون الف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس ولم يبق في بني
اسرائيل تعبد سوى دهرون لمحدثات بنو اسرائيل اشد حزنه عليه منهم على داود قال
فاذاهم الحر فنادى سليمان عليه السلام ان يظل عليهم لما اصابهم من الحر فخرج سليمان فنادى الطير
فاجابت فامرها فاظلت الناس قال فكان يقترب بعضها الى البعض من كل ناحية حتى استمسكت الريح
فكاد الناس ان يهلكوا فصاحوا الى سليمان عليه السلام من الغم فخرج سليمان فنادى الطير
ان اظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي عن ناحية الريح ففعلت فكان الناس في ظل تهب
عليهم الريح فكان ذلك اول ما راوا من ملك سليمان قصة

سليمان بن داود عليهما السلام قد تقدم نسب ابيه في قصته وهو ابو الربيع نبي الله
سليمان بن نبي الله • جاء في الآثار انه دخل دمشق قال الله تعالى وورث سليمان داود
وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين اي ورثه
في النبوة والملك وليس المراد وراثة المال لانه قد كان له بنون غيره كما رواه ابن عساكر
عن بعض السلف ولانه قد ثبت في الصحاح من غير وجه عن جماعة من الصحابة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه فهو صدقة وفي رواية نحن معشر الانبيا لا نورث
فاخبر الصادق المصدوق ان الانبيا لا تورث اموالهم عنهم كما يورث غيرهم بل تكون اموالهم صدقة
من بعدهم على الفقرا والمساكين لا يخصون بها اقرباهم لان الدنيا كانت اهون عليهم واحقر عندهم
من ذلك كما هي عند الذي ارسلهم واصطفاهم وفضلهم • وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير
يعني انه عليه السلام كان يعرف ما تخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وارادا

وقد قال الحافظ ابو بكر البيهقي انا ابو عبد الله الحافظ انا ابو علي الحسين ثنا اسماعيل بن قتيبة
ثنا علي بن قدامة ثنا ابو جعفر الاسواني يعني محمد بن عبد الرحمن عن يعقوب القمي حدثني ابو مالك
قال مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا
وما يقول يا نبي الله قال يخطبها الى نفسها ويقول زوجيني اسكنك اي غرف دمشق شئت قال
سليمان عليه السلام لان غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر ان يسكنها احد ولكن كل خاطب كذاب
رواه ابن عساكر عن ابي القاسم زاهر بن طاهر عن البيهقي به • وكذلك ما عداها من
الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الايات واوتينا
من كل شيء اي من كل ما يحتاج الملك اليه من العدد والالات والجنود والجيوش والجماعات
من الجن والانس والطيور والوحوش الشاردات والعلوم والفهوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات
من الناطقات والصامتات ثم قال ان هذا لهو الفضل المبين اي من بارئ البريات
وخالق الارض والسموات كما قال تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
فهم يوزعون حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين يخبر تعالى عن عبده ونبيه سليمان انه ركب يوما في جيشه جميعه من
الجن والانس والطير فالجن والانس يسيرون معه والطير سائرة معه تظله باجنحتها
من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة اي نقبا يردون اوله على آخره

ولا يتقدم أحد عن موضعه الذي يتبوأ فيه ولا يتأخر عنه قال الله تعالى حتى إذا أتوا
على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا
يشعرون فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور وقد ذكر وهب
أنه مر وهو على البساط بواد بالطائف وأن هذه النملة كان اسمها جرس من قبيلة يقال لها بنو
الشيصبان وكانت عرجاء وكانت بقدر الذئب وفي هذا كله نظر وفي هذا السياق دليل على
أنه كان في موكبه راكبا في خيوله وجنوده لا كما زعمه بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط
لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء لأن البساط كان يحملون عليه جميع ما يحتاجون
إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام والطير من فوقهم كما سنبينه
بعد هذا إن شاء الله تعالى **والمقصود** أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة
لأمتها من الرأي السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح بما أطلعه
الله عليه دون غيره **فأما الحديث** الذي رواه الطبراني من طريق زيد بن بكر بن حبيش
عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود أنهم عرضوا رقية الحمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله شجة قرنية ملحة بحر قفطا فقال هذه مواثيق أخذها سليمان بن داود على الهوام لا
أرى بها بأسا فإنه حديث غريب ولا يخلو من نكارة والله أعلم ○ فطلب من الله أن يقيضه
للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره وأن ييسر عليه العمل الصالح وأن
يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استجاب الله له والمراد بوالديه داود عليه السلام
وأمه وكانت من العابدات الصالحات **كما قال** سنيد بن داود عن يوسف بن محمد بن المنكدر

عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قالت أم سليمان بن داود يا بني لا تكثر
النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرا يوم القيامة ○ رواه ابن ماجه
عن أربعة من مشايخه عنه به نحوه **وقال** عبد الرزاق عن معمر عن الزهري إن
سليمان بن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى
قوائمها تستسقي فقال لأصحابه ارجعوا فقد سقيتم إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها
وقال السدي أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة
قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن فضلك
قال فصب الله عليهم المطر ○ وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين
لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت
بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل
شيء ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون إلى قوله وهم صاغرون **يذكر تعالى**
ما كان من أمر سليمان والهدهد وذلك أن الطيور كان لكل صنف منهم مقدمون بما يطلب
منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك وكانت وظيفة الهدهد على ما
ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يجيء
فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى
الماء تحت تخوم الأرض فإذا دلهم عليه حفروا عنه واستخرجوه واستعملوه لحاجتهم فلما تطلبه

بلغ [illegible] الله

ذات يوم فلم يجده في محل خدمته فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه
عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين أي بحجة تنجيه من هذه الورطة قال
الله تعالى فمكث غير بعيد فقال لسليمان أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين
أي بخبر صادق إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم **ذكر**
ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين وكان
الملك في ذلك الزمان قد آل إلى امرأة منهم ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم وذكر
الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلا فعم بهم الفساد فأرسلت إليه تخطبه
فتزوجها فلما دخلت عليه أسقته خمرا ثم حزت رأسه ونصبته على بابها فأقبل إليها الناس
وملكوها عليهم **وهي** بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد وقيل شراحيل بن ذي جدن
ابن السيرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبوها
من أكابر الملوك وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها
ريحانة بنت السكن فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمه ويقال لها بلقيس **وقد روى الثعلبي**
من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال كان أحد أبوي بلقيس جنيا ٥ وهذا حديث غريب وفي سنده
ضعف ٥ **وقد ثبت** في صحيح البخاري من حديث عوف عن الحسن عن أبي بكرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال لن يفلح قوم
ولوا أمرهم امرأة ورواه الترمذي والنسائي من حديث حميد عن الحسن عن أبي بكرة عن النبي

صلى الله عليه وسلم نحوه وقال الترمذي حسن صحيح ٥

وقوله وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم يعني سرير مملكتها كان مزخرفا بأنواع
الجواهر واللآلئ والذهب ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله وإضلال
الشيطان لهم وصده إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له رب العرش العظيم
أي له العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات فعند ذلك بعث سليمان عليه السلام
كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول
في الخضوع لمملكته وسلطانه ولهذا قال أن لا تعلوا علي وأتوني مسلمين أي فأقدموا علي
سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة **فلما جاءها** الكتاب مع الطير **ومن ثم** اتخذ
الناس البطائق ولكن أين الثريا من الثرى تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع
فاهم عالم بما يقول ويقال له **وذكر** غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل
الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ثم وقف في ناحية ينتظر ما يكون
من جوابها عن كتابها فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها وأولي مشورتها قالت
يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم ثم قرأت عليهم عنوانه أولا فإذا فيه إنه من سليمان
وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها
وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة
أمرا حتى تشهدون يعني ما كنت أبت أمرا إلا وأنتم حاضرون قالوا نحن أولو قوة
وأولو بأس شديد يعنون لنا قوة على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال فإن
أردت منا ذلك فإنا عليه من القادرين ومع هذا فالأمر إليك فانظري ماذا تأمرين

يبذلوا لها الطاعة والخضوع بما عندهم من الاستطاعة وفوضوا اليها في ذلك الامر
لترى ما فيه الارشد لها ولهم فكان رايها اتم واسد من رايهم وعلمت ان صاحب الكتاب
لا يغالب قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ارادت ان تصانع عن
نفسها واهل مملكتها بهدية ترسلها وتحقق شعثها ولم تعلم ان سليمان لا يقبل منهم
صرفا ولا عدلا لانهم كافرون وهو وجنوده عليهم قادرون فلما وصلت الهدية الى سليمان
قال اتمدونن بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم بل انتم بهديتكم تفرحون وقد كانت تلك الهدية
مشتملة على امور عظيمة كما ذكره المفسرون ثم قال لرسولها اليه والناس حاضرون
ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون اي لنحضر
لهم جنودا لا قبل لهم بها ولنخرجهم من بلدهم وحوزتهم ومعالمهم ودولتهم اذلة وهم صاغرون
عليهم الصغار والعار والدمار فلما بلغ ذلك لهم عن نبي الله لم يجدوا من السمع والطاعة بدا فبادروا
الى اجابته من تلك الساعة واقبلوا بصحبة الملكة اجمعين سامعين مطيعين خاضعين
فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم اليه قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان ما قصه الله تعالى
عنه في القرآن قال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال
عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده
علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا
من فضل ربي ليبلوني أأشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي

بلغ مقابلة

قال نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل اهكذا عرشك
قالت كانه هو واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله
انها كانت من قوم كافرين الى قوله واسلمت مع سليمان لله رب العالمين لما طلب سليمان
من الجان ان يحضروا له عرش بلقيس وهو سرير مملكتها الذي تجلس عليه وقت حكمها
قبل قدومها عليه قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك يعني قبل ان تنقضي
مجلس حكمك وكان يجلس للناس من اول النهار الى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني اسرائيل
وما لهم من الاشغال واني عليه لقوي امين اي واني لذو قدرة على احضاره اليك وامانة
على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك قال الذي عنده علم من الكتاب المشهور انه اصف بن
برخيا وهو ابن خالة سليمان وقيل هو رجل من مؤمني الجان كان فيما يقال يحفظ الاسم الاعظم
وقيل رجل من بني اسرائيل من علمائهم وقيل انه جبريل ٥ انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك قيل معناه قبل ان تبعث رسولا الى اقصى ما ينتهي اليه طرفك من الارض ثم يعود
اليك وقيل قبل ان يصل اليك ابعد من تراه من الناس وقيل قبل ان يكل طرفك اذا ادمت
النظر به قبل ان تطبق جفنك وقيل قبل ان يرجع اليك طرفك اذا نظرت به الى
ابعد غاية منك ثم اغمضته وهذا اقرب ما قيل فلما راه مستقرا عنده اي فلما راى
عرش بلقيس مستقرا عنده في هذه المدة القريبة من بلاد اليمن الى بيت المقدس في طرفة عين
قال هذا من فضل ربي ليبلوني اي هذا من فضل الله علي وفضله على عبيده ليختبرهم على الشكر
او خلافه ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي انما يعود نفع ذلك عليه ومن كفر فان ربي

غني كريم

أي غني عن شكر الشاكرين فلا يضره كفر الكافرين ثم أمر سليمان أن تغير حلاها هذا الكرسي
وقيل إنما اختبر عقلها وفهمها فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وهذا من فطنتها
وفهمها لأنها استبعدت أن يكون عرشها لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن ولم تكن تعلم
أن أحدا يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب قال الله تعالى إخبارا عن سليمان وقومه
وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم
كافرين أي منعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله اتباعا لدين
آبائهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج وعمل
في ممره ماء وجعل عليه سقفا من زجاج وجعل فيه من السمك وذوات الماء وأمرت بدخول
الصرح وسليمان جالس على سريره فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح
ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقد قيل
أن الجن أرادوا أن يبشعوا منظرها عند سليمان وأن تبدي عن ساقيها ليرى ما عليها من الشعر
فينفره ذلك منها وخشوا أن يتزوجها لأن أمها من الجان فتتسلط عليهم معه وذكر
بعضهم أن حافرها كحافر الدابة وهذا ضعيف وفي الأول أيضا نظر إلا أن سليمان
لما أراد إزالة الشعر وعزم على تزويجها سأل الإنس عن ذلك فذكروا له المواسي فنفرت
من ذلك فسأل الجان فصنعوا له النورة ووضعوا له الحمام فكان أول من دخل الحمام
فلما وجد غمه وحرارته قال أوه من عذاب الله أوه قبل أن لا ينفع أوه رواه الطبراني
مرفوعا وفيه نظر وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة

فيه

في

اليمن وردها إليه وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على البساط
وأمر الجان فبنوا لها ثلاثة قصور باليمن غمدان وسلحين وبينون والله أعلم وقد روى
ابن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها بل زوجها بملك
همدان وأقرها على مملكة اليمن وسخر زوبعة ملك جن اليمن فبنى لها القصور الثلاثة
التي ذكرناها في اليمن والأول أشهر وأظهر والله أعلم ثم ذكر تعالى ما كان من أمر سليمان في
الخيل الصافنات وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة الجياد وهي المضمرة السراع
والذي عليه أكثر السلف فقالوا اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت صلاة العصر
وغربت الشمس روي هذا عن علي بن أبي طالب وغيره والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة
عمدا من غير عذر اللهم إلا أن يقال أنه كان سائغا في شريعتهم تأخير الصلاة لأجل أسباب
الجهاد وعرض الخيل من ذلك وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي صلى الله عليه وسلم
صلاة العصر يوم الخندق أن هذا كان مشروعا إذ ذاك حتى نسخ بصلاة الخوف
قاله الشافعي وغيره وقال مكحول والأوزاعي بل هو حكم محكم إلى اليوم أنه يجوز تأخيرها
لعذر القتال الشديد كما هو مقرر في تفسير سورة النساء عند صلاة الخوف وقال
آخرون بل كان تأخير النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر يوم الخندق نسيانا وعلى هذا
فيحمل فعل سليمان عليه السلام والله أعلم ٥ ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق
قيل مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف ٥ وقيل مسح عنها العرق لما أجراها وسابق بينها
بين يديه على القول الآخر وهذا القول اختاره ابن جرير ورواه الوالبي عن ابن عباس

ووجه هذا القول ابن جرير بانه ما كان ليعذب الحيوان بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا
ولا ذنب لها وهذا الذي قاله فيه نظر لانه قد يكون هذا سائغا في ملتهم وقد ذهب
بعض علمائنا الى انه اذا خاف المسلمون ان يظفر الكفار على شيء من الحيوانات من اغنام ونحوها
جاز ذبحها واهلاكها لئلا يتقووا بها وعلى ذلك حمل صنيع جعفر بن ابي طالب يوم عقر فرسه
بمؤتة وقد قيل انها كانت خيلا عظيمة قيل كانت عشرة آلاف فرس وقيل عشرين الف
فرس وقيل كان فيهن عشرون فرسا من ذوات الاجنحة وقد روى ابو داود في سننه قال
حدثنا محمد بن عوف ثنا سعيد بن ابي مريم انا يحيى بن ايوب حدثني عمارة بن غزية ان محمد بن ابراهيم
حدثه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك او خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية
الستر عن بنات لعائشة لعب فقال ما هذا يا عائشة فقالت بناتي ورأى بينهن فرسا
له جناحان من رقاع فقال ما هذا الذي ارى وسطهن قالت فرس قال وما الذي عليه هذا
قالت جناحان قال فرس له جناحان قالت اما سمعت ان لسليمان خيلا لها اجنحة قالت
فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم وقد قال بعض العلماء انه لما ترك الخيل لله
عوضه الله عنها بما هو خير له منها وهو الريح التي كانت غدوها شهر ورواحها شهر
كما سيأتي الكلام عليها قوله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب
وذلك ان سليمان غاب عن سريره اربعين يوما ثم عاد اليه فلما عاد امر ببناء بيت المقدس فبناه
بناء محكما وقد قدمنا انه جدده وان اول من جعله مسجدا اسرائيل عليه السلام كما ذكرنا ذلك

عند

[illegible]

عند قول ابي ذر قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت
ثم اي قال مسجد بيت المقدس قلت كم بينهما قال اربعون سنة ومعلوم ان بين
ابراهيم عليه السلام الذي بنى البيت الحرام وبين سليمان بن داود عليهما السلام ازيد
من الف سنة دع اربعين سنة وكان سؤاله الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده بعد
اكماله البيت المقدس كما قال الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان
والحاكم باسانيدهم عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالا ثلاثا فاعطاه اثنتين
ونحن نرجو ان تكون لنا الثالثة سأله حكما يصادف حكمه فاعطاه اياه وسأله ملكا
لا ينبغي لاحد من بعده فاعطاه اياه وسأله ايما رجل خرج من بيته لا يريد الا الصلاة في
هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته امه فنحن نرجو ان يكون الله قد اعطاه اياها
فاما الحكم الذي يوافق حكم الله تعالى فقد اثنى الله تعالى عليه وعلى ابيه في قوله وداود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان
وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر شريح القاضي وغير واحد من السلف ان هؤلاء القوم
كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين اي رعته بالليل فتحاكموا الى داود فحكم لاصحاب
الكرم بقيمته فلما خرجوا على سليمان قال بم حكم لكم نبي الله فقالوا بكذا وكذا فقال اما لو كنت انا
لما حكمت الا بتسليم الغنم الى اصحاب الكرم فيستغلونها نتاجا ودرا حتى يصلح اصحاب الغنم كرم
اولئك ويردوه الى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم فبلغ داود ذلك فحكم به ولعل هذا

فاطلب بحر الجلية

الحكم كان سائغا في شريعتهم ولكن ما قاله سليمان عليه السلام وهو الذي الله تعالى عليه
بما ألهمه اياه ومدح بعد ذلك اباه فقال وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن والطير وكنا فاعلين وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون
ثم قال ولسليمان الريح عاصفة اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة تجري بامره الى الارض التي
باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك
وكنا لهم حافظين لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه منها الريح التي هي اسرع سيرا
ولا كلفة عليه لها تجري بامره رخاء حيث اصاب اي حيث اراد من اي البلاد كان له بساط
مركب من اخشاب بحيث انه يسع جميع ما يحتاج اليه من الدور المبنية والقصور والخيام
والامتعة والخيول والجمال والاثقال والرجال من الانس والجان وغير ذلك من الحيوانات والطيور
فاذا اراد سفرا او متنزها او قتال ملك او عدو من اي بلاد الله شاء فاذا حمل هذه الامور المذكورة
على البساط امر الريح فدخلت تحته فرفعته فاذا استقل بين السماء والارض امر الرخاء فسارت
به فاذا اراد اسرع من ذلك امر العاصفة فحملته اسرع ما يكون فوضعته في اي مكان شاء
بحيث انه كان يرتحل في اول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح فتضعه باصطخر مسيرة شهر
فيقيم هناك الى آخر النهار ثم يروح من آخره فترده الى بيت المقدس كما قال تعالى ولسليمان
الريح غدوها شهر ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه ومن يزغ
منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور قال

الحسن

الحسن البصري كان يغدو من دمشق فينزل باصطخر فيتغدى به ويذهب رائحا منها
فيبيت بكابل وبين دمشق وبين اصطخر مسيرة شهر وبين اصطخر وكابل مسيرة شهر قال
ابن كثير في تاريخه قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان ان اصطخر بنتها الجان
لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديما وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس
وباب جيرون وباب البريد اللذان بدمشق على احد الاقوال واما القطر فقال ابن عباس
ومجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد هو النحاس قال قتادة وكانت باليمن انبعها الله له قال
السدي ثلثة ايام فقط اخذ منها جميع ما يحتاج اليه للبنايات وغيرها وقوله ومن الجن من يعمل
بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير اي وسخر الله له من الجن
عمالا يعملون بامره ما يشاء لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته ومن خرج منهم عن الامر عذبه ونكل
به • يعملون له ما يشاء من محاريب وهي الاماكن الحسنة وصدور المجالس وتماثيل وهي الصور
في الجدران وكان هذا سائغا في شريعتهم وملتهم وجفان كالجواب قال ابن عباس
الجفنة كالجوبة من الارض وعنه كالحياض فيكون الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي
يجبى فيه الماء واما القدور الراسيات فقال عكرمة اثافيها منها يعني انهن ثوابت لا يزلن
عن اماكنهن وهذا كان لعدد الطعام والاحسان للخلق من الانس والجان قال
تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقال تعالى والشياطين
كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد يعني ان منهم من قد سخره في البناء ومنهم من
يامره بالغوص في الماء لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللالي وغير ذلك مما لا يوجد الا هنا

فقوله وآخرين مقرنين في الأصفاد أي قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد وهي القيود وهذا كله من جملة ما هيأه الله له وسخره له من الأشياء التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده ولم يكن أيضاً لمن كان قبله وقد قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئاً ۝ وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة ۝ وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كان لسليمان من النساء ألف امرأة سبعمائة بمهور وثلاثمائة سراري وقيل بالعكس ثلاثمائة حرائر وسبعمائة من الإماء وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمراً عظيماً جداً وقال أبو يعلى ثنا زهير ثنا يزيد أنا هشام بن حسان عن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن امرأة إلا امرأة ولدت نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل إسناده على شرط الصحيح ولم يخرجوه من هذا الوجه وقد كان له عليه السلام من أمور الملك واتساع الدولة وكثرة الجنود ما لم يكن لأحد قبله ولا يعطيه الله أحداً بعده كما قال وأوتينا من كل شيء ۝ وقال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب وقد أعطاه الله تعالى ذلك بنص الصادق المصدوق

ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداه من النعم الكاملة العظيمة إليه قال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب أي أعط من شئت واحرم من شئت فلا حساب عليك أي تصرف في المال كيف شئت فإن الله قد سوغ لك كل ما تفعله من ذلك ولا يحاسبك عليه وهذا من شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول فإن من شأنه أن لا يعطي أحداً ولا يمنع أحداً إلا بإذن الله له في ذلك وقد خير نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه بين هذين الحالين فاختار أن يكون عبداً رسولاً وفي بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم استشار جبريل في ذلك فأشار عليه أن تواضع فاختار عبداً رسولاً وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة ولله الحمد ولما ذكر الله تعالى ما وهبه لنبيه سليمان عليه السلام من خير الدنيا نبه على ما أعد له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل والقربة والفوز والإكرام بين يديه يوم المعاد حيث يقول تعالى وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب

ذكر وفاته وكم كانت مدة ملكه وحياته

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من حديث إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأى

شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لاي شي انت فان كانت لغرس
غرست وان كانت لدوا كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذ راى شجرة بين يديه فقال لها
ما اسمك قالت الخروب قال لاي شي انت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان اللهم
عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكا عليها حولا
والجن تعمل فاكلتها الارضة فتبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين فشكرت الجن الارضة فكانت تاتيها بالما • لفظ ابن جرير وعطا الخراساني
في حديثه نكارة وقد رواه الحافظ ابن عساكر من طريق سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس موقوفا وهو اشبه بالصواب والله اعلم • ولما مات سليمان [illegible] منسأته
وهي العصا بلسان الحبشة فاكلتها الارضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على
العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة فلبثوا يدابون
له من بعد موته حولا كاملا فايقن الناس عند ذلك ان الجن كانوا يكذبون ولو انهم علموا الغيب
لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله تعالى ما دلهم
على موته الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين • ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تاكلين الطعام اتيناك
باطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك اطيب الشراب ولكنا سننقل اليك
الما والطين فالهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت قال الم تر الى الطين الذي يكون في
جوف الخشب فهو ما ياتيها به الشياطين تشكرا لها وهذا فيه من الاسرائيليات التي لا تصدق

وقال

وقال ابو داود في كتاب القدر ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا قبيصة نا سفيان
عن الاعمش عن خيثمة قال قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت اذا اردت
ان تقبض روحي فاعلمني قال ما انا باعلم بذاك منك وانما هي كتب تلقى الي فيها تسمية من يموت
وقال اصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال قال سليمان
لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني فاتاه فقال يا سليمان قد امرت بك قد بقيت لك
سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي فاتكا
على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكي على عصاه ولم يصنع
ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون انه حي
قال فبعث الله دابة الارض يعني الى منسأته فاكلتها حتى اذا اكلت جوف العصا ضعفت
وثقل عليها فخر فلما رات الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله ما دلهم على موته
الا دابة الارض تاكل منسأته فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين قال الاصبغ وبلغني عن غيره انها مكثت سنة تاكل في منسأته حتى
خر وقد استنبط بعض الائمة من هذا ان الانبيا عليهم السلام لا تبلى اجسادهم كما ثبت
في الحديث ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا قال اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق
عن الزهري وغيره ان سليمان عليه السلام عاش ثنتين وخمسين سنة وكان ملكه اربعين سنة
وعن ابن عباس ان ملكه كان عشرين سنة والله اعلم وقال ابن جرير فكان جميع عمر
سليمان بن داود عليهما السلام نيفا وخمسين وفي سنة اربع من ملكه ابتدا ببنا بيت المقدس

فيما ذكر **ثم ملك** بعده ابنه رخيعم سبع عشرة سنة فيما ذكر ابن جرير
قال ثم تفرقت بعده مملكة بني اسرائيل والله اعلم ۝ **باب**

ذكر جماعة من انبياء بني اسرائيل عليهم السلام ممن لا يعرف وقت زمانهم على

التعيين الا انهم بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام **فمنهم**
شعيا بن امصيا قال محمد بن اسحق وكان قبل زكريا ويحيى وهو ممن بشر بعيسى ومحمد عليهما
السلام وكان في زمانه ملك اسمه صديقة على بني اسرائيل ببلاد بيت المقدس
وكان سامعا مطيعا لشعيا فيما يامره به وينهاه عنه من المصالح وكانت الاحداث
قد عظمت في بني اسرائيل فمرض الملك وخرجت في رجله قرحة وقصد بيت المقدس
ملك بابل في ذلك الزمان وهو سنجاريب قال ابن اسحق في ستمائة الف راية ففزع الناس
فزعا شديدا وقال الملك للنبي شعيا ماذا اوحي اليك في امر سنجاريب وجنوده فقال لم يوح
الي فيهم شيء بعد ثم نزل عليه الوحي بالامر للملك صديقة بان يوصي ويستخلف على ملكه
من يشاء فانه قد اقترب اجله فلما اخبره بذلك اقبل الملك على القبلة فصلى وسبح ودعا وبكى
فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله عز وجل بقلب مخلص وتوكل وصبر اللهم رب
الارباب واله الالهة يا رحمن يا رحيم يا من لا تاخذه سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن
قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك فانت اعلم به مني سري واعلاني لك قال
فاستجاب الله له ورحمه واوحى الله عز وجل الى شعيا ان يبشره بانه قد رحم بكاءه وقد اخر
في اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع

وانقطع

وانقطع عنه الشر والحزن وخر ساجدا وقال في سجوده اللهم انت الذي تعطي
الملك من تشاء وتنزعه ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت الاول
والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين فلما رفع راسه
اوحى الله تعالى الى شعيا ان يامره ان ياخذ ماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح قد
برئ ففعل ذلك فشفي وارسل الله على جيش سنجاريب الموت فاصبحوا قد هلكوا كلهم سوى
سنجاريب وخمسة من اصحابه منهم بخت نصر فارسل ملك بني اسرائيل فجاء بهم فجعلهم في
الاغلال وطاف بهم في البلاد على وجه التنكيل بهم والاهانة لهم سبعين يوما ويطعم كل
واحد منهم كل يوم رغيفين من شعير ثم اودعهم السجن واوحى الله تعالى الى شعيا ان يامر
الملك بارسالهم الى بلادهم لينذروا قومهم ما قد حل بهم فلما رجعوا جمع سنجاريب قومه
واخبرهم بما قد كان من امرهم فقال له السحرة والكهنة انا اخبرناك عن شان ربهم وانبيائهم
فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها احد من ربهم فكان امر سنجاريب مما خوفهم الله به ثم مات
سنجاريب بعد سبع سنين **قال** ابن اسحق ثم لما مات صديقة ملك بني اسرائيل مرج امرهم
واختلطت احداثهم وكثر شرهم فاوحى الله تعالى الى شعيا فقام فيهم فوعظهم وذكرهم
واخبرهم عن الله بما هو اهله وانذرهم باسه وعقابه ان خالفوه وكذبوه فلما فرغ من مقالته
عدوا عليه وطلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له فدخل فيها وادركه الشيطان
فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما راوا ذلك جاءوا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروه
ونشروه معها فانا لله وانا اليه راجعون **ومنهم** ارميا بن حلقيا من سبط لاوي

وقد قيل انه الخضر عليه السلام رواه الضحاك عن ابن عباس وهو غريب وليس بصحيح
قال ابن عساكر وحكي في بعض الاثار انه وقف على دم يحيى بن زكريا وهو يفور بدمشق
فقال ايها الدم فتنت الناس فاسكن فسكن ورسب حتى غاب وقال ابو بكر بن ابي
الدنيا حدثني علي بن ابي مريم عن احمد بن حباب عن عبد الله بن عبد الرحمن قال قال ارميا رب اي
عبادك احب اليك قال اكثرهم لي ذكرا الذين يشتغلون بذكري عن ذكر الخلايق
الذين لا تعرض لهم وساوس الغنى ولا يحدثون انفسهم بالبقا الذين اذا عرض لهم عيش
الدنيا قلوه واذا زوي عنهم سروا بذلك اولئك انحلهم محبتي واعطيهم فوق غاياتهم

ذكر خراب بيت المقدس قال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى نبي من انبيا
بني اسرائيل يقال له ارميا حين ظهرت فيهم المعاصي ان قم بين ظهراني قومك فاخبرهم
ان لهم قلوبا ولا يفقهون واعينا ولا يبصرون واذانا ولا يسمعون واني تذكرت صلاح
ابايهم فعطفني ذلك على ابنايهم فسلهم كيف وجدوا غب طاعتي وهل سعد احد ممن
عصاني بمعصيتي وهل شقي احد ممن اطاعني بطاعتي ان الدواب تذكر اوطانها فتنزع
اليها وان هولا القوم تركوا الامر الذي اكرمت عليه اباءهم والتمسوا الكرامة من
غير وجهها اما احبارهم فانكروا حقي واما قراوهم فعبدوا غيري واما نساكهم
فلم ينتفعوا بما علموا واما ولاتهم فكذبوا علي وعلى رسلي خزنوا المكر في قلوبهم وعودوا
الكذب السنتهم واني اقسمت بجلالي وعزتي لاهيجن عليهم جنودا لا يفقهون السنتهم
ولا يعرفون وجوههم ولا يرحمون بكاهم ولابعثن عليهم ملكا جبارا قاسيا له عساكر

تنقطع السحاب ومواكب كامثال العجاج كان خفقان راياته طيران النسور وكان
حمل فرسانه كر العقبان يعيدون العمران خرابا ويتركون القرى وحشة فيا ويل ايليا
وسكانها كيف اذللهم للقتل واسلط عليهم السبي واعيد بعد لجب الاعراس صراخا
وبعد صهيل الخيل عوا الذباب وبعد شرافات القصور مساكن السباع وبعد ضوء السرج
وهج العجاج وبالعز الذل وبالنعمة العبودية ولابدلن نساهم بعد الطيب التراب وبالمشي
على الزرابي الخبب ولاجعلن اجسادهم زبلا للارض وعظامهم ضاحية للشمس ولادوسنهم
بالوان العذاب ثم لامرن السما فلتكونن طبقا من حديد والارض سبيكة من نحاس فان
امطرت لم تنبت الارض وان انبتت شيا في خلال ذلك فبرحمتي للبهايم ثم احبسه في
زمان الزرع وارسله في زمان الحصاد فان زرعوا في خلال ذلك شيا سلطت عليه الافة
فان خلص منه شي نزعت منه البركة فان دعوني لم اجبهم وان سالوا لم اعطهم
وان بكوا لم ارحمهم وان تضرعوا صرفت وجهي عنهم رواه ابن عساكر بهذا اللفظ قال
فلما بلغهم ارميا عليه السلام رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من الوعيد والعذاب عصوه وكذبوه
واتهموه وقالوا كذبت وعظمت على الله الفرية فتزعم ان الله معطل ارضه ومساجده
من كتابه وعباده وتوحيده فمن يعبده حتى لا يبقى له في الارض عابد ولا مسجد ولا كتاب
لقد اعظمت الفرية على الله واعتراك الجنون فاخذوه وقيدوه وسجنوه فعند
ذلك بعث الله تعالى عليهم بختنصر فاقبل يسير بجنوده حتى نزل بساحتهم ثم حاصرهم
فكان كما قال الله تعالى فجاسوا خلال الديار قال فلما طال بهم الحصر نزلوا على حكمه

فنتحوا الابواب وتخللوا الازقة وحكم فيهم حكم الجاهلية وبطش الجبارين فقتل منهم الثلث
وسبى الثلث وترك الزمنا والشيوخ والعجائز ثم وطيهم الخيل وهدم بيت المقدس وساق الصبيان
واوقف النسا في الاسواق حاسرات محسرات وقتل المقاتلة وخرب الحصون وهدم المساجد
وحرق التورية وسال عن دانيال الذي كان كتب له الكتاب فوجده قد مات واخرج اهل
بيته الكتاب اليه وكان فيهم دانيال الاصغر بن حزقيل ومشايل وعزرايل وميخايل
فامضى لهم ذلك الكتاب وكان دانيال الاصغر بن حزقيل خلفا من دانيال الاكبر
ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ووطى الشام كلها وقتل بني اسرايل حتى افناهم
فلما فرغ منها انصرف راجعا وحمل الاموال التي كانت بها وساق السبايا معه فبلغ
عدة صبيانهم من ابنا الاحبار والملوك تسعين الف غلام وقذف الكناسات والزبايل
على صخرة بيت المقدس وذبح عليها الخنازير وكان في الغلمان سبعة الاف غلام من
بيت داود واحد عشر الفا من سبط يوسف بن يعقوب واخيه بنيامين وثمانية الاف
من سبط ايشي بن يعقوب واربعة عشر الفا من سبط زبالون ونفتالي ابني يعقوب
واربعة عشر الفا من سبط دان بن يعقوب وثمانية الاف من سبط يساخر بن يعقوب
والفان من سبط زابلون بن يعقوب واربعة الاف من سبط روبيل ولاوي واثني عشر
الفا من سائر بني اسرايل وانطلق بهم الى ارض بابل قال وهب بن منبه فلما فعل
ما فعل قيل له كان لهم صاحب يحذرهم ما اصابهم ويصفك لهم ويخبرهم انك تقتل مقاتلتهم
وتسبي ذراريهم وتهدم مساجدهم وتحرق كنايسهم فكذبوه واتهموه وضربوه وقيدوه
وحبسوه

امر بختنصر فاخرج ارميا من السجن فقال له اكنت تحذر هولاء القوم ما اصابهم
قال نعم قال فاني علمت ذلك قال ارسلني الله اليهم فكذبوني قال كذبوك وضربوك
وسجنوك قال نعم قال بيس القوم قوم كذبوا نبيهم وكذبوا رسالة ربهم فهل لك ان تلحق
بي فاكرمك واواسيك وان احببت ان تقيم في بلادك فقد امنتك فقال له ارميا
اني لم ازل في امان الله منذ كنت لم اخرج منه ساعة قط ولو ان بني اسرايل لم يخرجوا
منه لم يخافوك ولا غيرك ولم يكن لك عليهم سلطان فلما سمع بختنصر هذا القول منه
تركه فاقام ارميا مكانه بارض ايليا وهي بيت المقدس وهذا سياق غريب
وفيه حكم ومواعظ وفيه غرابة وقال هشام بن محمد الكلبي كان
بختنصر اصفهبذا لما بين الاهواز الى الروم من قبل ملوك الفرس وكان الملك لهراسب
وكان قد بنى مدينة بلخ التي تعرف بالحسنا وقاتل الترك والجاهم الى اضيق الاماكن
وبعث بختنصر لقتال بني اسرايل بالشام فلما قدم الشام صالحه اهل دمشق
وقد قيل ان الذي بعث بختنصر انما هو بهمن ملك الفرس بعد بشتاسب بن لهراسب
وذلك لتعدي بني اسرايل على رسله اليهم وقد روى ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى
عن ابن وهب عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب ان بختنصر
لما قدم دمشق وجد بها دما يغلي على كبى يعني القمامة فسالهم ما هذا الدم فقالوا ادركنا اباءنا
على هذا وكلما ظهر عليه الكبا ظهر قال فقتل على ذلك سبعين الفا من المسلمين وغيرهم فسكن
وهذا اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وقد تقدم من كلام الحافظ ابن عساكر

يدل على أن هذا آدم يحيى بن زكريا وهذا الأصح لأن يحيى بن زكريا بعد بخت نصر بحين والظاهر أن
هذا آدم نبي متقدم أو آدم لبعض الصالحين أو من شاء الله من الله أعلم به قال هشام بن
الكلبي ثم قدم بخت نصر بيت المقدس فصالحه ملكها وكان من آل داود وصانعه عن بني إسرائيل
وأخذ منه بخت نصر رهائن ورجع فلما بلغ طبرية بلغه أن بني إسرائيل ثاروا على ملكهم فقتلوه
لأجل أنه صالحه فضرب رقاب من معه من الرهائن ورجع إليهم فأخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة
وسبى الذرية قال وبلغنا أنه وجد في السجن أرميا النبي فأخرجه وقص عليه ما كان من أمره
إياهم وتحذيره لهم عن ذلك فكذبوه وسجنوه فقال بخت نصر بئس القوم قوم عصوا رسول الله وخلى
سبيله وأحسن إليه واجتمع إليه من بقي من ضعفاء بني إسرائيل فقالوا إنا قد أسأنا وظلمنا
ونحن نتوب إلى الله عز وجل مما صنعنا فادع الله أن يقبل توبتنا فدعا ربه فأوحى الله تعالى
إليه أنهم غير فاعلين فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة فأخبرهم ما أمرهم الله تعالى
به فقالوا كيف نقيم بهذه البلدة وقد خربت وغضب الله على أهلها فأبوا أن يقيموا قال
ابن الكلبي ومن ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل في البلاد فنزلت طائفة منهم الحجاز وطائفة
يثرب وطائفة وادي القرى وذهبت شرذمة منهم إلى مصر فكتب بخت نصر إلى ملكها
يطلب منه من شرد منهم إليه فأبى عليه فركب في جيشه فقاتله وقهره وغلبه وسبى
ذراريهم ثم ركب إلى بلاد المغرب حتى بلغ أقصاها ثم انصرف بسبي كثير من أرض المغرب
ومصر وأهل بيت المقدس وأرض فلسطين والأردن وفي السبي دانيال قال
ابن كثير والظاهر أنه دانيال بن حزقيل الأصغر لا الأكبر على ما ذكره وهب والله أعلم

ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام قال ابن أبي الدنيا حدثني أحمد بن عبد
الأعلى الشيباني قال إن لم أكن سمعته من شعيب بن صفوان فحدثني بعض أصحابنا عنه
عن الأجلح الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل قال ضرى بخت نصر أسدين فألقاهما في
جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه فمكث ما شاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون
من الطعام والشراب فأوحى الله إلى أرميا وهو بالشام أن أعدد طعاما وشرابا لدانيال
فقال يا رب أنا بالأرض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله تعالى إليه
أن أعدد ما أمرناك به فإنا سنرسل من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل وأرسل الله تعالى إليه
من حمله وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هذا قال أنا
أرميا فقال ما جاء بك فقال أرسلني إليك ربك قال وقد ذكرني ربي قال نعم فقال دانيال
الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره والحمد لله الذي لا يخيب من رجاه والحمد لله الذي من وثق
به لم يكله إلى غيره والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحسانا والذي يجزي بالصبر نجاة
والحمد لله الذي هو يكشف ضرنا بعد كربنا والحمد لله الذي هو ثقتنا حين يسوء
ظننا بأعمالنا والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين تنقطع الحيل عنا ولم أره ذكر أصناف
ما أعده أرميا لدانيال من الطعام الذي أعده قال ابن أبي الدنيا حدثني أبو بلال
ثنا قاسم بن عبد الله عن عنبسة وكان عالما قال لما فتحت تستر وجد في بيت الهرمزان سرير
عليه رجل ميت عند رأسه مصحف وجرة فيها ودك ودراهم وخاتمه فكتب أبو موسى بذلك
وسأل عن الميت فأخبر أنه دانيال فكتب إليه عمر رضي الله عنه أما المصحف فابعث به

نعم

اليها واما الودك فابعث الينا منه ومر من قبلك من المسلمين يستشفون به واقسم الدراهم
بينهم واما الطعام فقد نفلناكه وروى ابن ابي الدنيا من غير وجه ان ابا موسى لما ذكروا
له انه دانيال التزمه وعانقه وقبله وكتب الى عمر رضي الله عنه يذكر له امره وانه وجد
عنده مالا موضوعا قريبا من عشرة الاف درهم وكان من جاء اقترض منها فان رده والا مرض وان
عنده ربعة فامر عمر بان يغسل بالسدر ويكفن ويدفن ويخفى قبره فلا يعلم به احد وامر
بالمال ان يرد الى بيت المال وبالربعة تحمل اليه ونفله بخاتمه وروى عن ابي موسى
الاشعري انه امر اربعة من الاسرى فسكروا نهرا وحفروا في وسطه قبرا فدفنه فيه ثم
قدم الاربعة الاسرى فضرب اعناقهم فلم يعلم بمكان قبره غير ابي موسى الاشعري رضي الله عنه
وقد روى باسناد صحيح الى ابي العالية ان طول انفه شبر وعن انس بن مالك
باسناد جيد ان طول انفه ذراع والله اعلم

ذكر عمارة بيت المقدس بعد خرابه واجتماع الملا من بني اسرائيل

بعد تفرقهم في بقاع الارض وشعابها
قال الله تعالى في كتابه المبين وهو اصدق القائلين او كالذي مر
على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام
ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى
طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف
ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل شيء قدير قال هشام بن الكلبي
ثم اوحى الله تعالى الى ارميا عليه السلام اني عامر بيت المقدس فاخرج اليها فانزلها

انظره

م

فخرج حتى قدمها وهي خراب فقال في نفسه سبحان الله امرني الله ان انزل هذه
البلدة واخبرني انه عامرها فمتى يعمرها ومتى يحييها الله بعد موتها ثم وضع راسه فنام
ومعه حماره وسلة من طعام فمكث في نومه سبعين سنة حتى هلك بختنصر والملك
الذي فوقه وهو لهراسب وكان ملكه مائة وعشرون سنة فقام بعده ولده بستاسب
ابن لهراسب وكان موت بختنصر في دولته فبلغه عن بلاد الشام انها خراب وان
السباع قد كثرت في ارض فلسطين ولم يبق بها من الانس احد فنادى في
ارض بابل في بني اسرائيل ان من شاء ان يرجع الى الشام فليرجع وملك عليهم
رجلا من آل داود وامره ان يعمر بيت المقدس ويبني مسجدها فرجعوا فعمروها
وفتح الله لارميا عينيه فنظر الى المدينة كيف تبنى وكيف تعمر ومكث في نومه
ذلك حتى تمت له مائة سنة ثم بعثه الله وهو لا يظن انه نام اكثر من ساعة
وقد عهد المدينة خرابا فلما نظر اليها عامرة اهلة قال اعلم ان الله على كل شيء
قدير قال فاقام بنو اسرائيل بها ورد الله عليهم امرهم فمكثوا كذلك
حتى غلبت عليهم الروم في زمن ملوك الطوائف ثم لم يكن لهم جماعة ولا سلطان
يعني بعد ظهور النصارى عليهم هكذا حكاه ابن جرير في تاريخه عنه ۝
وذكر ابن جرير ان لهراسب كان ملكا عادلا سايسا لمملكته قد دانت له
العباد والبلاد والملوك والقواد وانه كان ذا راي جيد في عمارة الامصار والانهار
والمعاقل ثم لما ضعف عن تدبير المملكة بعد مائة سنة ونيف نزل عن الملك

نهاد

لولده بيستاسب وكان في زمانه ظهور دين المجوسية وذلك ان رجلاً كان اسمه
زرادشت كان قد صحب ارميا عليه السلام فاغضبه فدعا عليه ارميا فبرص
زرادشت فذهب فلحق بارض اذربيجان وصحب بيستاسب فلقنه دين المجوسية
الذي اخترعه من تلقا نفسه فقبله منه بيستاسب وحمل الناس عليه وقهرهم وقتل
منهم خلقاً كثيراً ممن ابى ذلك منهم ثم كان بعد بيستاسب بهمن ولده وهو من
ملوك الفرس المشهورين والابطال المذكورين وقد ناب بختنصر لكل واحد
من هولاء الثلاثة وعمر دهراً طويلاً قبحه الله تعالى وجزاه وجعل النار مثواه
والمقصود ان هذا الذي ذكره ابن جرير من ان هذا المار على هذه القرية
هو ارميا عليه السلام قاله وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهما وهو
قوي من حيث السياق المتقدم وقد روي عن علي وعبد الله بن سلام وابن عباس
والحسن وقتادة والسدي وسليمان بن بريدة وغيرهم انه عزير وهذا اشهر
عند كثير من السلف والخلف والله اعلم **وهذه**
قصة العزير قال الحافظ ابو القسم بن عساكر هو عزير
ابن جروه ويقال ابن سوريق بن عديا بن ايوب بن درزنا بن عرى بن تقي بن اسبوع
ابن فنحاص بن العازر بن هرون بن عمران ۞ ويقال عزير بن سروخا ۞ جاء في
بعض الاثار ان قبره بدمشق ولا ادري اكان عزيراً نبياً ام لا **وقد روي** من طريق
الضحاك عن ابن عباس ان عزيراً كان ممن سباه بختنصر وهو غلام حدث فلما بلغ
اربعين سنة اعطاه الله الحكمة قال ولم يكن احد احفظ ولا اعلم بالتورية منه
قال وكان يذكر مع الانبيا حتى محا الله اسمه من ذلك حين سال ربه عن القدر
وهذا ضعيف ومنقطع ومنكر والله اعلم **وقال** اسحق بن بشر انا سعيد بن
بشير عن قتادة عن كعب وسعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن ومقاتل وجويبر
عن الضحاك عن ابن عباس وعبد الله بن اسمعيل السدي عن ابيه عن مجاهد عن ابن
عباس وادريس عن جده وهب بن منبه قال اسحق كل هولاء حدثوني
عن حديث عزير وزاد بعضهم على بعض قالوا باسنادهم ان عزيراً كان عبداً
صالحاً حكيماً خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعاهدها فلما انصرف اتى الى
خربة حين قامت الظهيرة واصابه الحر ودخل الخربة وهو على حمار له فنزل
عن حماره ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب فنزل في ظل تلك الخربة
واخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذي كان معه في القصعة ثم اخرج
خبزاً يابساً كان معه فالقاه في تلك القصعة في العصير ليبتل ليأكله ثم
استلقى على قفاه واسند رجليه الى الحائط فنظر سقف تلك البيوت ورأى
ما فيها وهي خاوية على عروشها وقد باد اهلها ورأى عظاماً بالية فقال
انى يحيي هذه الله بعد موتها فلم يشك ان الله تعالى يحييها ولكن قالها تعجباً
فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فاماته الله مائة عام فلما اتت عليه
مائة عام وكانت فيما بين ذلك في بني اسرائيل امور واحداث قال فبعث الله

ي

عزير ملكا فخلق قلبه ليعقل به وعينيه لينظر بهما فيعقل كيف يحيي الله الموتى
ثم ركب خلقه وهو ينظر ثم كسى عظامه اللحم والشعر والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك
وهو يرى ويعقل فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال لبثت يوما وذلك
انه كان نام في صدر النهار عند الظهيرة وبعث في آخر النهار والشمس لم تغب فقال او
بعض يوم ولم يتم لي يوم فقال له الملك بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك
يعني الطعام الخبز اليابس والشراب العصير الذي كان اعتصر في القصعة فاذا هما
على حالهما لم يتغير العصير ولا الخبز اليابس فذلك قوله لم يتسنه يعني لم يتغير وكذلك
التين والعنب غض لم يتغير عن حاله فكانه انكر في قلبه فقال له الملك
انكرت ما قلت لك انظر الى حمارك فنظر فاذا حماره قد بليت عظامه وصارت
نخرة فنادى الملك عظام الحمار فاجابت واقبلت من كل ناحية حتى ركبه الملك
وعزير ينظر اليه ثم البسها العروق والعصب ثم كساها اللحم ثم انبت عليها
الجلد والشعر ثم نفخ فيه الملك فقام الحمار رافعا راسه واذنيه الى السماء ناهقا
يظن القيامة قد قامت فذلك قوله وانظر الى حمارك ولنجعلك اية للناس
وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على
كل شيء قدير من احياء الموتى وغيره قال فركب حماره حتى اتى محلته فانكره
الناس وانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها
مائة وعشرون كانت امة لهم خرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة كانت عرفته وعقلته

فلما

فلما اصابها الكبر زمنت فقال لها عزير يا هذه اهذا منزل عزير قالت نعم
هذا منزل عزير فبكت وقالت ما رايت احدا من كذا وكذا سنة يذكر عزيرا
وقد نسيه الناس قال فاني انا عزير كان الله اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت سبحان
الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة فلم نسمع له بذكر قال فاني انا عزير
قالت فان عزيرا رجل مستجاب الدعوة يدعو للمريض ولصاحب البلاء بالعافية
والشفاء فادع الله ان يرد علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك قال
فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا واخذ بيدها وقال قومي باذن الله فاطلق الله
رجليها فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت فقالت اشهد انك عزير وانطلقت
الى محلة بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشر
سنة ومن بنيه شيوخ في المجلس فنادتهم فقالت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم ان الله اماته مائة سنة
ثم بعثه قال فنهض الناس فاقبلوا اليه فنظروا اليه فقال ابنه كان لابي شامة سوداء
بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير فقالت بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا
احد حفظ التورية فيما حدثنا غير عزير وقد حرق بختنصر التوراة ولم يبق منها شيء
الا ما حفظت الرجال فاكتبها لنا وكان ابوه سروخا قد دفن التوراة ايام بختنصر في موضع
لم يعرفه احد غير عزير فانطلق بهم الى ذلك الموضع فحفره فاستخرج التورية وكان قد عفن
الورق ودرس الكتاب قال وجلس في ظل شجرة وبنو اسرائيل حوله فجدد لهم التورية و

نزل

من السماء شهابان حتى نظر اجوفه فتذكر التورية فجددها لبني اسرائيل فمن ثم قالت
اليهود عزير ابن الله للذي كان من امر الشهابين وتجديده التورية وقيامه بامر بني اسرائيل
وكان تجديده لهم التورية بارض السواد بدير حزقيل والقرية التي مات فيها يقال لها سايراباد
قال ابن عباس فكان كما قال الله تعالى ولنجعلك اية للناس يعني لبني اسرائيل وذلك
انه كان يجلس مع بنيه وهم شيوخ وهو شاب لانه مات وهو ابن اربعين سنة فبعثه الله
شابا كهيئته يوم مات قال ابن عباس بعث بعد بخت نصر وكذلك قال الحسن
والمشهور ان عزيرا نبي من انبياء بني اسرائيل وانه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا
ويحيى وانه لما لم يبق في بني اسرائيل من يحفظ التورية الهمه الله تعالى حفظها فسردها على
بني اسرائيل كما قال وهب بن منبه امر الله ملكا فنزل بغرفة من نور فقذفها في عزير
فنسخ التورية حرفا بحرف حتى فرغ منها وروى ابن عساكر عن ابن عباس انه سال عبد الله بن
سلام عن قول الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله لم قالوا ذلك فذكر له ابن سلام ما
كان من كتبه لبني اسرائيل التوراة من حفظه وقول بني اسرائيل لم يستطع موسى ان ياتينا
بالتورية الا في كتاب وان عزيرا قد جاءنا بها من غير كتاب فرماه طوائف منهم وقالوا
عزير ابن الله ولهذا يقول كثير من العلماء ان تواتر التورية انقطع في زمن العزير وهذا متجه
جدا اذا كان العزير غير نبي كما قاله عطاء بن ابي رباح والحسن البصري فيما رواه اسحق
ابن بشر عن مقاتل بن سليمان عن عطاء وعن عثمان بن عطاء الخراساني عن ابيه ومقاتل عن
عطاء بن رباح قال كان في الفترة تسعة اشياء بخت نصر وجنة صنعا وجنة سبا

واصحاب

واصحاب الاخدود وامر حاصورا واصحاب الكهف واصحاب الفيل ومدينة انطاكية
وامر تبع وقال اسحق بن بشر وقال سعيد عن قتادة عن الحسن قال كان امر عزير وبخت نصر في
الفترة وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولى الناس بابن مريم
لانا انه ليس بيني وبينه نبي وقال وهب كان فيما بين سليمان وعيسى عليهما السلام فاما
ما روى ابن عساكر وغيره عن ابن عباس ونوف البكالي وسفيان الثوري وغيرهم من انه سال
عن القدر فمحي اسمه من ذكر الانبيا فهو منكر وفي صحته نظر وكانه ماخوذ من الاسرائيليات
وقد روى عبد الرزاق وقتيبة بن سعيد عن جعفر بن سليمان عن ابي عمران الجوني
عن نوف البكالي قال قال عزير فيما يناجي ربه يا رب تخلق خلقا فتضل من تشا وتهدي
من تشا فقيل له اعرض عن هذا فعاد فقيل له لتعرض عن هذا او لامحون اسمك من الانبيا
اني لا اسال عما افعل وهم يسالون ۝ وهذا لا يقتضي وقوع ما توعد عليه لو عاد في
عاد فما محي اسمه والله اعلم قصة زكريا ويحيى عليهما السلام قال
الله تعالى في كتابه العزيز بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا
الى قوله وسبح بالعشي والابكار ۝ وقال تعالى في سورة الانبيا وزكريا اذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه
انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ۝ وقال
تعالى وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين قال الحافظ ابو القسم بن
عساكر في كتابه التاريخ المشهور الحافل ۝ زكريا بن برخيا ويقال زكريا بن دان

وقال زكريا بن لدن بن مسلم بن صدوق بن حشبان بن داود بن سليمان بن مسلم
ابن صديقه بن برخيه بن بلعاطه بن ناحور بن شلوم بن بهفاشاط بن اينامن بن رحبعم بن سليمان
ابن داود ابو يحيى النبي عليه السلام من بني اسرائيل دخل البثنية من اعمال دمشق في
طلب ابنه يحيى وقيل انه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى والله اعلم وقد قيل غير ذلك
في نسبه ۝ ويقال فيه زكريا بالمد والقصر ويقال زكري ايضا **والمقصود**
ان الله تعالى امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقص على الناس خبر زكريا
عليه السلام وما كان من امره حين وهبه الله ولدا على الكبر وكانت امرأته
مع ذلك عاقرا في حال شبيبتها وقد اسنت ايضا حتى لا ييأس احد من فضل
الله تعالى ورحمته ولا يقنط من فضله تعالى وتقدس ۝ قال تعالى
ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ۝ قال بعض
السلف قام من الليل فنادى ربه مناداة اسرها عمن كان حاضرا عنده فقال
يا رب يا رب يا رب فقال الله تعالى لبيك لبيك لبيك قال رب اني وهن
العظم مني اي ضعف وخار من الكبر واشتعل الراس شيبا استعارة من اشتعال
النار في الحطب اي غلب البياض على السواد ولم اكن بدعائك رب شقيا اي
ما عودتني فيما اسالك الا الاجابة وكان الباعث له على هذه المسالة
انه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان وكان كلما دخل عليها محرابها يجد عندها
فاكهة في غير اوانها وهذه من كرامات الاولياء فعلم ان الرازق للشيء في

غير

غير اوانه قادر على ان يرزقه ولدا وان كان قد طعن في سنه هنالك دعا زكريا
ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء وقوله واني خفت
الموالي من ورائي وكانت امراتي عاقرا قيل المراد بالموالي العصبة وكانه خاف
من تصرفهم بعده في بني اسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته فسال وجود ولد
من صلبه يكون برا تقيا مرضيا ولهذا قال فهب لي من لدنك اي من عندك وليا يرثني
اي في النبوة والحكم في بني اسرائيل ويرث من آل يعقوب وليس المراد ههنا
وراثة المال كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة ووافقهم ابن جرير ههنا وحكاه
عن ابي صالح من السلف لوجوه **احدها** ما قدمنا عند قوله وورث سليمان
داود اي في النبوة والملك لما ذكرنا في الحديث المتفق عليه بين العلماء المروي
في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من طرق عن جماعة من الصحابة رضي
الله عنهم اجمعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة
فهذا نص على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ولهذا منع
الصديق ان يصرف ما كان يختص به في حياته الى احد من وراثه الذين لولا
هذا النص لصرف اليهم وهم ابنته فاطمة وازواجه التسع وعمه العباس
رضي الله عنهم **واحتج** عليهم الصديق في منعه اياهم بهذا الحديث وقد
وافقه على روايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعثمان
ابن عفان وعلي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وطلحة

والزبير وابو هريرة وآخرون رضي الله عنهم اجمعين **الثاني** ان الزبيري دداء بلوط
نعم سائر الانبياء نحن معشر الانبياء لا نورث صحيحه **الثالث** ان الدنيا كانت احقر
عند الانبياء من ان يخلفوا لها او يهتم امرها حتى يسالوا الاولاد ليحوزوها بعدهم
فان من لا يصل الى التقريب من منازلهم في الزهادة لا يهتم عمر السعداء ان يسال ولدا
يكون وارثا له فيها **الرابع** ان زكريا عليه السلام كان نجارا يعمل بيده ويأكل
من كسبه كما كان داود عليه السلام ياكل من كسب يده والغالب الاشبه من مثل
حال الانبياء انه لا يجهد نفسه في العمل اجهادا تستفضل منه مالا يكون ذخيرة له
يخلفه من بعده وهذا القول بين واضح **وقوله** يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل
له من قبل سميا وهذا مفسر بقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين
قال رب انى يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
اي كيف يوجد ولد من شيخ كبير قيل كان عمره اذ ذاك تسعين وتسعين سنة والا
والله اعلم انه كان استخبر ذلك وذلك تتم الله عاقر الا قبلا كما قال الخليل عليه السلام
ابشرتموني على ان مسني الكبر فبم تبشرون وقالت سارة يا ويلتا االد وانا عجوز
وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت انه حميد مجيد وكذا الجواب زكريا قال له الملك الذي يوحى اليه
بامر ربه كذلك قال ربك هو علي هين اي هذا سهل يسير عليه وقد خلقتك

من قبل ولم تك شيئا اي من قدرته واوجدتك بعد ان لم تك شيئا مذكورا
افلا يوجد منك ولدا وان كنت شيخا كبيرا وقال تعالى فاستجبنا له ووهبنا
له يحيى واصلحنا له زوجه ومعنى اصلاح زوجته انها كانت لا تحيض فحاضت
قال رب اجعل لي اية اي علامة على وقت تعلق مني المراة بهذا الولد المبشر به
قال ايتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا اي علامة ذلك ان يعتريك سكت
لا تنطق معه ثلثة ايام الا رمزا وانت في ذلك سوي الخلق صحيح المزاج فلما
بشر بهذه البشارة خرج مسرورا بها على قومه من محرابه فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة
وعشيا كما يسبحوا ويسبح ولكن لا يستطيع كلام احد **وقوله** يا يحيى خذ الكتاب
بقوة واتيناه الحكم صبيا يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الالهية لابيه
زكريا عليه السلام وان الله تعالى علمه الكتاب والحكمة وهو صغير في حال صباه
قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان ليحيى بن زكريا اذهب بنا
نلعب فقال ما للعب خلقنا قال وذلك قوله واتيناه الحكم صبيا **واما** قوله
وحنانا من لدنا وزكاة الحنان اي رحمة من عندنا رحمنا بها زكريا فوهبنا له هذا
الولد وقال عكرمة وحنانا اي محبة عليه واما الزكاة فهو طهارة الخلق وسلامته
من النقايص والرذايل وكان تقيا المتقي طاعة الله بامتثال اوامره وترك نواهيه
ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما فقال وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا ثم قال
وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا **هذه** الاوقات الثلثة اشد

ما يكون على الانسان فانه ينتقل في كل منها من عالم الى عالم آخر فيفقد الاول
بعد ما كان الفه وعرفه ويصير الى الآخر ولا يدري ما بين يديه ولهذا يستهل
صارخا اذا خرج من بين الاحشاء وفارق لينها وضمها وينتقل الى هذه الدار ليكابد
همومها وغمومها وكذلك اذا فارق هذه الدار وانتقل الى عالم البرزخ بينها وبين
دار القرار وصار بعد الدور والقصور الى عرصة الاموات وانتظر هناك النفخة
في الصور ليوم النشور ولقد احسن بعض الشعراء بقوله حيث قال

ولدتك امك باكيا مستصرخا ... والناس حولك ضاحكين سرورا
فاحرص لنفسك ان تكون اذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكا مسرورا

ولما كانت هذه المواطن الثلثة اشق ما يكون على ابن آدم سلم الله على يحيى
في كل موطن منها فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
قال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة ان الحسن قال ان يحيى وعيسى التقيا فقال له
عيسى استغفر لي انت خير مني فقال له الآخر استغفر لي انت خير مني فقال له عيسى
انت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما واما قوله
في الآية الاخرى وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فقيل المراد بالحصور الذي
لا ياتي النساء وقيل غير ذلك وهو اشبه لقوله هب لي من لدنك ذرية طيبة ⊙
وقال الامام احمد رضي الله عنه ثنا عفان ثنا حماد ثنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد من ولد

آدم

آدم الا وقد اخطا او هم بخطيئة ليس يحيى بن زكريا وما ينبغي لاحد ان يقول انا خير
من يونس بن متى وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه يوما وهم يتذاكرون فضل الانبياء فقال قائل
موسى كليم الله وقال قائل عيسى روح الله وكلمته وقائل يقول ابرهيم خليل الله وهم
يتذاكرون ذلك فقال اين الشهيد ابن الشهيد يلبس الوبر وياكل الشجر مخافة الذنب
قال ابن وهب يريد يحيى بن زكريا وقال اسرائيل عن ابي حصين عن خيثمة قال كان عيسى
ابن مريم ويحيى بن زكريا ابني خالة وكان عيسى يلبس الصوف وكان يحيى يلبس الوبر
ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم ولا عبد ولا امة ولا ماوى ياويان اليه اين ما جنهما
الليل اويا فلما ارادا ان يتفرقا قال له يحيى اوصني قال لا تغضب قال لا استطيع
الا ان اغضب قال فلا تقتن مالا قال اما هذه فعسى وقد اختلفت الروايات
عن وهب بن منبه هل مات زكريا عليه السلام موتا او قتل قتلا على روايتين فروى
عبد المنعم بن ادريس بن سنان عن ابيه عن وهب بن منبه انه قال هرب من قومه فدخل
شجرة فجاؤوا فوضعوا المنشار عليها فلما وصل المنشار الى اضلاعه ان فاوحى الله تعالى اليه
لئن لم يسكن انينك لاقلبن الارض ومن عليها فسكن انينه حتى قطع نصفين ●
وعن وهب انه قال الذي انصدعت له الشجرة هو شعيا واما زكريا فمات موتا
والله اعلم ومن ذكروا ان يحيى عليه السلام كان كثير الانفراد من الناس وكان يانس بالبر
وياكل من ورق الاشجار ويرد ماء الانهار ويتغذى بالجراد في بعض الاحيان ويقول من انعم
منك يا يحيى

وروي ابن عساكر ان ابويه خرجا في طلبه فوجداه عند بحيرة الاردن فلما اجتمعا
به ابكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله تعالى وكان طعامه العشب
وكان كثير البكاء من خشية الله تعالى حتى لو كان القار على عينيه لخرقته وقال محمد بن يحيى
الذهلي ثنا ابو صالح ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال جلست يوما الى ابي ادريس
الخولاني وهو يقص فقال الا اخبركم عمن كان اطيب الناس طعاما فلما راى الناس
قد نظروا اليه قال ان يحيى بن زكريا كان اطيب الناس طعاما انما كان ياكل مع
الوحش كراهة ان يخالط الناس في معايشهم وقال ابن المبارك عن وهيب بن الورد
قال فقد زكريا ابنه ثلاثة ايام فخرج يلتمسه في البرية فاذا هو قد احتفر قبرا واقام فيه
يبكي على نفسه فقال يا بني انا اطلبك من ثلاثة ايام وانت في قبر قد احتفرته قائم تبكي فيه
فقال يا ابت الست انت اخبرتني ان بين الجنة والنار مفازة لا تقطع الا بدموع البكائين
فقال له ابك يا بني فبكيا جميعا وهكذا حكاه وهب بن منبه ومجاهد بنحوه وكان
كثير البكاء حتى اثر الدمع في خديه من كثرة بكائه وذكروا في قتله اسبابا من اشهرها
ان بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق كان اراد ان يتزوج ببعض محارمه او من لا يحل له
تزويجها فنهاه يحيى بن زكريا عن ذلك فبقي في نفسها منه فلما كان بينه وبين الملك ما يحب منها
استوهبت منه دم يحيى فوهبه لها فبعثت اليه من قتله وجاء براسه ودمه في
طشت الى عندها فيقال انها هلكت من فورها وساعتها وقيل بل احبته امراة ذلك
الملك وراسلته فابى عليها فلما يئست منه تحيلت في ان استوهبته من الملك

فتمنع عليها الملك ثم اجابها الى ذلك فبعثت من قتله واحضر اليها راسه ودمه في
طشت فوضع بين يديها فلما امسوا اخسف الله بالملك واهل بيته وحشمه فلما اصبحوا
قالت بنو اسرائيل قد غضب اله زكريا لزكريا فتعالوا حتى نغضب لملكنا فنقتل زكريا
فخرجوا في طلبه ليقتلوه فجاءه النذير فهرب منهم وابليس امامهم يدلهم عليه فعرضت له
شجرة فنادته فقالت الي الي وانصدعت فدخلها فجاء ابليس حتى اخذ بطرف ردائه
والتامت الشجرة وبقي طرف ردائه خارجا من الشجرة وجاءت بنو اسرائيل فقال ابليس اما
رايتموه دخل هذه الشجرة هذا طرف ردائه دخلها بسحره فقالوا نحرق هذه الشجرة فقال
ابليس شقوه بالمنشار شقا فشق مع الشجرة بالمنشار فلم يجد له مس ولا وجع وهذا
سياق غريب وحديث عجيب وفي بعض الفاظ الصحيح في حديث الاسراء فمررت بابني الخالة
يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة على قول الجمهور كما هو ظاهر الحديث فان ام يحيى اشياع
بنت عمران اخت مريم بنت عمران وقيل بل اشياع وهي امراة زكريا ام يحيى هي اخت
حنة امراة عمران ام مريم فيكون يحيى ابن خالة مريم والله اعلم ثم اختلف في
مقتل يحيى بن زكريا هل كان بالمسجد الاقصى او بغيره على قولين فقال الثوري عن الاعمش
عن شمر بن عطية قال قتل على الصخرة التي ببيت المقدس سبعون نبيا منهم يحيى بن زكريا
عليهما السلام وقال ابو عبيد القاسم بن سلام ثنا عبد الله بن صالح عن الليث
عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قدم بخت نصر دمشق فاذا هو بدم
يحيى بن زكريا يغلي فسال عنه فاخبروه فقتل على دمه سبعين الفا فسكن وهذا

اسناد صحيح الى سعيد بن المسيب وهو يقتضي انه قتل بدمشق وان قصة بخت نصر
كانت بعد المسيح كما قاله عطا والحسن البصري والله اعلم وروى الحافظ ابن عساكر
من طريق الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد قال رايت راس يحيى بن زكريا حين ارادوا
بنا مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركان القبلة التي تلي المحراب مما يلي الشرق
فكانت البشرة والشعر على حاله لم يتغير وفي رواية كانما قتل الساعة وذكر
في بنا مسجد دمشق انه جعل تحت العامود المعروف بعمود السكاسكة والله اعلم وقد روى
الحافظ ابن عساكر في كتابه المستقصى في فضايل الاقصى من طريق العباس
ابن صبح عن مروان عن سعيد بن عبد العزيز عن قاسم مولى معاوية قال كان ملك
هذه المدينة يعني دمشق هداد بن هداد وكان قد زوج ابنه بابنة اخيه اريل ملكة
صيدا قال ابن كثير وكان من جملة املاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة
العتيقة قال وكان قد حلف بطلاقها ثلثا ثم انه اراد مراجعتها فاستفتى يحيى بن
زكريا فقال لا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك فحقدت عليه وسالت من الملك
راس يحيى بن زكريا وذلك باشارة امها فابى عليها ثم اجابها الى ذلك وبعث اليه وهو
قايم يصلي بمسجد جيرون من اتاه براسه في صينية فجعل الراس يقول لا تحل له لا تحل
له حتى تنكح زوجا غيره فاخذت المراة الطبق فحملته على راسها واتت به امها
وهو يقول كذلك فلما تمثلت بين يدي امها خسف بها الى قدميها ثم الى ركبتيها
ثم الى حقويها وجعلت امها تولول والجواري يصرخن ثم خسف بها الى منكبيها فامرت

امها السياف ان يضرب عنقها لتتسلى براسها ففعل فلفظت الارض جثتها عند
ذلك ووقعوا في الذل والفنا ولم يزل دم يحيى يفور حتى قدم بخت نصر فقتل عليه خمسة
وسبعين الفا وهي دية كل نبي ولم يزل يفور حتى وقف عنده ارميا عليه السلام فقال ايها
الدم افنيت بني اسرائيل فاسكن باذن الله فسكن ورفع السيف وهرب من هرب من اهل دمشق
الى بيت المقدس فتبعهم اليها فقتل خلقا كثيرا لا يحصون وسبا منهم ثم رجع عنهم ۞

قصة عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وابن امته عليه السلام

قال الله تعالى في سورة آل عمران التي انزل صدرها وهو ثلث وثمانون اية
منها في الرد على النصارى عليهم لعاين الله تعالى الى يوم الدين الذين زعموا ان لله ولدا
تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وكان قد تقدم وفد نجران منهم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل من التثليث في الاقانيم ويدعون
بزعمهم ان الله ثالث ثلاثة وهم الذات المقدسة ۞ وعيسى ۞ ومريم ۞ على اختلاف
فرقهم فانزل الله عز وجل صدر هذه السورة يبين فيها ان عيسى عبد من عباد الله
خلقه وصوره في الرحم كما خلق غيره من المخلوقات وانه خلقه من غير اب كما خلق ادم
من غير اب ولا ام وقال له كن فكان سبحانه وتعالى وبين اصل ميلاد امه مريم وكيف
كان من امرها وكيف حملت بولدها عيسى وكذلك بسط ذلك في سورة مريم فقال
تعالى وهو اصدق القايلين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على
العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت

لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم الى قوله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب يذكر تعالى انه اصطفى آدم عليه السلام ثم خصص نوحا وآل ابراهيم ويدخل فيهم
بنو اسمعيل وبنو اسحق ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب وهم آل عمران والمراد بعمران
هذا والد مريم عليها السلام وهي من سلالة داود عليه وعليه السلام وكان ابوها عمران صاحب صلاة
بني اسرائيل في زمانه وكانت امها وهي حنة بنت فاقود بن قبيل من العابدات وكان زكريا
نبي ذلك الزمان زوج اخت مريم اشياع في قول الجمهور وقيل زوج خالتها اشياع فالله اعلم
وقد ذكر محمد بن اسحق وغيره ان ام مريم كانت لا تحبل فرأت يوما طائرا يزق فرخا له فاشتهت
الولد فنذرت لله ان حملت لتجعلن ولدها محررا اي حبيسا في خدمة بيت المقدس
فحاضت من فورها فلما طهرت واقعها بعلها فحملت بمريم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها
انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى اي في خدمة بيت المقدس وكانوا في ذلك الزمان
ينذرون لبيت المقدس خداما من اولادهم وقولها واني سميتها مريم استدل به على تسمية المولود
يوم يولد وقولها واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قد استجيب لها في هذا
كما تقبل منها نذرها فقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري
عن ابن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا الشيطان
يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها ثم قال ابو هريرة
واقرؤا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقوله فتقبلها ربها بقبول
حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ذكر كثير من المفسرين ان امها حين وضعتها

لفتها في خرقها ثم خرجت بها الى المسجد فسلمتها الى العباد الذين هم مقيمون به وكانت
ابنة امامهم وصاحب صلاتهم فتنازعوا فيها وفي ايهم يكفلها وكان زكريا نبيهم في
ذلك الزمان فاراد ان يستبد بها دونهم من اجل ان زوجته اختها او خالتها على القولين
فشاحوه في ذلك وطلبوا ان يقترع معهم فخرجت قرعته غالبة لهم وذلك ان الخالة
بمنزلة الام قال الله تعالى وكفلها زكريا اي بسبب غلبه لهم في القرعة كما قال
تعالى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل
مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون قالوا وذلك ان كلا منهم القى قلمه معروفا
به ثم حملوها ووضعوها في موضع وامروا غلاما لم يبلغ الحنث فاخرج واحدا منها فظهر
قلم زكريا فطلبوا ان يقترعوا مرة ثانية وان يكون ذلك بان يلقوا اقلامهم في النهر
فايهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ففعلوا فكان قلم زكريا هو الغالب
ثم اقترعوا ثالثة فايهم جرى قلمه مع الماء ويكون بقية الاقلام قد انعكس سيرها فهو الغالب
ففعلوا فكان زكريا هو الغالب فكفلها اذ كان احق بها شرعا وقدرا لوجوه عديدة
وذلك انه [illegible] في صغرها لامها قال الله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب
قال المفسرون اتخذ لها زكريا مكانا شريفا من المسجد لا يدخله سواها فكانت تعبد
الله فيه وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت اذا جاءت نوبتها وتقوم بالعبادة ليلها
ونهارها حتى صارت يضرب المثل بعبادتها في بني اسرائيل واشتهرت بما ظهر عليها

من الاحوال الكريمة حتى انه كان زكريا كلما دخل عليها وجد عندها رزقا غريبا في غير اوانه
فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول يا مريم انى لك هذا
فتقول هو من عند الله فعند ذلك طمع زكريا في وجود ولد من صلبه وان كان قد اسن وكبر
قال يا من يرزق مريم الثمر في غير اوانه هب لي ولدا وان كان في غير اوانه فكان من خبره وقصته
ما قدمنا ذكره من قصته ۝ اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين الى قوله تعالى ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ۝ يذكر
تعالى ان الملائكة بشرت مريم باصطفاء الله لها من بين سائر نساء زمانها بان اختارها لايجاد ولد
منها من غير اب وبشرت بان يكون نبيا شريفا يكلم الناس في المهد اي في صغره يدعوهم الى
عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وكذلك في حال كهوليته فدل على ان يبلغ الكهولة
ويدعو الى الله فيها وامرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع لتكون اهلا لهذه
الكرامة ولتقوم بشكر هذه النعمة فكانت تقوم في الصلاة حتى تفطرت قدماها رضي الله
تقول الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك واجتباك وطهرك اي من
الاخلاق الرذيلة واصطفاك على نساء العالمين يحتمل ان يكون المراد عالمي زمانها كقوله
لموسى اني اصطفيتك على الناس وكقوله عن بني اسرائيل ولقد اخترناهم على علم على
العالمين ومعلوم ان ابراهيم عليه السلام افضل من موسى وان محمدا صلى الله عليه وسلم
افضل منهما وكذلك هذه الامة افضل من سائر الامم قبلها واكثر عددا واكثر علما
وازكى عملا من بني اسرائيل وغيرهم ۝ ويحتمل ان يكون واصطفاك على نساء العالمين

محفوظ العموم فتكون افضل نساء اهل الدنيا ممن كان قبلها ووجد بعدها لانها ان كانت
نبية على قول من يقول بنبوتها ونبوة سارة ام اسحق ونبوة ام موسى محتجا بكلام الملائكة
والوحي الى ام موسى كما يزعم ذلك ابن حزم وغيره فلا يمتنع على هذا ان تكون مريم افضل من سارة
وام موسى لعموم قوله واصطفاك على نساء العالمين اذ لم يعارضه غيره والله اعلم واما على
قول الجمهور كما قد حكاه ابو الحسن الاشعري وغيره عن اهل السنة والجماعة من ان النبوة مختصة
بالرجال وليس في النساء نبية فيكون اعلى مقامات مريم كما قال تعالى ما المسيح بن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة فعلى هذا لا يمتنع ان تكون افضل الصديقات
المشهورات ممن كان قبلها وممن يكون بعدها والله اعلم وقد جاء ذكرها مقرونة مع آسية بنت مزاحم
وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن وقد روى الامام احمد
والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عديدة عن هشام بن عروة عن ابيه عن
عبد الله بن جعفر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد وقال الامام احمد
ثنا عبد الرزاق انا معمر عن قتادة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك
من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة
بنت محمد واما الحديث الذي رواه ابن مردويه من حديث شعبة عن معوية بن قرة
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
الا ثلاث مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على

النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وهكذا الحديث رواه الجماعة الا ابا داود
من طرق عن شعبة عن عمرو بن مرة الهمداني عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اسيه امراة فرعون
ومريم بنت عمران وان فضل عايشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فانه حديث
صحيح كما ترى اتفق الشيخان على اخراجه ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم واسيه
ولعل المراد بذلك في زمانهما فان كلا منهما كفلت نبيا في حال صغره فاسية كفلت
موسى الكليم ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الامة كخديجة وفاطمة
فخديجة خدمت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة خمس عشرة سنة وبعدها ازيد
من عشر سنين وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها رضي الله عنها واما فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانها خصصت بمزيد فضيلة على اخواتها لانهن اصبن برسول الله
صلى الله عليه وسلم وبقية اخواتها متن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
عايشة فانها كانت احب ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يتزوج بكرا غيرها
ولا يعرف في سائر النساء في هذه الامة بل ولا في غيرها اعلم منها ولا افهم وقد غار الله تعالى
لها حين قال لها اهل الافك ما قالوا فانزل الله براءتها من فوق سبع سموات وقد عمرت
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من خمسين سنة تبلغ عنه القران والسنة وتفتي
المسلمين وتصلح بين المختلفين وهي اشرف امهات المومنين حتى خديجة بنت خويلد
ام البنات والبنين في قول طايفة من العلما السابقين واللاحقين والاحسن الوقف

فيهما رضي الله عنهما وما ذاك الا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال وفضل عايشة
على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام يحتمل ان يكون عاما بالنسبة الى ما عدا المذكورات
والله اعلم والمقصود هنا ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران فان الله طهرها
واصطفاها على نساء عالمي زمانها ويجوز ان يكون تفضيلها على النساء مطلقا كما
قدمنا وقد ورد في حديث انها تكون من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة
هي واسية بنت مزاحم وقد ذكر في التفسير عن بعض السلف انه قال ذلك
واستانس بقوله ثيبات وابكارا قال فالثيب اسية ومن الابكار مريم بنت عمران
قال الطبراني ثنا عبد الله بن ناجيه ثنا محمد بن سعد العوفي ثنا ابي ثنا عمي
الحسين ثنا يونس بن نفيع عن سعد بن جنادة هو العوفي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وامراة فرعون واخت موسى
وقال الحافظ ابو يعلى ثنا ابراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يونس بن شعيب
عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشعرت ان الله زوجني
مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثم اخت موسى ذكر
ميلاد العبد الرسول عيسى بن مريم العذرا البتول قال الله تعالى
واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من
دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا

قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال
ربك هو علي هين ولنجعله اية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته
فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت
قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها الا تحزني قد جعل ربك تحتك
سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي
وقري عينا فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم
اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ن
ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف
نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا
وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكاة ما دمت حيا وبرا
بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث
حيا ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد
يوم عظيم ذكر الله تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة
لها والتوطئة قبلها وقد تقدم ان مريم لما جعلتها امها محررا تخدم بيت المقدس
فانه كفلها زوج اختها او خالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام وانه

اتخذ

اتخذ لها محرابا وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله احد عليها سواه وانها لما
بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من
الاحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وانها خاطبتها الملائكة بالبشارة
لها باصطفاء الله تعالى لها وبانه سيهب لها ولدا زكيا يكون نبيا كريما
طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد لانها لا زوج لها
ولا هي ممن تتزوج فاخبرتها الملائكة بان الله قادر على ما يشاء فاستكانت لذلك
وسلمت لامر الله وعلمت ان هذا فيه محنة عظيمة لها فان الناس يتكلمون فيها
بسببه لانهم لا يعلمون حقيقة الامر وكانت انما تخرج من المسجد في زمن حيضها
او لضرورة لا بد منها بينما هي يوما قد خرجت وانتبذت اي انفردت وحدها
شرقي المسجد الاقصى اذ بعث الله اليها الروح الامين جبريل عليه السلام فتمثل
لها بشرا سويا فلما راته قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال
ابو العالية علمت ان التقي ذو نهية وهذا يرد قول من زعم انه كان في بني اسرائيل
رجل فاسق مشهورا بالفسق اسمه تقي فان هذا قول باطل بلا دليل وهو من اسخف
الاقوال قال انما انا رسول ربك اي لست ببشر ولكني ملك بعثني الله اليك
ليهب لك غلاما زكيا قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا
اي لست ذات زوج ولا انا ممن يفعل الفاحشة قال كذلك قال ربك هو علي
هين اي سهل عليه فانه على ما يشاء قدير ولنجعله اية للناس دليلا على كمال قدرته

على انواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حوا من ذكر بلا
انثى وخلق عيسى من انثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وانثى قوله تعالى
ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال تعالى والتي
احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا فذكر غير واحد من السلف ان جبريل
نفخ في جيب درعها فنزلت النفخة الى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المراة عند جماع
بعلها ومن قال انه نفخ في فيها او ان الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من
فيها فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة فان هذا السياق يدل على
ان الذي ارسل اليها ملك من الملايكة وهو جبريل عليه السلام وانه انما نفخ فيها
ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة الى فرجها فانسلكت فيه
كما قال تعالى فنفخنا فيه من روحنا فدل على ان النفخة ولجت فيه لا في فيها ولا في
صدرها كما رواه السدي باسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى فحملته اي
فحملت ولدها فانتبذت به مكانا قصيا وذلك لان مريم لما حملت ضاقت به ذرعا
وعلمت ان كثيرا من الناس سيتكلمون في حقها وكان عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة
وكان حملهما جميعا معا وكانت مريم اذا خلت حدثها وكلمها واذا كانت بين الناس
سبح في بطنها ثم الظاهر انها حملت به تسعة اشهر كما تحمل النسا ويضعن
لميقات حملهن ووضعهن اذ لو كان خلاف ذلك لذكر وعن ابن عباس وعكرمة
انها حملت به ثمانية اشهر وعن ابن عباس ما هو الا ان حملت به فوضعته قال

بعضهم حملت به تسع ساعات واستانسوا لذلك بقوله فحملته فانتبذت به مكانا
قصيا فاجاها المخاض الى جذع النخلة قال محمد بن اسحاق ثم شاع امرها واشتهر في
بني اسرايل انها حامل فما دخل على اهل بيت ما دخل على آل زكريا واتهمها بعض الزنادقة
بيوسف الذي كان يتعبد معها في المسجد وقوله فاجاها المخاض الى جذع النخلة اي
فالجاها الطلق الى جذع النخلة وهو ببيت لحم من قرى بيت المقدس الذي بنى عليه
بعض ملوك الروم هذا البناء العظيم الهايل قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت
نسيا منسيا فيه دليل لجواز تمني الموت عند الفتن فانها علمت ان الناس يتهمونها
ويكذبونها حين تاتيهم بغلام على يدها مع انها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات
ومن بيت النبوة فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنت انها لو كانت ماتت قبل هذا الحال
او كانت نسيا منسيا اي لم تخلق بالكلية وقوله فناداها من تحتها وقرى من
تحتها على الخفض وفي المضمر قولان احدهما انه جبريل قاله العوفي عن ابن عباس
قال ولم يتكلم عيسى الا بحضرة القوم وهكذا قال سعيد بن جبير وعمرو بن ميمون
والضحاك والسدي وقتادة وقال مجاهد والحسن وابن زيد وسعيد بن جبير هو ابنها
عيسى واختاره ابن جرير وقوله الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا قيل النهر
واليه ذهب الجمهور وجا فيه حديث رواه الطبراني لكنه ضعيف واختاره ابن
جرير وهو الصحيح وعن الحسن والربيع بن انس وابن اسلم وغيرهم انه ابنها والصحيح
الاول لقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذكر

الطعام والشراب فلهذا قال فكلي واشربي وقري عينا ثم قيل كان جذع النخلة يابسا
وقيل كانت نخلة مثمرة فالله اعلم ويحتمل انها كانت نخلة لكنها لم تكن مثمرة اذ ذاك
لان ميلاده كان في زمن الشتاء وليس ذاك وقت ثمر وقد يفهم ذلك من قوله تعالى
على سبيل الامتنان تساقط عليك رطبا جنيا قال عمرو بن ميمون ليس شيء خيرا
للنفساء من التمر والرطب ثم تلا هذه الاية وقوله فاما ترين من البشر احدا فقولي
اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا وهذا من تمام كلام الذي ناداها
من تحتها قال فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر احدا اي فاذا رايت احدا
من الناس فقولي له اي بلسان الحال والاشارة اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا
وكان من صومهم في شريعتهم ترك الكلام والطعام قاله قتادة والسدي وابن
اسلم ويدل على ذلك قوله فلن اكلم اليوم انسيا فاما في شريعتنا الرفيعة
المحمدية فيلزم الصائم صمت يوم الى الليل وقوله تعالى فاتت به قومها تحمله قالوا يا
مريم لقد جئت شيئا فريا يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا
ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن اهل الكتاب انهم لما افتقدوا مريم من بين اظهرهم ذهبوا في
طلبها فمروا على محلتها والانوار حولها فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا لها يا مريم لقد
جئت شيئا فريا اي امرا عظيما منكرا وفي هذا الكلام الذي قالوه نظر مع انه كلام ينقض
اوله اخره وذلك لان ظاهر سياق القران العظيم يدل على انها حملته بنفسها واتت به
قومها وهي تحمله قال ابن عباس وذلك بعد نفاسها باربعين يوما والمقصود انهم لما

داوها

راوها تحمل ولدها قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا والفرية هي الفعلة المنكرة ثم
قالوا لها يا اخت هرون قيل شبهوها بعابد من عباد زمانهم كانت تساميه في العبادة
واخطا محمد بن كعب القرظي في زعمه انها اخت موسى وهرون نسبا فان بينهما من
الدهور الطويلة ما لا يخفى على من عنده علم من الكتاب وكانه غره ان في التوراة
ان مريم اخت موسى وهرون ضربت بالدف يوم نجى الله فيه موسى وقومه واغرق فرعون
وملاه فاعتقد ان هذه هي هذه وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح
مع نص القران كما قرره المفسرون في تفاسيرهم وقد ورد الحديث في الصحيح
الدال على انه قد كان لها اخ اسمه هرون وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير
امها لها ما يدل على انه ليس لها اخ سواه والله اعلم والمقصود انهم قالوا يا اخت
هرون ودل الحديث على انه قد كان لها اخ نسبي اسمه هرون وكان مشهورا
بالدين والصلاح ولهذا قالوا ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا اي لست
من بيت من هذا شيمتهم فاتهموها بالفاحشة ورموها بالداهية فذكر ابن
جرير في تاريخه انهم اتهموا بها زكريا وارادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت
له شجرة فدخلها وامسك ابليس بطرف ردائه فنشروه فيها كما تقدم ومن الناس من
اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار فلما ضاق الحال اشارت اليه
اي خاطبوه وكلموه فان جوابكم عليه ونحوه قال من كان منهم جبارا شقيا
كيف نكلم من كان في المهد صبيا اي كيف تحيلينا في الجواب على صبي صغير

لا يعقل الخطاب

وقوع ذلك وضح في نفسه وما هذا منك الا على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص
لك اذ تحيلين في الجواب على من هذا في المهد صبيا فتفزع قال اني عبد الله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت
ويوم اموت ويوم ابعث حيا **هذا** اول كلام تكلم به عيسى بن مريم فكان اول
ما تكلم به ان قال اني عبد الله اعترف لربه تعالى بالعبودية وان الله ربه فنزه
جناب الله عن قول الظالمين في زعمهم انه ابن الله بل هو عبده ورسوله وابن امته
ثم برأ امه مما نسبه اليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله اتاني
الكتاب وجعلني نبيا فان الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله ولعنهم
كما قال تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما **وذلك** ان طائفة
من اليهود في ذلك الزمان قالوا انها حملت به من زنا في زمن الحيض لعنهم الله
فبرأها الله من ذلك واخبر عنها انها صديقة واتخذ ولدها نبيا مرسلا احد اولي العزم
الخمسة الكبار ولهذا قال وجعلني مباركا اينما كنت **ثم لما ذكر له** قصته وبين
امره قال ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كما قال تعالى ان مثل عيسى عند
الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين
ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين راكبا يرجع امرهم الى ثلثة هم اشرافهم وهم

العاقب

العاقب والسيد وابو حارثة بن علقمة فجعلوا يناظرون في امر المسيح واتخاذه
ولد الله من قبله وامر رسوله بان يباهلهم ان لم يستجيبوا له ويتبعوه فلما راوا عينه
نكلوا ونكصوا او امتنعوا عن المباهلة وعدلوا الى المسالمة والموادعة وقال قائلهم
وهو العاقب عبد المسيح يا معشر النصارى لقد علمتم ان محمدا النبي مرسل ولقد
جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم انه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم
ولا نبت صغيرهم وانها للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد ابيتم الا الف
دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى
بلادكم فطلبوا الموادعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يضرب
عليهم جزية وان يبعث معهم رجلا امينا فبعث معهم ابا عبيدة بن الجراح **والمقصود**
ان الله تعالى لما بين امر المسيح قال لرسوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه
يمترون يعني من انه عبد مخلوق من امراة من عباد الله تعالى ولهذا قال ما كان لله
ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ۝ اي لا يعجزه
شيء ولا يكرثه بل هو القدير الفعال لما يشاء انما امره اذا قضى امرا او اراد شيئا ان
يقول له كن فيكون **وقوله** وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد اخبرهم ان الله ربه وربهم والهه والههم وان هذا
هو الصراط المستقيم **قال** الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم اي فاختلف اهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه فمن قائل من اليهود

انه ولد دنيه واستمروا على كفرهم وعنادهم وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا هو
الله وقال آخرون هو ابن الله وقال المؤمنون هو عبد الله ورسوله وابن
امته وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهؤلاء هم الناجون المثابون المؤ
المنصورون ومن خالفهم في شيء من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون
وقد توعدهم الرب جلت عظمته بقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم
قال البخاري ثنا صدقة بن الفضل انا الوليد ثنا الاوزاعي حدثني عمير بن
هاني حدثني جنادة بن ابي امية عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى
عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق
ادخله الله الجنة على ما كان من العمل قال الوليد فحدثني عبد الرحمن بن
يزيد بن جابر عن عمير عن جنادة وزاد من ابواب الجنة الثمانية ايها شاء ۞ وقد رواه
مسلم عن داود بن رشيد عن الوليد عن ابن جابر به ومن طريق اخرى عن الاوزاعي به

باب بيان ان الله تنزه عن الولد تعالى

الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا قال الله تعالى في آخر سورة مريم وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا اي شيئا عظيما ومنكرا من القول وزورا تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد

احصاهم

احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا ۞ بين تعالى انه لا ينبغي له الولد
لانه خالق كل شيء ومالكه وكل شيء فقير اليه خاضع ذليل لديه وجميع سكان
السموات والارض عبيده وهو ربهم لا اله الا هو ولا رب سواه وقال تعالى
وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى
عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء
وهو بكل شيء عليم ۞ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء
وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ۞ بين
تعالى انه خالق كل شيء فكيف يكون له ولد والولد لا يكون الا بين شيئين متناسبين
والله تعالى لا نظير له ولا شبيه له ولا صاحبة له فلا يكون له ولد كما قال تعالى
قل هو الله احد ۞ الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقرر
انه الاحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ۞ الصمد وهو
السيد الذي قد كمل في علمه وحكمته ورحمته وجميع صفاته ۞ لم يلد اي لم يوجد
منه ولد ۞ ولم يولد اي ولم يتولد عن شيء قبله ۞ ولم يكن له كفوا احد اي وليس
له عدل ولا مكافئ ولا مساو فقطع النظير المداني والاعلى والمساوي فانتفى ان
يكون له ولد اذ الولد لا يكون الا متولدا بين شيئين متعادلين او متقاربين تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ۞ وقد جاوز النصارى الحد في الغلو والاطراء وكان الواجب عليهم
ان يعتقدوا انه عبد الله ورسوله وابن امته العذراء البتول التي احصنت فرجها فبعث الله

الملك جبريل اليها فنفخ فيها عن امر الله نفخة حملت منها بولدها عيسى عليه السلام فالذي
اتصل بها من الملك هي الروح المضافة الى الله اضافة تشريف وتكريم وهي مخلوقة من
مخلوقات الله تعالى كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وكذا روح الله اضيفت
اليه تشريفا لها وسمي عيسى بها لانه كان بها من غير اب وهي الكلمة ايضا التي عنها خلق
وبسببها وجد كما قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
وقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم
يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون فاخبر الله تعالى
ان اليهود والنصارى عليهم لعاين الله كل من الفريقين ادعوا على الله شططا
وزعموا ان له ولدا تعالى الله عما يقولون وكذا طوائف من مشركي العرب
زعموا لجهلهم ان الملائكة بنات الله تعالى الله عما يقولون وتنزه عما يشركون
كما قال تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة اناثا
وهم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون اصطفى
البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين
فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين ۞ وقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل
عباد مكرمون ۞ وقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني
تنبيه الايات الشريفات الجليات تشمل الرد على سائر فرق الكفر من الغلاة
ومشركي العرب واليهود والنصارى الذين ادعوا بلا علم ان له ولدا سبحانه وتعالى

عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا فصل كانت النصارى عليهم لعنة
الله من اشهر من قال بهذه المقالة فذكروا في القران كثيرا الرد عليهم وقد تنوع
اقوالهم في كفرهم فطائفة من ضلالهم زعموا ان المسيح هو الله تعالى الله وطائفة
قالوا هو ابن الله عز الله وطائفة قالوا هو ثالث ثلثة جل الله قال الله تعالى
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم حكم الله بكفرهم شرعا والخبر
انه فرد احد منهم مع ان الرسول اليهم وهو عيسى بن مريم قد بين لهم انه عبد مربوب
مخلوق مصور في الرحم داع الى عبادة الله وحده لا شريك له وتوعدهم على خلاف
ذلك بالنار والخزي قال انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه
النار وما للظالمين من انصار ۞ ثم قال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلثة قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالاقانيم الثلاثة اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم الكلمة المنبثقة من الاب الى الابن على اختلافهم في ذلك
ما بين الملكية واليعقوبية والنسطورية عليهم لعاين الله التابعة الى يوم الدين
كما سنبين كيفية اختلافهم في ذلك ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين وهلم
بعد المسيح بثلاثمائة سنة وقبل البعثة الشريفة المحمدية بثلاثمائة سنة زاد
بقوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة زعمهم في عيسى وامه انهما الاهان
مع الله تعالى كما بين الله كفرهم في ذلك بقوله في اخر سورة المائدة واذ قال الله يا
عيسى بن مريم أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك

ما يقولون إن أول ما يلبس ليحق إلى آخر السورة والآيات في ذلك كثير
وثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى
شتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك يزعم أن لي ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم
ولكن ثبت في الصحيح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله
ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد

فصل ذكر منشأ عيسى عليه السلام وتربيته في صغره وصباه وبيان بدء الوحي إليه من الله تعالى

قد تقدم أنه ولد ببيت لحم قريبا من بيت المقدس وزعم وهب بن منبه أنه ولد بمصر وأن مريم سافرت
هي ويوسف بن يعقوب النجار وهي راكبة على حمار وهذا الأصح والحديث الذي
تقدم ذكره دليل على أن مولده كان ببيت لحم ومهما عارضه فباطل وذكر
وهب بن منبه أنه لما ولد خرت الأصنام يومئذ في مشارق الأرض ومغاربها وأن
الشياطين حارت في سبب ذلك حتى كشف لهم إبليس الكبير أمر عيسى فوجدوه
في حجر أمه والملائكة تحف به ثم إن أمه خافت عليه فذهبت به إلى مصر فأقامت
به حتى بلغ عمره ثنتي عشرة سنة وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره ثم
ارتحلا قاصدين بيت المقدس والله أعلم وقال إسحق بن بشر أنا عثمان بن الساج وغيره

عن موسى بن وردان عن أبي نضرة عن أبي سعيد وعن مكحول عن أبي هريرة قال
إن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل
مجد الله تمجيدا لم تسمع الآذان بمثله لم يدع شمسا ولا قمرا ولا جبلا ولا نهرا ولا
عينا إلا ذكره في تمجيده وعن ابن عباس أن عيسى بن مريم أمسك عن الكلام
بعد إذ كلمهم طفلا حتى بلغ ما يبلغ الغلمان ثم أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة
والبيان فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول فكانوا يسمونه ابن البغية
وذلك قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما قال فلما بلغ
سبع سنين أسلمته أمه في الكتاب فجعل لا يعلمه المعلم شيئا إلا بادره
إليه فعلمه أبا جاد فقال عيسى ما أبو جاد فقال المعلم لا أدري فقال
عيسى كيف تعلمني ما لا تدري فقال المعلم إذا فعلمني فقال له عيسى فقم
من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه فقال سلني فقال المعلم ما أبو جاد فقال
عيسى الألف آلاء الله الجيم بهجة الله وجماله فتعجب المعلم من ذلك فكان أول من
فسر أبا جاد ثم ذكر أن عثمان رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فأجابه على كل كلمة بحديث طويل موضوع لا
يسأل ولا يمارى وقال إسحق بن بشر قال ابن إدريس عن جده وهب بن
منبه قال إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة أمره الله أن يرجع من بلاد مصر
إلى بيت إيليا قال فقدم عليه يوسف ابن خال أمه فحملهما على حمار حتى جاء بهما

الى ايليا واتمام به حتى اخذ الله الانجيل وعلمه التوراة واعطاه احيا الموتى
وابراء الاسقام والعلم بالغيوب بما يدخرون في بيوتهم وتحدث الناس بقدومه
فخافوا وفزعوا منه فدعاهم الى الله ففشا فيهم امره وقال ابو زرعة الدمشقي
ثنا عبد الله بن صالح حدثني معوية بن صالح عمن حدثه قال انزلت التوراة على موسى
في ست ليال خلون من شهر رمضان ۝ ونزل الزبور على داود في اثنى عشر ليلة
خلت من شهر رمضان وذلك بعد التوراة باربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة
وانزل الانجيل على عيسى بن مريم في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وذلك
بعد الزبور بالف عام وخمسين عاما ۝ وانزل سيد الكتب على سيد الرسل
محمد صلى الله عليه وسلم في اربع وعشرين من شهر رمضان ۝ وقد ذكر المفسرون
في تفاسيرهم عند قوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران الاحاديث
الواردة في ذلك وفيها ان الانجيل انزل على عيسى بن مريم عليه السلام في ثماني عشرة
ليلة خلت من شهر رمضان وذكر ابن جرير في تاريخه انه انزل عليه وهو ابن
ثلاثين سنة ومكث حتى رفع الى السماء وهو ابن ثلث وثلثين سنة كما سياتي بيانه
ان شاء الله تعالى وقال اسحق بن بشر انبا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة
ومقاتل عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
اوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم يا عيسى جد في امري ولا تهن واسمع واطع
يا ابن الطاهرة البكر البتول انك من غير فحل وانا خلقتك اية للعالمين

الوفاة

اياي فاعبد وعلي فتوكل خذ الكتاب بقوة فسر لاهل السريانية بلغ من بين
يديك اني انا الحق القائم الذي لا ازول صدقوا النبي الامي العربي صاحب الجمل والتاج
وهي العمامة والمدرعة والنعلين والهراوة وهي القضيب الانجل العينين الصلت الجبين
الواضح الخدين الجعد الرأس الكث اللحية المقرون الحاجبين الاقنى الانف المفلج
الثنايا البادي العنفقة الذي كان عنقه ابريق فضة وكان الذهب يجري في
تراقيه له شعرات من لبته الى سرته تجري كالقضيب ليس على بطنه ولا على صدره شعر
غيره شثن الكف والقدم اذا التفت التفت جميعا واذا مشى كانما يتقلع من
صخر وينحدر من صبب عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريح المسك ينفح منه لم ير قبله ولا
بعده مثله الحسن القامة الطيب الريح نكاح النساء ذا النسل القليل انما نسله
من مباركة لها بيت يعني في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب تكفله يا عيسى
في اخر الزمان كما كفل زكريا امك له منها فرخان مستشهدان وله عندي منزلة
ليست لاحد من البشر كلامه القران ودينه الاسلام وانا السلام طوبى لمن ادرك
زمانه وشهد ايامه وسمع كلامه قال عيسى يا رب وما طوبى قال غرس شجرة
انا غرستها بيدي فهي للجنان كلها اصلها من رضوان وماؤها من تسنيم وبردها برد
الكافور وطعمها طعم الزنجبيل وريحها ريح المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها
ابدا قال عيسى يا رب اسقني منها قال حرام على النبيين ان يشربوا منها
حتى يشرب ذلك النبي وحرام على الامم ان يشربوا منها حتى تشرب منها امة ذلك النبي

قال يا عيسى ارفعك الي قال رب ولم ترفعني قال ارفعك ثم اهبطك في اخر
الزمان لترى من امة ذلك النبي العجائب ولتعينهم على قتال اللعين الدجال اهبطك في وقت
صلاة ثم لا تصلي بهم لانها امة مرحومة ولا نبي بعد نبيهم وقال هشام بن عمار
عن الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن ابيه ان عيسى قال يا رب انبئني عن هذه الامة
المرحومة قال امة احمد هم علماء حكماء كانهم انبياء يرضون مني بالقليل من العطاء وارضى
منهم باليسير من العمل وادخلهم الجنة بلا اله الا الله يا عيسى هم اكثر سكان الجنة
لانه لم تذل الالسن قوم قط بلا اله الا الله كما ذلت السنتهم ولم تذل رقاب قوم
قط بالسجود كما ذلت به رقابهم رواه ابن عساكر ○ وقال ابو بكر بن ابي الدنيا
ثنا شريح بن يونس ثنا علي بن ثابت عن الخطاب بن القاسم عن ابي عثمان قال كان عيسى عليه السلام
يصلي على راس جبل فاتاه ابليس فقال انت الذي تزعم ان كل شيء بقضاء وقدر قال نعم
قال الق نفسك من الجبل وقل قدر علي فقال يا لعين الله يختبر العباد وليس العباد
يختبرون الله عز وجل وقال ابو بكر بن ابي الدنيا ثنا الفضل بن موسى البصري ثنا ابرهيم
ابن بشار سمعت سفيان بن عيينة يقول لقي عيسى بن مريم ابليس فقال له ابليس يا عيسى
انت الذي بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت في المهد صبيا ولم يتكلم فيه احد قبلك قال
بل الربوبية للاله الذي انطقني ثم يميتني ثم يحييني قال فانت الذي بلغ من عظم ربوبيتك
انك تحيي الموتى قال بل الربوبية لله الذي يحيي ويميت من احييت ثم يحييه قال
والله انك لاله في السماء واله في الارض قال فصكه جبريل صكة بجناحه فما تناهى دون قرن

الشمس ثم صكه اخرى بجناحه فما تناهى دون العين الحامية ثم صكه اخرى فادخله
بحار السابعة فاساخه وفي رواية فاسلكه فيها حتى وجد طعم الحماة فخرج وهو
يقول ما لقي احد من احد ما لقيت منك يا ابن مريم وقد روي نحو هذا بابسط منه من وجه
اخر وقال الحافظ ابو بكر الخطيب انبأنا ابو الحسن بن رزقويه انا ابو بكر احمد بن سندي
ثنا ابو محمد الحسن بن علي القطان ثنا اسمعيل بن عيسى العطار انا علي بن عاصم حدثني ابو سلمة
سويد عن بعض اصحابه قال صلى عيسى ببيت المقدس فانصرف فلما كان ببعض العقبة عرض
له ابليس فاحتبسه فجعل يعرض عليه ويحدثه ويقول له انه لا ينبغي لك ان تكون عبدا
فاكثر عليه وجعل عيسى يحرص على ان يتخلص منه فجعل لا يتخلص منه فقال له فيما
يقول لا ينبغي لك يا عيسى ان تكون عبدا قال فاستغاث عيسى بربه فاقبل جبريل
وميكائيل فلما رآهما ابليس كف فلما استقر معه على العقبة اكتنفا عيسى وضرب
جبريل ابليس بجناحه فقذفه في بطن الوادي قال فعاد ابليس معه وعلم انهما لم
يؤمرا بغير ذلك فقال لعيسى قد اخبرتك انه لا ينبغي ان تكون عبدا ان غضبك ليس
بغضب عبد وقد رايت ما لقيت مني حين غضبت ولكن ادعوك الى امر
هو لك آمر الشياطين فليطيعوك فاذا راى البشر الشياطين قد اطاعوك عبدوك
اما اني لا اقول ان تكون الها ليس معه اله ولكن الله يكون الها في السماء وتكون انت
الها في الارض فلما سمع عيسى ذلك منه استغاث بربه وصرخ صرخة شديدة
فاذا اسرافيل قد هبط فنظر اليه جبريل وميكائيل فكف ابليس فلما استقر معهم

ضرب اسرافيل ابليس بجناحه فصكه به عين الشمس ثم ضربه ضربة اخرى فاقبل ابليس
يهوي ومر بعيسى وهو بمكانه فقال يا عيسى لقد لقيت فيك اليوم تعبا شديدا فرمى به
في عين الشمس ووجد سبعة املاك عند العين الحامية قال فغطوه فجعل كلما خرج
غطوه في تلك الحماة قال والله ما عاد اليه بعد قال وحدثنا اسمعيل العطار ثنا
ابو حذيفة قال ثم اجتمع اليه شياطينه فقالوا سيدنا لقد لقيت تعبا قال ان هذا
عبد معصوم ليس لي عليه من سبيل وساضل به بشرا كثيرا وابث فيهم اهواء مختلفة
واجعلهم شيعا ويجعلونه وامه الهين من دون الله قال وانزل الله فيما ايد به عيسى وعصمه
من ابليس قرانا ناطقا يذكر نعمته على عيسى فقال يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس يعني اذ قويتك بروح القدس يعني جبريل تكلم الناس
في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب يعني الانجيل والتورية والحكم واذ كففت بني اسرائيل
عنك الاية كلها واذ جعلت لك الشاكين الشيطانه وحجابه ولعوانا ترضيهم وصحابة
واعوانا يرضون بك هاديا وياموا الى الجنة يا عيسى وقضيت يوم خلقت السموات والارض
انه من عبدني وقال فيهما بقولي ان اجعلهم جيرانك في الدار ورفقاك في المنازل وشركاك
في الكرامة وقضيت يوم خلقت السموات والارض انه من اتخذك وامك الهين من دون
الله ان اجعلهم في الدرك الاسفل من النار وقضيت يوم خلقت السموات والارض اني
مثبت هذا الامر على يدي نبي واختم به الانبياء والرسل مولده بمكة ومهاجره بطيبة
وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يزن بالفحش ولا قوال

بالخنا اشدده لكل امر جميل واهب له كل خلق كريم اجعل التقوى ضميره والحلم
معقوله والوفا طبيعته والعدل سيرته والحق شريعته والاسلام ملته واسمه
احمد اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة واغني به بعد العايلة وارفع
به بعد الضعة اهدي به وافتح به بين اذان صم وقلوب غلف واهوا مختلفة متفرقة
اجعل امته خير امة اخرجت للناس تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر اخلاصا
لاسمي وتصديقا لما جاءت به الرسل الهمهم التسبيح والتهليل والتقديس في مساجدهم
ومجالسهم وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم يصلون لي قياما وقعودا وركعا وسجودا
ويقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا قربانهم دماؤهم واناجيلهم في صدورهم وقربانهم
في بطونهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل
العظيم ولما بعث عيسى بن مريم وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بني اسرائيل
يعجبون منه ويستهزئون به يقولون ما اكل فلان البارحة وما ادخر في منزله فيخبرهم
فيزداد المؤمنون ايمانا والمنافقون والكافرون شكا وكفرانا وكان عيسى مع ذلك
ليس له منزل ياوي اليه انما يسيح في الارض ليس له قرار ولا موضع يعرف به فكان
اول ما احيا من الموتى انه مر ذات يوم على امراة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها مالك
ايتها المراة فقالت ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها واني عاهدت ربي ان لا ابرح من
موضعي هذا حتى اذوق ما ذاقت من الموت او يحييها الله لي فانظر اليها فقال لها
عيسى ارايت ان نظرت اليها اراجعة انت قالت نعم فصلى ركعتين ثم جاء

يجلس عند القبر فنادى يا فلانه قومي باذن الرحمن فلم تخرج حتى قال فتحرك القبر
ثم نادى الثانية فانصدع القبر باذن الله ثم نادى الثالثة فخرجت وهي تنفض
راسها من التراب فقال لها ما بطا بك عني فقالت لما جاءتني الصيحة الاولى
بعث الله الي ملكا فركب خلقي ثم جاءتني الصيحة الثانية فرجع الي روحي ثم
جاءتني الصيحة الثالثة فخفت انها صيحة القيمة فشاب راسي وحاجبي واشفار
عيني من مخافة القيمة ثم اقبلت على امها فقالت يا اماه ما حملك على ان اذوق
كرب الموت مرتين يا اماه اصبري واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا يا روح الله
وكلمته سل ربك ان يردني الى الاخرة وان يهون علي كرب الموت فدعا ربه
فقبضها اليه واستوت عليها الارض فبلغ ذلك اليهود فازدادوا عليه غضبا
وعن ابن عباس ان الملك من ملوك بني اسرائيل مات وحمل على سريره فجاء عيسى عليه السلام
فدعا الله عز وجل فراى الناس امرا هولا ومنظرا عجيبا وقوله وتبرئ الاكمه
قال بعض السلف وهو الذي يولد اعمى ولا سبيل للاطباء الى مداواته
والابرص وهو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داء عضالا وانخرج
الموتى اي من قبورهم احياء باذني وقد تقدم ما فيه دلالة على وقوع ذلك مرارا
ما فيه كفاية وقوله واذ كففت بني اسرائيل عنك وذلك حين ارادوا
صلبه فرفعه الله اليه وانقذه من بين اظهرهم صيانة لجنابه الكريم وقوله واذ او
حيت الى الحواريين ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون قيل المراد

تعالى

بهذا

بهذا الوحي وحي الهام اي ارشدهم الله اليه كما قال واوحى ربك الى النحل واوحي
الى ام موسى وهذا من جملة نعم الله على عبده ورسوله عيسى عليه السلام ان جعل له
انصارا واعوانا وحواريين ينصرونه ويدعون معه الى عبادة الله وحده لا شريك له
كما قال تعالى لعبده محمد صلى الله عليه وسلم هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف
بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه
عزيز حكيم وكانت معجزة كل نبي في زمانه بما يناسب اهل ذلك الزمان
فذكروا ان موسى عليه السلام كانت معجزته بما يناسب اهل زمانه فكانوا سحرة
اذكيا فبعث بايات بهرت الابصار وخضعت لها الرقاب ولما رات السحرة
ان العامل الذي لا يعمل صدور الا عن امر الله والوحي الخارق على يديه
اسلموا اسراعا وهكذا عيسى بن مريم بعث في زمن الطبايعية الحكما
فارسل بمعجزات لا يستطيعونها ولا يهتدون اليها وانى لحكيم ابرا الاكمه الذي
هو اسوا حالا من الاعمى والابرص والمجذوم ومن به مرض مزمن وكيف يتوصل
احد من الخلق الى ان يقيم الميت من قبره هذا مما يعلم كل احد به انه معجزة دالة على
صدق من قامت به وعلى قدرة من ارسله تعالى والمقصود ان عيسى عليه السلام لما
اقام عليهم الحجج والبراهين استمر اكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم
فانتدب له من بينهم طائفة صالحة فكانوا له انصارا واعوانا قاموا بمتابعته
ونصرته وذلك حين هم به بنو اسرائيل ووشوا به الى بعض ملوك ذلك الزمان

وهكذا محمد صلى الله عليه وسلم بعث في زمن الفصحاء البلغاء فانزل الله عليه القران العظيم
فلفظه معجز لو اراد الانس والجن ان ياتوا بسورة من مثله لا يقدرون وما ذاك الا لانه
كلام الخالق والله تعالى لا يشبهه شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله سبحانه لا
اله الا هو
صح

تحزبوا على قتله وصلبه فانقذه الله منهم ورفعه اليه من بين اظهرهم والقى
شبهه على احد اصحابه فاخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يعتقدونه عيسى وهم
في ذلك غالطون وسلم لهم كثير من النصارى ما ادعوه وكلا الفريقين في ذلك مخطئون
قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فعيسى عليه السلام هو خاتم
انبياء بني اسرائيل وقد قام فيهم خطيبا فبشرهم بخاتم الانبياء الاتي بعده ونوه باسمه
وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه اذا شاهدوه اقامة للحجة عليهم واحسانا
من الله اليهم قال محمد بن اسحق حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن نفسك قال دعوة ابي
ابرهيم وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي كانه خرج منها نور اضاءت له قصور
بصرى من ارض الشام وقد روي عن العرباض بن سارية وابي امامة عن النبي صلى
الله عليه وسلم نحو هذا وفيه دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى وذلك ان ابرهيم
لما بنى الكعبة قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولما انتهت النبوة في
بني اسرائيل الى عيسى قام فيهم خطيبا فاخبرهم ان النبوة قد انقطعت عنهم وانها بعده
في النبي العربي الامي خاتم الانبياء على الاطلاق احمد وهو محمد بن عبد الله بن عبد
المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة اسمعيل بن ابرهيم الخليل عليهم السلام اجمعين
ثم حرض الله تعالى عباده المؤمنين على نصرة الاسلام واهله ونصرة نبيه ومؤازرته
ومعاونته على اقامة الدين ونشر الدعوة فقال يا ايها الذين امنوا كونوا انصارا

لله

لله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من يساعدني في
الدعوة الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكان ذلك في قرية من قرى
صفد يقال لها الناصرة فسموا النصارى بذلك قال الله تعالى فامنت طائفة
من بني اسرائيل وكفرت طائفة يعني لما دعا عيسى بني اسرائيل وغيرهم الى الله تعالى
منهم من امن ومنهم من كفر فكان ممن امن به اهل انطاكية بكمالهم فيما ذكره غير
واحد من اهل السير والتواريخ والتفسير بعث اليهم رسلا ثلثة احدهم شمعون
الصفا فامنوا واستجابوا وكفر اخرون وهم جمهور اليهود فايد الله من امن به
على من كفر فيما بعد واصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم كما قال تعالى اذ قال
الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة الاية فكل من كان اليه اقرب كان
غالبا لمن دونه ولما كان قول المسلمين فيه هو الحق الذي لا شك فيه من انه
عبد الله ورسوله كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه واطروه وانزلوه
فوق ما انزله الله به ولما كان النصارى اقرب في الجملة مما ذهب اليه اليهود
فيه عليهم لعائن الله كان النصارى قاهرين لليهود في ازمان الفترة الى
زمن الاسلام واهله

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى اذ قال
الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان

صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من
السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله
إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين والمقصود
أن عيسى عليه السلام أمر الحواريين بصيام ثلاثين يوما فلما أتموها سألوا من عيسى إنزال المائدة من
السماء عليهم ليأكلوا منها وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وتكون لهم عيدا
يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وآخرهم لغنيهم وفقيرهم فوعظهم عيسى
في ذلك وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن
يسأل لهم ذلك من ربه عز وجل فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه ولبس مسحا من شعر
وطأطأ رأسه وأسبل عينيه بالبكاء وتضرع إلى الله في الدعاء والسؤال فأنزل الله تعالى
المائدة من السماء والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين تحتها تدنو قليلا قليلا
فكلما دنت سأل عيسى ربه عز وجل أن يجعلها رحمة لا نقمة وبركة وسلامة فلم تزل
تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى فكشف
عنها وهو يقول بسم الله خير الرازقين فإذا عليها سبعة من الحيتان وسبعة أرغفة
ويقال خل ورمان وثمار ولها رائحة عظيمة جدا ثم أمرهم بالأكل منها فقالوا لا نأكل حتى
تأكل فقال إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها فأبوا أن يأكلوا منها ابتداء فأمر الفقراء
والمحاويج والمرضى والزمنى وكانوا قريبا من ألف وثلاثمائة فأكلوا منها فبرأ كل من به
عاهة أو آفة أو مرض مزمن فندم الناس على ترك الأكل منها لما رأوا من إصلاح

حال

حال أولئك ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم فيأكل الناس منها فأكل آخرهم كما
يأكل أولهم حتى قيل إنه كان يأكل منها نحو من سبعة آلاف ثم كانت تنزل يوما بعد
يوم كما كانت ناقة صالح يشربون لبنها يوما بعد يوم ۝ ثم أمر الله عيسى
أن يقصرها على الفقراء والمحاويج دون الأغنياء فشق ذلك على كثير من الناس وتكلم
منافقوهم في ذلك فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير ۝

فصل قال أبو بكر ابن أبي الدنيا حدثني رجل سقط اسمه ثنا حجاج
ابن محمد ثنا أبو هلال محمد بن سليمان عن بكر بن عبد الله المزني قال فقد الحواريون عيسى
فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو يمشي على الماء
يرفعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه ومتزر بنصفه حتى
انتهى إليهم فقال له بعضهم ألا أجيء إليك يا نبي الله قال بلى قال فوضع إحدى رجليه
على الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال أوه غرقت يا نبي الله فقال أرني يدك يا قصير
الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة مشى على الماء ثم قيل لعيسى بأي شيء
تمشي على الماء قال بالإيمان واليقين قالوا فإنا آمنا مثل ما آمنت قال فامشوا إذا
قال فمشوا معه في الموج فغرقوا فقال لهم عيسى ما لكم فقالوا خفنا الموج قال ألا
خفتم رب الموج قال فأخرجهم ثم ضرب بيده إلى الأرض فقبض بها ثم بسطها
فإذا في إحدى يديه ذهب وفي الأخرى مدر أو حصى فقال أيهما أحلى في قلوبكم
قالوا هذا الذهب قال فإنهما عندي سواء وقد تقدم في قصة يحيى بن زكريا أن عيسى
عليه السلام ۝

قالوا فإنا [illegible]

كان يلبس الشعر ويأكل من ورق الشجر ولا يأوي إلى منزل ولا أهل ولا مال صلوات الله
وسلامه عليه ٥ وكان إذا ذكر عنده الساعة صاح ويقول لا ينبغي لابن مريم أن يذكر
عنده الساعة ويسكت وإذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلى وكان يقول اللهم إني
أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد غيري
وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي
ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تسلط علي من لا يرحمني وقال إسمعيل بن عياش عن عبد الله
بن دينار عن ابن عمر قال قال عيسى للحواريين كلوا خبز الشعير واشربوا الماء القراح
واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين بحق ما أقول لكم إن حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وإن
مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق ما أقول لكم إن شركم
عالم يؤثر هواه على علمه يود أن الناس كلهم مثله ودوي نحو غراي (؟) وقال
أبو مصعب عن مالك أنه بلغه أن عيسى كان يقول يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح
والبقل البري والخبز الشعير وإياكم وخبز البر فإنكم لن تقوموا بشكره وكان
يقول اعبروا الدنيا ولا تعمروها ٥ وكان يقول حب الدنيا رأس كل خطيئة والنظر
يزرع في القلب الشهوة وعن عيسى عليه السلام يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيث ما كنت
وكن في الدنيا ضيفا واتخذ المساجد بيتا وعلم عينك البكاء وجسدك الصبر وقلبك
التفكر ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة وكان يقول إنه لا يستطيع أحدكم
أن يتخذ على موج البحر دارا فلا تتخذ الدنيا قرارا وعن عيسى عليه السلام إن الشيطان

مع الدنيا ومكره مع المال وتزيينه مع الهوى واستمكانه عند الشهوات
وعنه طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته وحفظ لسانه ووسعه بيته وطوبى
لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية وانتبهت إلى غير إثم وقال عيسى بن مريم
يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي أهل الدنيا بدني
الدين مع سلامة الدنيا وفي ذلك يقول الشاعر ٥

أرى رجالا بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أبو مصعب عن مالك قال عيسى بن مريم عليه السلام لا تكثروا الحديث
بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون
ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد فإن
الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية ٥
وقال الحافظ أبو القسم بن عساكر في تاريخه أخبرنا أبو منصور
أحمد بن محمد الصوفي أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن إبرهيم الوركانية قالت حدثنا
أبو محمد عبد الله بن عمر بن عبد الله بن الهيثم إملاء ثنا الوليد بن أبان إملاء ثنا أحمد بن جعفر
الوادي ثنا سهل بن إبرهيم الحنظلي ثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز عن المعتمر عن ليث
عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مر عيسى
عليه السلام على مدينة خربة فأعجبه البنيان فقال أي رب مر هذه المدينة أن

يجيبني فاوحى الله الى المدينة ايها المدينة الخربة حاوري عيسى قال فنادت المدينة
عيسى حبيبي وما تريد مني قال ما فعل اشجارك وما فعل انهارك وما فعل قصورك
واين سكانك قالت حبيبي جاء وعد ربك الحق فيبست اشجاري ونشفت انهاري
وخربت قصوري ومات سكاني قال فاين اموالهم قالت جمعوها من الحلال والحرام
موضوعة في بطني لله ميراث السموات والارض قال فنادى عيسى عليه السلام
تعجبت من ثلث اناس طالب الدنيا والموت يطلبه وباني القصور والقبر منزله ومن
يضحك ملء فيه والنار امامه ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع تجمع
مالك لمن لا يحمدك وتقدم على رب لا يعذرك انما انت عبد بطنك وشهوتك
وانما تملا بطنك اذا دخلت قبرك ۞ هذا حديث غريب جدا وفيه موعظة
حسنة فكتبناه لذلك وعنه انه قيل له من اشد الناس فتنة قال زلة العالم
فان العالم اذا زل زل بزلته عالم كثير وعنه انه قال يا علماء السوء جعلتم
الدنيا على رؤسكم والآخرة تحت اقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء مثلكم مثل شجرة
الدفلى تعجب من رآها وتقتل من اكلها وقال وهب قال عيسى يا علماء السوء جلستم
على ابواب الجنة فلا تدخلوها ولا تدعون المساكين يدخلوها ان شر الناس عند الله
عالم يطلب الدنيا بعلمه ۞ وكان اذا ذكر الموت يقطر جلده دما ۞
والآثار في مثل هذا كثيرة جدا وقد اورد الحافظ ابن عساكر منها طرفا صالحا
اقتصرنا منه على هذا القدر والله الموفق للصواب ۞ ذكر رفع عيسى عليه السلام

وبيان كذب اليهود والنصارى عليهم لعاين الله في دعوى الصلب قال
الله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك
الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا
الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون وقال
تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى
ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا
فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله
اليه وكان الله عزيزا حكيما فاخبر تعالى انه رفعه الى السماء بعد ما توفاه
بالنوم على الصحيح المقطوع به وخلصه ممن كان اراد اذيته من اليهود الذين
وشوا به الى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان قال الحسن البصري
ومحمد بن اسحق كان اسمه داود بن نورا فامر بقتله وصلبه فحصروه في دار ببلد
بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت فلما حان دخولهم القى شبهه
على بعض اصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة من ذلك البيت الى السماء
واهل ذلك البيت ينظرون ودخل صاحب الشرطة فوجد ذلك الشاب الذي
القي عليه شبهه فاخذوه ظانين انه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على
راسه اهانة له وسلم لليهود عامة النصارى انه صلب وضلوا بسبب ذلك
ضلالا مبينا ۞ واخبر تعالى بقوله وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به

لعله فحصروه

قبل موته اي بعد نزوله الى الارض في آخر الزمان قبل قيام الساعة فانه ينزل
ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام **وافترقوا** ثلث
فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية
وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله اليه وهؤلاء النسطورية وقالت
فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء ثم رفعه الله عز وجل اليه وهؤلاء المسلمون
فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وذلك قوله تعالى فايدنا الذين امنوا
على عدوهم فاصبحوا ظاهرين **قال** وهب انتخبت وجعل عيسى يدعو الله عز وجل
ان يؤخر اجله ليبلغ الرسالة ويكمل الدعوة ويكثر الناس الدخول في دين الله وكان
عنده من الحواريين اثنا عشر رجلا بطرس • ويعقوبس زبدا • ويحنس اخو يعقوب
واندرابيس • وابن قلما • وفنتا • وتوماس • ويعقوب بن حلقايا • وبراوشيس
وفنانيا • ويودس • وزكريا يوطا وهذا هو الذي دل اليهود على عيسى
قال ابن اسحق وكان فيهم رجل آخر اسمه سرجس كتمته النصارى وهو
الذي القي شبه المسيح عليه فصلب عنه **قال** بعض النصارى يزعم ان الذي صلب
عن المسيح والقي عليه شبهه هو يودس زكريا يوطا فالله اعلم • **وقال** الضحاك
عن ابن عباس استخلف عيسى شمعون وقتلت اليهود يودس الذي القي عليه الشبه
وقال احمد بن ... محمد بن الجهم قال سمعت الفراء يقول في قوله ومكروا ومكر الله

قال ان عيسى غاب عن خالته زمانا فاتاها فقام رأس الجالوت اليهودي فضرب على عيسى
حتى اجتمعوا على باب داره فكسروا الباب ودخل رأس الجالوت ليأخذ عيسى فطمس
عيناه عن عيسى ثم خرج الى اصحابه فقال لم اره ومعه سيف مسلول فقالوا انت عيسى
والقى الله شبه عيسى عليه فاخذوه فقتلوه وصلبوه **وقال** ابن جرير ثنا ابن حميد
ثنا يعقوب القمي عن هارون بن عنترة عن وهب بن منبه قال اتى عيسى ومعه سبعة
عشر من الحواريين في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة
عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن الينا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من
يشتري نفسه اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم فقال انا عيسى وقد صوره
الله على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم فظنوا انهم قد قتلوا
عيسى وظنت النصارى مثل ذلك انه عيسى ورفع الله عيسى من يومه ذلك **ومن حديث**
طويل ساقه ابن جرير ان بعض الحواريين اتى الى اليهود فقال ما تجعلون لي ان دللتكم
على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه وكان شبه عليهم قبل ذلك فاخذوه
واستوثقوا منه وربطوه بالحبل فجعلوا يقودونه ويقولون له انت كنت تحيي
الموتى وتنتهر الشياطين وتبرئ المجنون افلا تنجي نفسك من هذا الحبل
ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك حتى اتوا به الخشبة التي ارادوا ان يصلبوه
عليها فرفعه الله اليه وصلبوا ما شبه لهم فمكث سبعا ثم ان امه والمرأة التي كان
يداويها عيسى فابرأها الله من الجنون جاءتا تبكيان حيث المصلوب فجاءهما عيسى فقال

على من تبكيان قالتا عليك قال اني قد رفعني الله اليه ولم يصبني الا خير وان هذا
شبه لهم فامر الحواريين ان يلقوه الى مكان كذا وكذا فلقوه الى ذلك المكان احد عشر وفقد الذي
كان باعه بالدلالة الذي دل عليه اليهود فسال عنه اصحابه فقالوا انه ندم على ما صنع
فاختنق وقتل نفسه فقال لو تاب لتاب الله عليه ثم سالهم عن غلام كان يتبعهم يقال
له يحيى فقال هو معكم فانطلقوا فانه سيصبح كل انسان يحدث بلغة قوم فلينذرهم
وليدعهم ● وهو اصح ما ذكره النصارى لعنهم الله من ان المسيح جاء الى مريم وهي جالسة
تبكي عند جذع فاراها مكان المسامير من جسده واخبرها ان نفسه قد رفعت وان جسده
صلب وهذا بهت وكذب واختلاق وتحريف وتبديل وزيادات باطلة في الانجيل
على خلاف الحق ومقتضى النقل وحكى الحافظ ابن عساكر من طريق يحيى بن حبيب فيما
بلغه ان مريم سالت من بيت الملك بعد ما صلب المصلوب بسبعة ايام وهي تحسب انه
ابنها ان ينزل جسده فاجابهم الى ذلك ودفن هنالك فقالت مريم لام يحيى الا تذهبين
بنا نزور قبر المسيح فذهبتا فلما دنتا من القبر قالت مريم لام يحيى الا تستترين فقالت
وممن استتر فقالت من هذا الرجل الذي هو عند القبر فقالت ام يحيى اني لا ارى احدا
فرجت مريم ان يكون جبريل وكانت قد بعد عهدها به فاستوقفت ام يحيى
وذهبت نحو القبر فلما دنت من القبر قال لها جبريل وعرفته يا مريم اين تريدين فقالت
ازور قبر المسيح واسلم عليه واحدث عهدا به فقال يا مريم ان هذا ليس المسيح
ان الله قد رفع المسيح وطهره من الذين كفروا ولكن هذا الفتى الذي القي شبهه عليه

وصلب وقتل مكانه وعلامة ذلك ان اهله قد فقدوه فلا يدرون ما فعل به فهم يبكون
عليه الى يوم كذا وكذا فاتي غيضة كذا وكذا فانك تلقين المسيح قال فرجعت
الى اختها فصعد جبريل فاخبرتها عن جبريل وما قال لها من امر الغيضة فلما كان ذلك اليوم
ذهبت فوجدت عيسى في الغيضة فلما رآها اسرع اليها فاكب عليها وقبل راسها وجعل يدعو
لها كما كان يفعل وقال يا امه ان القوم لم يقتلوني ولكن الله رفعني اليه واذن لي في لقائك
والموت ياتيك قريبا فاصبري واذكري الله كثيرا ثم صعد عيسى فلم تلقه الا تلك المرة حتى
ماتت قال وبلغني ان مريم بقيت بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلث وخمسون سنة
رضي الله عنها وقال الحسن البصري كان عمر عيسى عليه السلام اربعا وثلثين سنة وفي
يوم رفع
الحديث ان اهل الجنة يدخلونها جردا مردا مكحلين ابناء ثلث وثلثين سنة وفي
الحديث الآخر على ميلاد عيسى وحسن يوسف وكذا قال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن
سعيد بن المسيب انه قال رفع عيسى وهو ابن ثلث وثلثين سنة ○ فاما [illegible] الذي
رواه الحاكم في مستدركه ويعقوب بن سفيان الفسوي في تاريخه عن سعيد بن ابي مريم عن نافع
ابن يزيد عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ان امه فاطمة بنت الحسين حدثته
ان عائشة رضي الله عنها وعن ابويها كانت تقول اخبرتني فاطمة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبي كان بعده الا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله
وانه اخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة فلا اراني الا ذاهبا على راس ستين هذا
لفظ الفسوي فهو حديث غريب قال الحافظ ابن عساكر والصحيح ان عيسى لم يبلغ هذا العمر

وانما اراد به مدة مقامه في امته كما روى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة
قال قالت فاطمة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى بن مريم مكث في بني اسرايل
اربعين سنة وهذا منقطع قال جرير والثوري عن الاعمش عن ابراهيم مكث عيسى في قومه اربعين
عاما ويروى عن علي رضي الله عنه ان عيسى رفع في الليلة الثانية والعشرين من رمضان وتلك
الليلة في مثلها توفي علي بعد طعنه بخمسة ايام وقد روى الضحاك عن ابن عباس ان عيسى لما
رفع الى السما جاءته سحابة فدنت منه حتى جلس عليها وجاءته مريم فودعته وبكت ثم رفع وهي
تنظر والقى اليها عيسى بردا له وقال هذا علامة ما بيني وبينك يوم القيمة والقى عمامته على
شمعون فجعلت امه تودعه باصبعها تشير بها اليه حتى غاب عنها وكانت تحبه حبا شديدا
اذ لا اب له وكانت لا تفارقه سفرا ولا حضرا وذكر ابن جرير عن مجاهد ان اليهود
لما صلبوا هذا الرجل الذي شبه لهم وهم يحسبونه المسيح وسلم لهم اكثر النصارى بجهلهم ذلك
تسلطوا على اصحابه بالقتل والضرب والحبس فبلغ امرهم الى صاحب الروم وهو ملك دمشق
في ذلك الزمان فقيل له ان اليهود قد تسلطوا على اصحاب رجل كان يذكر لهم انه رسول
الله وكان يحيي الموتى ويبري الاكمه والابرص ويفعل العجايب فعدوا عليه فقتلوه واخذوا
اصحابه فحبسوهم فبعث فجيء بهم وفيهم يحيى بن زكريا وشمعون وجماعة فسالهم عن امر
المسيح فاخبروه عنه فتابعهم في دينهم واعلى كلمتهم فظهر الحق على اليهود وعلت كلمة
النصارى عليهم وبعث الى المصلوب فوضع عن جذعه وجيء بالجذع الذي صلب عليه
ذلك الرجل فعظمه فمن ثم عظمت النصارى الصليب ومن هنا دخل دين النصرانية

في الروم

وفي هذا النقل من وجوه احدها ان يحيى بن زكريا نبي لا يقر على ان المصلوب عيسى فانه معصوم
يعلم ما وقع على جهة الحق الثاني ان الروم لم يدخلوا في دين المسيح الا بعد المايه سنة
وذلك في زمن قسطنطين بن قسطنطين باني المدينة المنسوبة اليه على ما سنذكره الثالث
ان اليهود لما صلبوا ذلك الرجل ثم القوه بخشبته جعلوا مكانه مطرحا للقمامة والنجاسة
وجيف الميتات والقاذورات فلم يزل كذلك حتى كان في زمن قسطنطين المذكور فعمدت
امه هيلانة الحرانية الفندقانية فاستخرجته من هنالك معتقدة انه المسيح ووجدوا
الخشبة التي صلب عليها المصلوب فذكروا انه ما مسها ذو عاهة الا عوفي فالله اعلم
اكان هذا ام لا وهل كان هذا الا من جهة الرجل الذي بذل نفسه كان رجلا صالحا
او كان هذا محنة وفتنة لامة النصارى في ذلك اليوم حتى عظموا تلك الخشبة وغشوها
بالذهب واللالي ومن ثم اتخذوا الصلبانات وتبركوا بشكلها وقبلوها لعنهم الله وامرت
هيلانة ام الملك فازيلت تلك القمامة وبني مكانها كنيسة هايلة مزخرفة بانواع الزينة
فهي هذه المشهورة اليوم ببيت المقدس التي يقال لها القمامة باعتبار ما كان عندها وتسمى
القيامة يعني التي يقوم جسد المسيح منها ثم امرت هيلانة بان توضع قمامة البلد وكناسته
على الصخرة التي هي قبلة اليهود فلم تزل كذلك حتى فتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت
المقدس فكنس عنها القمامة بردائه وطهرها من الاخباث والانجاس ولم يضع المسجد
وراءها بل امامها حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا بالانبيا وهو
الاقصى **ذكر صفة عيسى عليه السلام** وشمايله وفضايله قال الله تعالى

ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة **قيل** سمي المسيح
لمسحه الارض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان لشدة تكذيب
اليهود له وافترايهم عليه وعلى امه عليهما السلام ٥ وقيل لانه كان ممسوح القدمين
قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت عيسى وموسى وابرهيم فاما عيسى فاحمر جعد عريض
الصدر واما موسى فادم جسيم سبط كانه من رجال الزط تفرد به البخاري **قال**
ابن كثير في تاريخه حدثنا ابرهيم بن المنذر ثنا ابو ضمرة ثنا موسى بن عقبة عن نافع قال
قال عبد الله بن عمر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بين ظهراني الناس المسيح الدجال
فقال ان الله ليس باعور الا ان الدجال اعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية
واراني الليلة عند الكعبة في المنام فاذا رجل ادم كاحسن ما يرى من ادم الرجال
تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر يقطر راسه ماء واضعا يديه على منكبي رجلين
وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا المسيح بن مريم ثم رايت رجلا وراءه جعد
قطط اعور عين اليمنى اشبه من رايت بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجل
يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا المسيح الدجال ● ورواه مسلم من طريق موسى
ابن عقبة به ثم قال البخاري تابعه عبيد الله عن نافع ثم ساقه من طريق الزهري
عن سالم عن ابن عمر قال الزهري وابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ●
فبين صلوات الله وسلامه عليه صفة المسيحين مسيح الهدى ومسيح الضلالة
ليعرف هذا اذا نزل فيؤمن به المؤمنون ويعرف الاخر فيحذره الموحدون ●

وروى هشام بن عروة عن صالح مولى ابي هريرة عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يمكث عيسى بن مريم في الارض اربعين سنة ويكسر الصليب ويضع الجزية ويعطل الملك
حتى تهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال
الكذاب وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الابل مع الاسد والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان او الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيمكث ما شاء الله
ان يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه **وسياتي** بيان نزوله عليه السلام
في اخر الزمان في الجزء الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وانه ينزل على المنارة
البيضاء بدمشق وقد اقيمت صلاة الصبح فيقول له امام المسلمين تقدم يا روح الله فصل
فيقول لا بعضكم على بعض امراء تكرمة الله لهذه الامة **وفي** رواية فيقول له عيسى
انما اقيمت الصلاة لك فيصلي خلفه ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح
الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة ويقيم اربعين سنة ثم يموت ويدفن
فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه **وقال**
ابو عيسى الترمذي ثنا زيد بن اخزم الطائي ثنا ابو قتيبة سلم بن قتيبة حدثني ابو
مودود المدني ثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن ابيه عن جده
قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى عليهما السلام يدفن معه قال ابو مودود
وقد بقي في البيت موضع قبر ثم قال الترمذي هذا حديث حسن ● كذا قال
والصواب الضحاك بن عثمان المدني وقال البخاري هذا الحديث لا يصح عندي

ولا يتابع وروى البخاري عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن عاصم الأحول عن أبي
عثمان النهدي عن سلمان قال الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة
سنة وعن قتادة خمسمائة وستون وقيل خمسمائة وأربعون وعن الضحاك أربعمائة وبضع
وثلاثون سنة والمشهور ستمائة سنة ومنهم من يقول ستمائة وعشرون سنة بالقمرية
ليكون ستمائة بالشمسية والله أعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض
الله داود من بين أصحابه فما فتنوا ولا بدلوا ولقد مكث أصحاب المسيح على سنته وهديه
مائتي سنة وذكر ابن جرير عن محمد بن إسحاق أن عيسى عليه السلام قبل أن يرفع وصى
الحواريين بأن يدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وعين كل واحد منهم
إلى الطائفة من الناس في إقليم من الأقاليم من الشام والمشرق وبلاد المغرب فذكروا
أنه أصبح كل إنسان منهم يتكلم بلغة الذين أرسله المسيح إليهم وذكر غير واحد
أن الإنجيل نقله عنه أربعة لوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبين هذه الأناجيل
الأربعة تفاوت كثير بالنسبة إلى كل نسخة نسخة وزيادات كثيرة ونقص
بالنسبة إلى الأخرى وهؤلاء الأربعة منهم اثنان ممن أدرك المسيح ورآه
وهما متى ويوحنا ومنهم اثنان من أصحاب أصحابه وهما مرقس ولوقا وكان ممن آمن بالمسيح
وصدقه من أهل دمشق رجل يقال له حنينا وكان مختفيا في مغارة داخل الباب
الشرقي قريبا من الكنيسة المصلبة خوفا من بولس اليهودي وكان ظالما غاشما
مبغضا للمسيح ولما جاء به وكان قد حلق رأس ابن أخيه حين آمن بالمسيح وطاف به في البلد ورجمه

حتى مات رحمه الله ولما سمع بولس بأن المسيح عليه السلام قد توجه نحو دمشق خرج
ليقتله فتلقاه عند كوكبا فلما واجه أصحاب المسيح جاء إليه ملك فضرب وجهه بطرف
جناحه فأعماه فلما رأى ذلك وقع في نفسه تصديق المسيح فجاء إليه واعتذر مما صنع
وآمن به فقبل منه وسأله أن يمسح عينيه ليرد الله عليه بصره فقال اذهب إلى حنينا
عندك بدمشق في طرف السوق المستطيل فهو يدعو لك فجاء إليه فدعا فرد عليه
بصره وحسن إيمان بولس بالمسيح عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وبنيت له
كنيسة باسمه فهي كنيسة بولس المشهورة بدمشق من زمن فتح الصحابة رضي الله عنهم
حتى خربت بعد ذلك فصل اختلف أصحاب المسيح بعد رفعه
إلى السماء فيه على أقوال كما قاله ابن عباس وغيره من أئمة السلف فقال قائلون منهم
كان فينا عبد الله ورسوله فرفع إلى السماء وقال آخرون كان فينا الله فارتفع
إلى السماء فالأول هو الحق والثاني كفر واختلفوا في الأناجيل على أربعة أناجيل
ما بين زيادة ونقصان وتحريف وتبديل ثم بعد المسيح بثلاثمائة سنة حدث فيهم
الطامة العظمى والبلية الكبرى اختلف البتاركة الأربعة وجميع الأساقفة
والقساوسة والشمامسة والرهبان في المسيح على أقوال متعددة لا تنحصر ولا
تنضبط واجتمعوا وتحاكموا إلى الملك قسطنطين باني القسطنطينية وهم
المجمع الأول فصار الملك إلى قول أكثر فرقة اتفقت على قول من تلك المقالات
فسموا الملكية ودحض من عداهم وأبعدهم وتفردت الفرقة التابعة لعبد الله

اري

ابن اريوس الذي ثبت على ان عيسى عبد من عباد الله ورسول من رسله فتسلكوا البر
والبوادي وبنوا الصوامع والديارات والقلايات وتنعموا بالعيش الزهيد ولم
يخالطوا اولئك الملل والنحل ۞ وبنت الملكية الكنايس الهايلة عمدوا الى ما كان
من بنا اليونان فحولوا محاريبها الى الشرق وقد كانت الى الشمال الى الجدي وبنى
الملك قسطنطين بيت لحم على محل مولد المسيح وفيه اربعة محاريب قبلي وشرقي
وشمالي الى الكعبة المقدس فان بيت لحم قبلي البيت المقدس بين القدس ومدينة الخليل
عليه السلام ۞ وبنت امه هيلانة القمامة يعني على قبر المصلوب وهم يقولون لليهود
انه المسيح وقد كفرت هولاء وهولاء ووضعوا القوانين والاحكام وهي
مخالف للعتيقة التي هي التوراة واحلوا اشيا هي حرام بنص التوراة من
ذلك الخنزير وصلوا الى الشرق ولم يكن المسيح صلى الا الى صخرة بيت المقدس
وكذلك جميع الانبيا بعد موسى ومحمد خاتم النبيين صلى اليها بعد هجرته
الى المدينة ستة عشر او سبعة عشر شهرا ثم حول الى الكعبة التي بناها
ابرهيم الخليل عليه السلام وصوروا الكنايس ولم تكن مصورة قبل ذلك ووضعوا
العقيدة التي يحفظونها اطفالهم وبنيهم وبناتهم التي يسمونها بالامانة ۞ وهي
في الحقيقة اكبر الكفر والخيانة وجميع الملكية والنسطورية اصحاب
نسطوريس اهل المجمع الثاني واليعقوبية اصحاب يعقوب البراذعي اصحاب
المجمع الثالث يعتقدون هذه العقيدة ويختلفون في تفسيرها وها انا احكيها

دياكي

٢٢٢

وحالتي الكفر ليس بجايز لانه على ما فيها من ركة الالفاظ وكثرة الكفر والخبال
فيقولون عليهم لعاين الله المتتابعة الى يوم القيامة ۞ نؤمن بالله الواحد
ضابط الكل خالق السموات والارض كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد
يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور
اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو للاب في الجوهر الذي كان
به كل شي من اجلنا نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السما وتجسد من
روح القدس ومن مريم العذرا وتانس وصلب على عهد بيلاطس النبطي وتالم
وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد الى السما وجلس عن يمين
الاب وايضا فسياتي بمجده كي يدين الاحيا والاموات الذي لا فنا لملكه
وبروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب والابن مسجود له وممجد الناطق
في الانبيا كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية واعترف بمعمودية واحدة
لمغفرة الخطايا وانه حي قيامة الموتى وحياة الدهر العتيد [illegible] امين ۞
وقد نظم الشيخ شهاب القرافي رحمه به الرد على النصارى ۞ ۞
يرد عليهم في قولهم بصلب المسيح وتسليمهم ذلك لليهود مع دعواهم انه ابن الله
تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ۞

عجبا للمسيح بين النصارى ۞ والى اي والد نسبوه
اسلموه الى اليهود وقالوا ۞ انهم بعد قتله صلبوه

فإذا كان ما يقولون حقاً ... وصحيحاً فاين كان ابوه

حين خلا ابنه رهين الاعادي ... اتراهم ارضوه ام اغضبوه

ولئن كان راضياً باذاهم ... فاحمدوهم لانهم وافقوه

ولئن كان ساخطاً ما تركوه ... واعبدوهم لانهم غلبوه

آخر الجزء الاول من كتاب عقود الجمان في تاريخ الزمان
تأليف كاتبه الفقير الى رحمة الله تعالى الغني به عمن سواه محمد بن عمر بن احمد
الشافعي الشهير بابن الزملكاني الانصاري عفا الله عنه وعن والديه وعن المسلمين اجمعين

يتلوه اول الجزء الثاني من الكتاب
اخبار الامم الماضين من بني اسرائيل وغيرهم الى اخر
الفترة

والصلاة والسلام الاطيبان الاكملان على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله
وصحبه وعترته وازواجه الطاهرين
الحمد لله رب العالمين